بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الجمهورية اليمنية

جامعة عدن
نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي

كلية التربية – عدن
قسم اللغة العربية

جميع الحقوق محفوظة

الدرس الصرفي عند القرطبي
من خلال تفسيره الجامع لأحكام القرآن
دراسة وصفية تحليلية

رسالة ماجستير تقدم بها الطالب:

أحمد عبد الاله عوض سالم

بإشراف الأستاذ الدكتور : هادي نهر

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الماجستير
في قسم اللغة العربية بكلية التربية عدن

١٤٢٥هـ

٢٠٠٤م

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أشهد أن هذه الرسالة قد أنجزت تحت إشرافي بمراحلها المختلفة ، وأرشحها للمناقشة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

المشرف العلمي :

أ.د. هادي نهر

التوقيع :

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتأريخ :

الموافق :

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

رئيس لجنة المناقشة وعضواها :

(رئيس اللجنة)

الاسم :

التوقيع :

(عضوا اللجنة)

١-الاسم :

التوقيع :

٢-الاسم :

التوقيع :

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

شكـر

لم يكن لهذه الرسالة أن تكتمل إلا بتوفيق من الله ومن ، فله الحمد حمداً كثيـراً طيباً مباركاً فيه ، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وإن من فضل الله سبحانه وتعالى علي أن يسر لي من أعان ونـصح وسـدد ، وفي مقدمتهم أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور هادي نهر الذي تفضل بقبول الإشـراف على هذه الرسالة ، والذي أمدني بالتوجيهات والنصائح السديدة التـي أضـاءت لـي السبيل في هذا العمل ، فله الشكر الجزيل ، وجزاه الله عني خير ماجازى بـه عالمـاً عن متعلم.

وأتوجه بالشكر الخالص للأستاذين الفاضلين ، الأستاذ الدكتور صاحب جعفر أبو جناح والأستاذ الدكتور علي محمد المخلافي على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة ، وعلى تفضلهما بتصويبها وإصلاح ما فيها من خلل ، وتقويم ما فيها من اعوجاج ؛ فلهما الشكر خالصاً ، وجزاهما الله خير الجزاء .

وأخيراً أشكر كل من قدم لي يد العون في هذه الرسالة ، مكثراً أو مقلاً ، أفـراداً وجهات ، وأرجو لهم من الله الأجر والمثوبة ، وجزاهم الله خيراً .

الباحث

المحتويـــات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
الفصل الأول **مصادر القرطبي الصرفية في الجامع**	٥
توطئة	٦
المبحث الأول : القراءات القرآنية .	٨
المبحث الثاني : اللهجات :	**١٨**
أولاً: الظواهر اللهجية الصرفية في الأسماء :.....	٢٣
١-المصدر	٢٣
٢-الجنس	٢٥
٣-المقصور والممدود	٢٦
٤-الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة.....	٢٧
٥-الجموع	٢٩
ثانياً: الظواهر اللهجية الصرفية في الأفعال :.....	٣٠
١-الثلاثي والرباعي (فعل وأفعل)	٣٠
٢-كسر حرف المضارعة	٣١
٣-اختلاف حركة عين الفعل	٣٢
ثالثاً: ظواهر مشتركة	٣٤
المبحث الثالث : الشعر	**٣٦**
-من المسائل الصرفية التي دعمها القرطبي بالشعر:.....	٣٨
أولاً: الاشتقاق	٣٨
ثانياً: المصادر	٤٠
ثالثا: العددية	٤١
رابعاً: مسائل متفرقة	٤٣
الفصل الثاني **الأبنية الصرفية ودلالاتها في الجامع**	٤٦
المبحث الأول : الأبنية الاسمية	**٤٧**
أولاً: ا لمصادر :.....	٤٧

جميع الحقوق محفوظة
لا يسمح بإعادة طباعة الرسائل الجامعية

١-دلالة المصادر ٤٧
٢-بين المصادر والأسماء..... ٥١
٣-المصدر بين الإفراد والجمع ٥٣
٤-ندرة المصادر ٥٧
ثانياً : التذكير والتأنيث ٥٨
-دلالة التاء الداخلة على بعض الصيغ الاسمية :..... ٦٤
-التاء المؤكدة لتأنيث الجمع ٦٤
-تاء المبالغة ٦٥
-تاء العوض ٦٦
ثالثاً: الجموع :..... ٦٦
١-جموع القلة والكثرة ٦٦
٢-جمع المعتل ٦٨
٣-جمع الجمع ٦٩
٤-حمل جمع غير العاقل على جمع العاقل ٧٠
٥-جموع شاذة ٧١
رابعاً : المشتقات :..... ٧٢
١-مفعال ٧٢
٢-فعلوت ٧٢
٣-فعلة ٧٢
٤-التفعل ٧٢
المبحث الثاني: الأبنية الفعلية :..... ٧٦
أولاً: الفعل الثلاثي المجرد :..... ٧٦
١-اختلاف حركة عين الفعل ٧٦
٢-اللازم والمتعدي بمعنى واحد ٧٨
ثانياً: الفعل الثلاثي المزيد ٨٠
١-أفعل :..... ٨٠
-الجعل والتعريض ٨١

-الحينونة ٨١
-الدخول في الوقت ٨٢
-الصيرورة ٨٢
-أفعل للزوم المجرد المتعدي ٨٢
٢-فعل : ٨٣
-التكثير والمبالغة ٨٣
-التفريق بين مسك وأمسك ٨٤
-التفريق بين صلى وأصلى ٨٥
-التفريق بين خرب وأخرب ٨٥
-التفريق بين نزل وأنزل ٨٥
-التفريق بين كذب وأكذب ٨٧
٣-فاعل ٨٨
٤-تفاعل ٨٩
٥-تفعل : ٩٠
-التجنب والترك ٩٠
-التكلف ٩٠
-المبالغة ٩١
٦-انفعل ٩١
٧-افتعل ٩٢
٨-استفعل ٩٤
المبحث الثالث : إجراءات صرفية مشتركة **٩٦**
أولاً: تخفيف الهمزة ٩٦
ثانياً: الإعلال : ٩٨
-قلب الواو ياء ٩٩
-قلب الياء واواً ١٠٠
-الإعلال بالحذف. ١٠٢
ثانياً : الإبدال : ١٠٣
١-إبدال الهمزة . .....

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٢-إبدال الباء ١٠٣
٣-إبدال التاء ١٠٤
٤-إبدال الدال ١٠٤
٥-إبدال الذال ١٠٦
٦-إبدال الزاي ١٠٦
٧-إبدال الصاد. ١٠٧
٨-إبدال الطاء ١٠٧
٩-إبدال الكاف ١٠٧
١٠-إبدال اللام ١٠٨
١١-إبدال الهاء ١٠٨
١٢-إبدال الواو ١٠٨
١٣-إبدال الياء. ١٠٩
١٠٩
رابعاً: الإدغام : ١١١
١-إدغام المتماثلين (المتجانسين) ١١١
٢-إدغام المتقاربين ١١٢
خامساً: القلب المكاني ١١٤
الفصل الثالث ١١٨
النيابة الصرفية في الجامع
-توطئة ١١٩
المبحث الأول : الصيغ النائبة عن اسم المفعول واسم الفاعل **١٣١**
أولاً: النيابة عن اسم المفعول : ١٢١
١-فعيل ١٢١
٢-فعل – بكسر الفاء وسكون العين – ١٢٣
٣-فعل – بضم الفاء وسكون العين – ١٢٤
٤-فعل – بفتح الفاء وسكون العين – ١٢٥
٥-فاعل. ١٢٧
٦-فعول . .....

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثانياً: النيابة عن اسم الفاعل : ١٢٩
١-فعيل ١٣٠
٢-المصدر ١٣٠
٣-مفعول ١٣٥
٤-أفعل ١٣٦
١٣٧
المبحث الثاني: الصيغ النائبة عن المصدر : ١٤١
١-اسم الفاعل ١٤١
٢-اسم المفعول ١٤٢
٣-اسم المصدر ١٤٣
٤-المصدر الميمي ١٤٤
المبحث الثالث: النيابة بين الإفراد والتثنية والجمع :..... ١٤٥
١-نيابة المفرد عن الجمع ١٤٥
٢-نيابة المفرد عن المثنى ١٤٧
٣-النيابة في الجمع ١٤٨
المبحث الرابع: الصيغ الفعلية المتناوبة ١٥٠
١-الصيغ النائبة عن الفعل الثلاثي المجرد : ١٥٠
-أفعل ١٥٠
-فاعل ١٥١
-افتعل. ١٥٢
-استفعل. ١٥٢
٢-الصيغ النائبة عن (أفعل) : ١٥٣
-فعل. ١٥٣
-افتعل ١٥٥
-استفعل ١٥٥
٣-الصيغ النائبة عن (افتعل) ١٥٦
الفصل الرابع ١٥٧
منهج القرطبي في الدرس الصرفي

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

المبحث الأول : الآراء الصرفية بين التوصيف والتوظيف **١٥٨**
أولاً: الآراء التوصيفية ١٥٩
ثانياً: الآراء التوظيفية ١٦١
المبحث الثاني : الآراء الصرفية بين الترجيح والاجتهاد **١٧١**
الاتجاه الأول : التوقف : ١٧١
المسالة الأولى : زنة (أول) وأصل حروفه ١٧١
المسألة الثانية : دلالة جمع المؤنث السالم ١٧٢
المسألة الثالثة : الدلالة العددية للفظة (تبع) ١٧٢
المسألة الرابعة : أصل اشتقاق لفظ (ناس). ١٧٢
المسألة الخامسة : الاختلاف في همز (معائش ومصائب)..... ١٧٣
-الاتجاه الثاني : الترجيح ١٧٤
أولاً: موقفه من البصريين ١٧٨
ثانياً: موقفه من الكوفيين ١٨٤
-الاتجاه الثالث : الاجتهاد ١٨٧
المبحث الثالث : الشواهد والمصطلحات **١٩٠**
أولاً: الشواهد : ١٩٠
١-الاستشهاد بالقرآن الكريم ١٩٠
٢-الاستشهاد بالحديث ١٩٢
٣-الاستشهاد بالشعر ١٩٣
ثانياً: المصطلحات : ١٩٦
-نتائج البحث ٢٠٠
-الملخص باللغة الإنجليزية ٢٠٣
-ثبت المصادر والمراجع ٢٠٥

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

-
-
-
-

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز [illegible] الجامعية

الفصل الأول

مصادر القرطبي الصرفية في الجامع

توطئـة :-

يعد تفسير القرطبي واحداً من أهم التفاسير التي اعتمدت على مصادر غنية متنوعة، ولا غرو في ذلك ؛ فالقرطبي بثقافته الواسعة التي اكتسبها في بلـده الأنـدلس ، نتيجـة ازدهار الحركة العلمية في تلك الحقبة ، استطاع أن يكون علماً بارزاً من أعلام عـصره ، فقد عاصر دولة الموحدين في الأندلس التي نشطت فيها الحركة العلمية نشاطاً واسعاً ، ثم انتقل إلى مصر بعد سقوط قرطبة سنة (٦٣٣هـ)[١] ؛ ليعيش هناك بقية عمره في نهايـة عصر الأيوبيين ، وبداية عصر المماليك ، ولم تكن الحركة العلمية في مصر آنذاك أقل شأناً منها في الأندلس[٢].

إن المتأمل في تفسير القرطبي يجده زاخراً بمصادر عديدة ، منها القراءات القرآنية، واللهجات ، والشعر ، والآراء العلمية للمفسرين والفقهاء واللغويين .. إلى غير ذلك مـن المصادر التي وظفها القرطبي في تفسيره ، واستند إليها استناداً كبيراً ، حتى صار تفسيره موسوعة علمية ، ومرجعية مهمة لمن بعده ؛ فالناظر إلى بعض التفاسير التي ألفت بعده ، يجدها قد استقت كثيراً من مادتها من هذا التفسير الجامع ؛ فمن هذه التفاسير – مثلاً – : (البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٥٤هـ) ، و (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (ت٧٧٤هـ) ، و (فتح القدير) للشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ، وهذا الأخير قد أخـذ معظـم مادته في القراءات، واللهجات ، والشعر ، ومسائل النحو والصرف ، من تفسير القرطبي ، ويكفي شاهداً على ذلك أن تنظر إلى كثير من المسائل التي سيتم عرضها في هذه الدراسة ثم توازنها بتفسير الشوكاني لترى أوجه التطابق البين بينهما .

ولست هنا بصدد عرض موازنة ؛ ولكن حتى أبين مكانة هذا التفسير الـذي حـوى مصادر لها شأنها ومكانتها في علم التفسير ، استطاع القرطبي أن يبسطها بسطاً مميزاً ، فجعل منها مدار نقاش علمي فائق ، صارت لمن بعده مرجعاً مهماً لا يمكن الاستغناء عنه ، سواء للمفسرين ، أو الفقهاء ، أو اللغويين بمختلف مجالاتهم .

---

(1) ينظر ، الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير : ٢٠، ٣٣، ٣٧ .

(2) ينظر ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ١٢٩ ، ٢٩٢ .

لقد آثرت نزولاً عند إجراءات هذه الدراسة ، الوقوف على المصادر التي اعتمدها القرطبي في أثناء عرضه للمادة الصرفية ، وهي في تقديري مصادر لقضايا مختلفة منها الصرفي ، ومنها التركيبي وصولاً إلى الدلالة المرادة من النص المعين .

وبما أن هذا الفصل قد خصصته للحديث عن هذه المصادر ، ارتأيت ترتيب هذه المصادر بحسب شيوعها واطرادها في تفسير القرطبي ، وبحسب أهميتها من حيث الاحتجاج ؛ فجعلتها في مباحث ثلاثة :

أولها : القراءات القرآنية ، وثانيها : اللهجات وثالثها : الشعر .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

المبحث الأول

القراءات القرآنية

اعتمد القرطبي مثل غيره من المفسرين على القراءات ؛ لأنها تبرز جوانب صوتية ، وصرفية ، ونحوية مختلفة ، تتغير من خلالها الدلالة التفسيرية ؛ فعلم القراءات يهتم بمعرفة (اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابه الحروف ، أو كيفيتها من تخفيف ، وتثقيل، وغيرهما)[1] ، وهو أيضاً (علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة ؛ ومباديه مقدمات تواترية ، وله أيضاً استمداد من العلوم العربية ، والغرض منه تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة)[2].

ومن المفيد أن أقول : إن تعامل المفسرين مع القراءات اختلف من مفسر لآخر ، فمنهم من أتخم تفسيره بالقراءات ، ومنهم من قلل ، ومنهم من اقتصر على المتواتر ولم يتجاوزه ، ومنهم من جمع المتواتر والشاذ ، ومنهم من ميز بينهما ، ومنهم من لم يميز .

والناظر في تفسير القرطبي يجده معتنيا بالقراءات اعتناءً واسعاً ، ولا عجب في ذلك، فعلم القراءات قد بلغ في عصر القرطبي مستوى رفيعاً من التدقيق ، حيث صنفت التصانيف العديدة فيه ؛ لعل من أهمها في المتواتر : كتاب السبعة في القراءات ، لابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) ، والحجة في القراءات ، لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) ، وكتابا المبسوط والغاية في القراءات العشر ، لابن مهران الأصبهاني (ت ٣٨١هـ) ، والتذكرة في القراءات الثمان ، لابن غلبون (ت ٣٩٩هـ) ، والتيسير في القراءات السبع ، لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) ، والتلخيص في القراءات الثمان ، لأبي معشر الطبري (ت ٤٧٨هـ) . أما شواذ القراءات فإن من أهم مصنفاتها : كتاب شواذ القراءة ، لابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) ، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ، لابن جني (ت ٣٩٢هـ) ، وإعراب القراءات الشواذ ، لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ).

لقد تلقى القرطبي علم القراءات في الأندلس ، التي نشطت فيها الحركة العلمية – كما مر آنفاً – ، وأخذ منها بحظ وفير ، وخير شاهد على ذلك ما تجده في تفسيره من توسع

([1]) البرهان في علوم القرآن ، للزركشي : ٣٩٥/١ .

([2]) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لحاجي خليفة : ١٣١٧/٢.

في ذكر القراءات ، وفي توجيهها ، ومن ثم توظيفها في خدمة التفسير ، وفي تقريب الدلالة وبيانها في سياق الآيات .

بيد أن القرطبي – رحمه الله – مع إكثاره من ذكر القراءات لم يبين في غالب أمره المتواتر من الشاذ ، فعلى سبيل المثال وجدت في إحصائية أجريتها على إحدى سور آل حم، وهي سورة الزخرف البالغة آياتها تسعاً وثمانين آية ، أن القرطبي قد اشار فيها إلى ست وسبعين قراءة ، وفي استقصاء لهذه القراءات التي لم يميز فيها القرطبي بين المتواتر والشاذ ، في كتب القراءات ، ظهر أن المتواتر منها أربع وأربعون قراءة ، وأن الشاد اثنتان وثلاثون قراءة .

إن هذه الإحصائية تظهر لنا مدى استفاضة القراءات في هذا التفسير استفاضة جعلته في صفوة التفاسير الثرية بالقراءات ، غير أن هذا الثراء قد شابه بعض التعكير ، لعدم التمييز بين المتواتر والشاذ ، كونهما مختلفين من حيث الاحتجاج والاعتماد ، فيضطر فيه القارئ للرجوع إلى كتب القراءات ، وهذا نفسه يشكل صعوبة كان ينبغي تجاوزها لو أن القرطبي حرر هذه القراءات ؛ لكنه – رحمه الله – اختار أن ينهج في عرض القراءات نهج من لم يتحر التمييز ممن سبقه في هذا المجال ، كأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) في مؤلفه (إعراب القرآن) ، وابن عطية (ت٥٤٦هـ) في تفسيره (المحرر الوجيز) اللذين تأثر بهما القرطبي ، وأخذ عنهما كثيراً في مجال القراءات كما سأبين ذلك لاحقاً .

ومن الإنصاف أن نجد العذر لأمثال هؤلاء الأعلام في عدم التمييز بين المتواتر والشاذ ؛ لأنهم عاشوا في عصر تميزت فيه القراءات المتواترة من الشاذة تميزاً واضحاً ، من خلال ما ألفه العلماء في هذا المجال من مؤلفات عديدة ، جعلت أمثال القرطبي وغيره يتساهلون في التمييز ، ظانين أن مثل هذه المؤلفات في القراءات تغني عن التمييز في مؤلفاتهم .

ومما يعذر به هؤلاء – أيضاً – ، أن الاستشهاد بالقراءات الشاذة أمر لا شين فيه ، بل إن (جمعه وإحصاءه مفيد لجهة معرفة آراء السلف في اللغة والفقه والتفسير)[1] ، إلا أن الاحتجاج به على أنه من القرآن لايجوز ؛ لاختلال شرط من شروط المتواتر فيه ، وإنما يروى على أنه من كلام العرب ، فهو عبارة عن ملاحظات دونها أصحاب المصاحف

([1]) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني ، ٧٩.

الخاصة على مصاحفهم ، كما في مصحف أبي بن كعب ، ومصحف علي بن أبي طالب ، ومصحف عبد الله بن مسعود .. وغيرهم ،على سبيل التفسير والإيضاح[1] .

لقد تنوع أخذ القرطبي للقراءات من مصادر متعددة ، أهمها : كتب القراءات ، والتفسير ، ومعاني القرآن وإعرابه ؛ فأما كتب القراءات فغالب الظن أن يكون القرطبي قد استقى بعضاً من مادته في القراءات منها ؛ لانتشارها في عصره الذي نشطت فيه الحركة العلمية – كما أسلفنا – بمختلف مجالاتها ، وفي مقدمتها العلوم الدينية ، وفي مقدمة هذه العلوم القراءات ، ولكن يصعب تحديد مصدر معين من مصادر القراءات نشير فيه إلى أن القرطبي قد أخذ منه ، بيد أنه من خلال الرجوع إلى هذه المصادر ، نلاحظ أن القراءات التي ذكرها القرطبي مثبتة فيها ، وهذا ما سأبينه في أثناء عرض بعض القراءات للتمثيل .

أما بقية المصادر من كتب التفسير والمعاني والإعراب ، فقد تبين لي أن القرطبي قد اقتبس حظا كبيراً من القراءات ومن توجيهها ، من علمين بارزين هما : أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) وابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) ، وذلك من خلال البحث والموازنة لكثير من النصوص التي ذكرت فيها القراءات .

وأود أن أشير قبل البدء بعقد الموازنة ، إلى أن الحديث سيكون مقتصراً على القراءات التي جعلها القرطبي موضع نقاش لمسائل صرفية في جامعه[*] ، ولن أتغافل في أثناء الموازنة عن ذكر بعض المصادر الأخرى – في الهامش – التي ذكرت فيها هذه القراءات ، مع تبيين المتواتر منها والشاذ .

إن نهج القرطبي في الاقتباس متعدد ، فهو تارة ينقل النص مشيراً إلى قائله ، وتارة ينقل النص حرفياً دون الإشارة إلى قائله ، وتارة يقتبس جزءاً من النص من مصدر ما ثم يبتره بنص آخر من مصدر آخر ، ثم يعود لإتمام النص الأول ؛ وهكذا يتنوع أسلوب القرطبي في نقل النصوص التي ذكرت فيها القراءات ، ووجهت توجيهاً صرفياً .

([1]) ينظر : القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني ، ٧٩، ٨٠ .

([*]) تنبيه : لكثرة ورود تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) في هذه الدراسة ، ارتأيت اختصاراً استعمال الاسم الأول منه (الجامع) ليدل على هذا المصدر ؛ فليتنبه !

ففي قوله تعالى:(يَأْتُوكَ رِجَالاً) (الحج : ٢٧) يقول القرطبي[١] :((قال ابن عطية[٢]: رجالاً : جمع راجل مثل تاجر وتجار ، وصاحب وصحاب)) وبعد ذكر قول ابن عطية نصاً ونسبته إليه ، يذكر القرطبي احتمالات أخرى لهذا الجمع ، ثم يعود إلى قول ابن عطية دون أن يشير إلى قائله ، فيقول[٣] : ((وقرأ ابن أبي إسحاق وعكرمة (رجالاً)[٤] بضم الراء وتخفيف الجيم ، وهو قليل في أبنية الجمع ، ورويت عن مجاهد . وقرأ مجاهد (رجالى)[٥] على وزن فعالى ؛ فهو مثل كسالى))، وهذه العبارة ذكرها ابن عطية نصاً في تفسيره[٦] ، دون أن يشير القرطبي إلى ذلك .

وفي قوله جل شأنه: (وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) (فاطر : ٥) بين القرطبي تصريف لفظة (الغرور) بفتح الغين ، فقال[٧] : ((وغرور جمع غر ، وغر مصدر . ويكون (الغرور) مصدراً ، وهو بعيد عند غير[٨] أبي إسحاق ؛ لأن غررته متعد ، والمصدر المتعدي إنما هو على (فعل) ، نحو : ضربته ضرباً ، إلا في أشياء يسيرة لا يقاس عليها ؛ قالوا : لزمته لزوماً، ونهكه المرض نهوكا)). وبعد ذلك يوضح القرطبي معنى هذه القراءة، ثم يذكر قراءة ضم الغين ، وهي قراءة أبي حيوة ، وأبي السمال ، وابن السميفع[٩] ، مع تبيينه لآراء بعض العلماء في توجيه هذه القراءة ، منها رأي الزجاج في أن (الغرور) جمع غار ، مثل قاعد وقعود ؛ ورأي الزمخشري بأنه مصدر كاللزوم والنهوك ، ورأي النحاس بأنه جمع غر .

([1]) الجامع : ٤٤/١٢ .

([2]) ينظر المحرر الوجيز ، ١١٧/٤.

([3]) الجامع ، ٤٤/١٢ .

([4]) قراءة شاذة ، ينظر : المحتسب ، ١٢٢/٢ .

([5]) قراءة شاذة ، المصدر نفسه .

([6]) ينظر ، المحرر الوجيز ، ١١٧/٤، ١١٨ .

([7]) الجامع : ٣١١/١٤ .

([8]) هذه اللفظة (غير) أدخلت خطأ في تفسير القرطبي ، ولعلها من تحريف النساخ ، وصواب العبارة : (وهو بعيد عند أبي إسحاق) . ينظر إعراب القرآن للنحاس : ٣٦١/٣.

([9]) ينظر هذه القراءة في : المحرر الوجيز : ٤٢٩/٤ ،والكشاف : ٦٠٨/٣؛ وهي قراءة شاذة ذكرها ابن جني في حديثه عن الآية (٣٣) من سورة لقمان . ينظر المحتسب : ٢١٥/٢.

وقد جعل القرطبي رأي النحاس في خاتمة هذه الآراء ، بينما النص السابق معظمه مأخوذ من كتاب النحاس (إعراب القرآن) ، كما أن القرطبي لم يتحر الدقة في نقله من النحاس ، فقد ذكر النحاس في إعرابه ثلاثة أقوال في قراءة ضم الغين ، نقتصر منها على القول الثالث ، حيث قال[1] : ((والقول الثالث : يكون (الغرور) مصدراً ، وهو بعيد عند أبي إسحاق ؛ لأن غررته متعد ، والمصدر المتعدي إنما هو على (فعل) نحو : ضربته ضرباً ، إلا في أشياء يسيرة سمعت ، ولا يقاس عليها ؛ قالوا : لزمته لزوماً ، ونهكه المرض نهوكاً)).

فهذا النص أورده القرطبي حرفياً دون الإشارة إلى قائله ،والعجب أن القرطبي جعله في الحديث عن لفظة (الغرور) بفتح الغين ، بينما كلام النحاس منصب حول كلمة (الغرور) بضم الغين ؛ ومثل هذا الأسلوب في عدم التحري تجده في حديثه عن لفظه (مدخل)[2] في الآية (٥٧) سورة التوبة .

وفي قوله عز من قائل : (وذَرُوا ما بقِيَ من الرِّبا) (البقرة : ٢٧٨) يذكر القرطبي قراءة الجمهور (ما بقي) بتحريك الياء ، وقراءة الحسن بتسكينها[3] ، مستشهداً لقراءة الحسن بقول جرير:

هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه جنف

بإسكان ياء الفعل (رضي) ، وكلتا القراءتين مع بيت جرير مذكور في تفسير ابن عطية[4] ، ثم يستشهد القرطبي ببيتين لعمر بن أبي ربيعة ، ينتقل بعدهما إلى توجيه هذه القراءة قائلاً[5] : ((ووجهه أنه شبه الياء بالألف ، فكما لا تصل الحركة إلى الألف فكذلك لا تصل هنا إلى الياء ...))وهذا التوجيه أشار إليه ابن عطية الأندلسي نصاً في تفسيره[6]، من غير أن يشير القرطبي إلى ذلك .

([1]) إعراب القرآن للنحاس : ٣٦١/٣ .

([2]) ينظر الجامع : ١٥٣/٨-١٥٤ ، وإعراب القرآن للنحاس : ٢٢٢/٢ .

([3]) قراءة شاذة . ينظر المحتسب : ٢٣٥/١ .

([4]) ينظر : الجامع ، ٣٦٨/٣ – ٣٦٩ ، والمحرر الوجيز ، ٣٧٥/١.

([5]) الجامع : ٣٦٩/٣ .

([6]) ينظر ، المحرر الوجيز ، ٣٧٥/١ .

وفي الآية ذاتها ، في لفظة (الربا) يذكر القرطبي قراءة أبي السمال (الربو) بكسر الراء المشددة وضم الباء وسكون الواو، ثم يعلق عليها بقول ينسبه إلى ابن جني ، فيقول[1] : ((وقال أبو الفتح عثمان بن جني : شذ هذا الحرف من أمرين : أحدهما : الخروج من الكسر إلى الضم ، والآخر : وقوع الواو بعد الضم في آخر الاسم)) ، وتوجيه ابن جني مع القراءة مثبت عند ابن عطية[2] .

وقد يقول قائل : لماذا لا يكون القرطبي قد أخذ قول ابن جني من كتابه (المحتسب)؟ فأقول : إن عبارة ابن جني نصاً تختلف عما هو موجود عند القرطبي ، إضافة إلى ذلك فإن ابن جني قد فصل القول في هذه المسألة وأتى بشاهد شعري ، وهذا التفصيل ذكره ابن عطية مع الشاهد ، بينما كانت عبارة القرطبي مطابقة لعبارة ابن عطية التي صاغ فيها قول ابن جني بأسلوبه الخاص[3] ، فدل هذا على أن ابن عطية قد أخذ هذه القراءة مع توجيهها من ابن جني ، وأن القرطبي نقل ذلك من ابن عطية دون الإشارة إليه .

وفي قوله جل في علاه:(قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ)(يونس: ١٦) نرى القرطبي يتخذ الأسلوب السابق ذاته ، فتارة يشير إلى المرجع المقتبس منه ، وتارة يتغافل عن ذلك ، فقد وجه قراءة ابن عباس والحسن (ولا أدراتكم به)[4] بأن أصل الألف ياء ، وأن تحويل الياء ألفاً لغة ابن عقيل ، مستشهداً بقول الشاعر :

لعمرك ما أخشى التصعلك ما بقى على الأرض قيسي يسوق الأباعرا

وقول الآخر :

ألا آذنت أهل اليمامة طيئ بحرب كناصات[5] الأغر المشهر[6]

([1]) الجامع : ٣٦٩/٣.

([2]) ينظر ، المحرر الوجيز ، ٣٧٥/١ .

([3]) ينظر ، عبارة ابن جني في المحتسب ، ٢٣٦/١، وعبارة ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٧٥/١ وعبارة القرطبي في الجامع ، ٣٦٩/٣.

([4]) قراءة شاذة ، ينظر : المحتسب ، ٤٢٩/١ .

([5]) الصواب : كناصاة ، بتاء مربوطة ، ينظر ، جامع البيان للطبري ، ١١٢/١١.

([6]) ينظر : جامع البيان ، ١١٢/١١، وفيه ذكر قراءة الحسن وتوجيهها مع ذكر البيتين الشعريين والشاهد منهما ، وهو قوله في البيت الأول (ما بقى) بقلب الياء ألفاً وأصلها (ما بقي) ، وفي البيت الثاني قوله : (كناصاة) وأصلها (كناصية) .

ثم ينتقل القرطبي إلى ذكر آراء العلماء في هذه القراءة ، منهم أبو حاتم الذي يقول[1] : ((سمعت الأصمعي يقول : سألت أبا عمرو بن العلاء ؛ هل لقراءة الحسن (ولا أدراتكم) وجه ؟ فقال : لا)) ثم يسرد القرطبي رأي أبي عبيد بقوله[2] : ((ولا وجه لقراءة الحسن (ولا أدراتكم به) إلا الغلط)) يذكر بعده تعليقاً للنحاس على كلام أبي عبيد ، قائلاً[3]: ((قال النحاس : معنى قول أبي عبيد : لا وجه ، إن شاء الله على الغلط ؛ لأنه يقال: دريت أي علمت ، وأدريت غيري ، ويقال : درأت أي دفعت ، فيقع الغلط بين دريت ودرأت)) ، بعد هذا القول يذكر القرطبي قولاً لأبي حاتم بعد أن ذكره في بداية عرضه للآراء بسماعه من الأصمعي فيقول[4] : ((قال أبو حاتم[5] : يريد الحسن فيما أحسب (ولا أدريتكم) فأبدل من الياء ألفاً على لغة بني الحارث بن كعب ، يبد لون من الياء ألفاً إذا انفتح ما قبلها ، مثل : (إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) (طه : ٦٣))).

بعد هذه الآراء يعرض القرطبي توجيهاً للمهدوي الذي يقول[6] : ((ومن قرأ (أدرأتكم) فوجهه أن أصل الهمزة ياء ، فأصله (أدريتكم) فقلبت الياء ألفاً وإن كانت ساكنة ، كما قال : يايس في بيس ، وطايئ في طيء[7] ، ثم قلبت الألف همزة على لغة من قال في العالم : العألم وفي الخاتم : الخأتم)) ، ثم يختم القرطبي هذه الآراء بقول للنحاس ، فيقول[8] : ((قال النحاس : وهذا غلط ، والرواية عن الحسن (ولا أدرأتكم به) بالهمزة[9] ، وأبو حاتم وغيره تكلم أنه بغير همز ، ويجوز أن يكون من درأت ؛ أي دفعت ؛ أي ولا أمرتكم أن تدفعوا فتتركوا الكفر بالقرآن)).

([1]) الجامع : ٢٩٨/٨.

([2]) المرجع السابق .

([3]) المرجع السابق .

([4]) الجامع : ٢٩٨/٨ .

([5]) ينظر قول أبي حاتم في المحرر الوجيز ، ١١٠/٣ .

([6]) الجامع ، ٢٩٨/٨ .

([7]) الصواب : ياءس في يئس ، وطائي في طي ، ينظر المحتسب ، ٤٢٩/١.

([8]) الجامع ، ٢٩٨/٨ .

([9])وهذا هو الصحيح ، أن قراءة الحسن بالهمز ، ينظر ، تفسير الحسن البصري ٤/٢ وجامع البيان ، ١١٢/١١، والمحتسب ٤٢٩/١، والمحرر الوجيز ، ١١٠/٣.

لقد ارتأيت سرد هذه الأقوال بما فيها من تطويل ، لكي أبين أسلوب القرطبي في تعامله مع المصادر التي يقتبس منها النصوص ، حيث إنه قد خالف ما اشترطه على نفسه في مقدمة تفسيره بإضافة الأقوال إلى قائليها[1] .

إن القرطبي في النص السابق عرض آراءً لعلماء أوهم من خلالها أن هذه الآراء قد أخذت من مصادر أصحابها ، غير أن الأمر مغاير لذلك ، فهذه النقولات أخذت جميعها – عدا قول المهدوي – من أبي جعفر النحاس ، والعجب في هذا الأسلوب أن القرطبي قد جعل أحد قولي النحاس في ثنايا الأقوال ، والآخر في خاتمتها ، ليوهم أن بقية الأقوال قد استقاها من ينابيع أخرى ، بينما هي جميعها مستقاة من ينبوع أبي جعفر النحاس بعباراتها وترتيبات نقولاتها[2] ، ومثل هذا الأسلوب اتبعه في توجيه لفظة (مهلكهم)[3] في الآية (٥٩) من سورة الكهف ، ولفظة (رئيا)[4]، في الآية (٧٤) من سورة مريم.

وبعداً عن الإطالة في هذا المقام ، سأقتصر على ذكر اللفظة وأوجه القراءات فيها ، ثم أحيل في الهامش إلى المرجع الذي أخذ منه وأسلوبه في ذلك كقوله سبحانه : (وَلا الضَّالِّينَ) (الفاتحة: ٧) وقراءة أيوب السختياني[5] (ولا الضألين) بهمزة غير ممدودة[6] ، وقوله تعالى:(فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا) (يوسف:٨٠)،وقراءة ابن كثير[7]:(استايسوا) (ولا تايسوا) (إنه لا يايس) (أفلم ييايس) بألف من غير همز على القلب[8] ، وقوله جل شأنه : (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ) (سبأ: ١٥) وقراءة العامة[9] (مساكنهم) على الجمع ، وقراءة الأعمش والكسائي[10] (مسكنهم) بالتوحيد وكسر الكاف[11] .

([1]) ينظر ، مقدمة القرطبي لتفسيره ، ١٥/١.

([2]) ينظر ، إعراب القرآن للنحاس ، ٢٤٨/٢، ٢٤٩.

([3]) ينظر ، الجامع ، ١٣/١١، وإعراب القرآن للنحاس ، ٤٦٣/٢.

([4]) ينظر ، الجامع ، ١٤٩/١١، وإعراب القرآن للنحاس ، ٢٦/٣، ٢٧.

([5]) قراءة شاذة ، ينظر المحتسب ، ١٢٤/١ .

([6]) ينظر ، الجامع ، ١٦٨/١، ١٦٩، والمحرر الوجيز ، ٨/١ ، وقد أخذ القرطبي نصاً من تفسير ابن عطية دون الإشارة.

([7]) قراءة متواترة ، ينظر ، القراءات العشر المتواترة لمحمد كريم راجح ، ٨٠، ٨١.

([8]) ينظر ، الجامع ، ٢٤٦/٩ ، والمحرر الوجيز ، ٢٦٩/٣، والأخذ بتصرف من ابن عطية دون الإشارة .

([9]) قراءةمتواترة ، ينظر : تحبير التيسير ، ٥١٦، وإعراب القرآن وعلل القراءات ، للباقولي ، ٢٣٧/٢، والغاية في القراءات العشر ، ٢٤١.

([10]) قراءة متواترة ؛ ينظر المصادر السابقة .

([11]) ينظر ، الجامع ، ٢٧١/١٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ، ٣٣٩/٣، والأخذ نصاً من النحاس مع ذكر ذلك .

إن هذه النقولات التي أخذها القرطبي من النحاس وابن عطية لا تعني إطلاقاً أنه قد اقتصر عليهما في القراءات وتوجيهها ، بل تجاوزهما في كثير من الاستشهادات إلى غيرهما ، فإننا نلاحظ كثيراً من القراءات ومن الآراء الصرفية المحيطة بهذه القراءات التي ذكرها القرطبي ، قد ذكرت عند غيره ممن سبقه ؛ نستشهد منها بالآتي:

-قراءة زربن حبيش ، وأبي بكر عن عاصم والمفضل (منزلاً) بفتح الميم وكسر الزاي ، في قوله تعالى : (وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً) (المؤمنون: ٢٩)[١]

-قراءة حمزة والكسائي (ضراً) بضم الضاد ، في قوله تعالى : (إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً) (الفتح : ١١)[٢] .

-قراءة ابن محيصن وآخرين (مائت) و (مائتون) في قوله تعالى : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ). (الزمر : ٣٠) [٣]

-قراءة حمزة والكسائي (سلفا) بضم السين واللام[٤] ، وقراءة حميد بن قيس (سلفاً) بضم السين وفتح اللام[٥] ، في قوله تعالى : (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً) (الزخرف : ٥٦)[٦] .

-قراءة أبي (أساور) ،[٧] وقراءة ابن مسعود (أساوير) ، وقراءة الباقين(أساورة)[٨] في قوله سبحانه: (فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) (الزخرف:٥٣)[٩]

([1]) ينظر : الجامع ، ١٢٧/١٢، وينظر ذكر هذه القراءة المتواترة وتوجيهها في : (حجة القراءات) ٤٨٦ لأبي زرعة وهو من مخضرمي المئتين الثالثة والرابعة للهجرة ، و(مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني) ٢٩١، للكرماني (ت ٥٦٣هـ).

([2]) ينظر : الجامع ٢٥٧/١٦، والقراءة متواترة ، ينظر (جامع البيان) ٩١/٢٦ للطبري (ت ٣١٠هـ) .

([3]) ينظر ، الجامع ٢٤٢/١٥ وما بعدها ، وينظر ذكر هذه القراءة الشاذة في : المحتسب ٣٠١/٢ في كلامه على الآية(١١) من سورة الزخرف ، و(تفسير البغوي) ١١٨/٧، للبغوي (ت ٥١٦هـ) ، وفيه قول للفراء والكسائي ذكره القرطبي نصاً دون أن يشير إلى ذلك.

([4]) قراءة متواترة ، ينظر (الغاية) ٢٥٨ ، لابن مهران (ت ٣٨١هـ) .

([5]) قراءة غير متواترة ، ينظر (إعراب القرآن) للنحاس ، ١١٥/٤.

([6]) ينظر، الجامع ١٠٠/١٦، وينظر توجيه هذه القراءات المقارب لتوجيه القرطبي ، في (جامع البيان) ١٠٠/٢٥، و(المحرر الوجيز) ٦٠/٥، وقد ذكر القرطبي قولاً للفراء مشيراً إليه ، ينظر في (معاني القرآن) ٣٦/٣، للفراء (ت٢٠٧هـ).

([7]) قراءة شاذة ، ينظر (الميسر في القراءات الأربعة عشرة) لمحمد فهد خاروف ، ٤٩٣.

([8]) قراءة متواترة ، ينظر (التذكرة في القراءات الثمان)٥٤٦/٢ لابن غلبون (ت ٣٩٩هـ).

([9]) ينظر : الجامع ، ٩٨/١٦، وينظر ذكر قراءة الجمهور والقراءة المثبتة في المصحف وهي قراءة حفص ، مع توجيهها في : (المبسوط في القراءات العشر) ٣٣٥، لابن مهران ، و (معاني القرآن) ٦٩٠/٢ ، للأخفش (ت ٢١٥هـ) ، و(الموضح في وجوه القراءات وعللها) ١١٥٢/٣ وما بعدها ، لابن أبي مريم (ت ٥٦٥هـ) ، و (الحجة في القراءات) ٣٢١ وما بعدها لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) ، و(إعراب القرآن) ٢٩٩/٢ للباقولي (ت ٥٤٣هـ) ، و(الوافي في شرح الشاطبية) ٣٥٨.

-قراءة الحسن والجحدري وحماد بن سلمة (بطغواها)[1] بضم الطاء ، في قوله جل وعلا : (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا) . (الشمس : ١١)[2]

-قراءة يحيى بن وثاب والأعمش (المتين)[3] بالجر ، في قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) (الذاريات: ٥٨)[4] .

وهكذا نجد القرطبي يأخذ من مصادر متعددة في ذكر القراءات وعرضها وبسط الآراء حولها ؛ وما عرض من أمثلة إنما هو على سبيل الاستشهاد لا الحصر ؛ حرصاً على الاختصار ، ولا بدلي أن أشير هنا إلى أن التطرق للحديث عن موقف القرطبي مما ينقله من آراء ، سواء أكان مناقشاً ، أو مرجحاً ، أو مجتهداً ، أو واصفاً ؛ أو موظفاً لها في خدمة التفسير ؛ سيكون في فصل خاص أبين فيه – إن شاء الله – منهجه في التعامل مع المادة العلمية المنقولة .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

([1]) قراءة شاذة ، ينظر ، المحتسب ، ٤٣٠/٢ .

([2]) ينظر: الجامع ، ٧٩/٢٠، وينظر ذكر هذه القراءة مع ذكر أحد التوجيهات التي ذكرها القرطبي ، في : (إعراب ثلاثين سورة) ١٠٣، لابن خالويه ، و (جامع البيان) ٢٥٩/٣٠ للطبري .

([3])قراءة شاذة ، ينظر ، المحتسب ، ٣٣٨/٢.

([4]) ينظر : الجامع ، ٥٨/١٧ ، وينظر ذكر هذه القراءة مع توجيه مقارب ، في (الكشاف) ٤٠٩/٤ للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، وفي النص أيضاً قول منسوب للفراء ، يرجع إليه في معاني القرآن للفراء ، ٩٠/٣.

المبحث الثاني

اللهجات

لقد اهتم المفسرون القدامى باللهجات ، واستندوا إليها في توجيه كثير من القراءات، وهذا الاهتمام نابع من اختلاف القراءات القرآنية التي يرجح أن سبب اختلافها ؛ هو تعدد اللهجات العربية ، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال[1] : ((إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف ، فاقرأوا منه ما تيسر)) ، وقوله[2] : ((نزل القرآن على سبعة أحرف أيها قرأت أجزأك))، وقد اختلف في تأويل قوله عليه الصلاة والسلام (سبعة أحرف) على وجوه شتى ، بيد أن هذه الاختلافات في تأويله تكاد تذهب إلى أن اللهجات المختلفة التي كان عليها العرب هي سبب مهم من أسباب هذا الخلاف في القراءات[3] ؛ وترجيح ذلك يعود إلى قوله عليه الصلاة والسلام:((فاقرأوا منه ما تيسر)) وقوله : ((أيها قرأت أجزأك)) وهذا يدلك على أن مقصود سبعة أحرف ، سبعة أوجه من اللهجات متفرقة في القرآن ، وعلى أن الله سبحانه وتعالى بواسع رحمته وعظيم لطفه بعباده قد جعل لهم في قراءة القرآن متسعاً في اللهجات ومتصرفاً في الحركات تيسيراً لهم ، وتسهيلاً لما اعتادت عليه ألسنتهم .

إن المتفحص لكتب القراءات والتفسير والإعراب يجد أن اللهجات تتردد فيها مع القراءات سواء أكان ذلك في الأداء الصوتي للألفاظ ، أو ما يخص أداءها على وفق ما يقتضيه النحو والصرف ؛ ولم يكن القرطبي بعيداً عن ذلك ، فالمتتبع للهجات التي ذكرها في تفسيره ، يجده قد رصدها رصداً جيداً ، مهتماً بشأنها ، وجاعلاً منها مصدراً لتعليل كثير من القراءات .

ومن المفيد أن أشير قبل ذكر منهج القرطبي في التعامل مع اللهجات ، إلى أن العلماء من القدامى قد درجوا على استخدام مصطلح (اللغة) و (اللغات) لما أسماه أهل

([1]) ينظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، رقم (٤٩٩٢).

([2]) ينظر : المسند ، رقم (٢٧٤٩٥) ، ٦٠٥/١٨ ، وقد رمز له المحقق في الهامش بالصحة.

([3]) ينظر تأكيد ذلك في تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، ٣٤ وما بعدها ، وتفسير الطبري ، ٢٥/١ وما بعدها ، وفنون الأفنان في عجائب علوم القرآن ، لابن الجوزي : ٨٤ وما بعدها. وفتح الباري ٢٦/٩ وما بعدها ، وصحيح مسلم بشرح النووي ٣٦٣/٣، وعون المعبود ٢٤٣/٤ وما بعدها ، والجامع لأحكام القرآن ٦٠/١ وما بعدها .

اللغة من المعاصرين (لهجة) و (لهجات) ، ولست بصدد تبيين أيهما أكثر توفيقاً في استخدام المصطلح[1] ، إنما أردت أن أقول : إن قول الأقدمين على لغة قريش أو تميم أو هذيل ، ونحو ذلك يراد به مواد لغوية بعينها ، فاللغات عند الأقدمين يقصد بها (الشواذ والنوادر ، واختلاف المعاني للكلمة الواحدة باختلاف المتكلمين بها ، وما يتعاور الأبنية من الاختلاف الصرفي والنحوي ، لأن كل وجه من ذلك إنما هو أثر من لغة)[2] .

لقد استغرق القرطبي جهده بدعم تفسيره باللهجات المختلفة معتنياً بها إيما اعتناء ، ناهجاً في التعامل معها سبلاً متعددة ، برزت لي من خلال استقرائي للمسائل الصرفية المبسوطة في تفسيره ، في معرض حديثه – غالباً – عن القراءات ، لارتباط اللهجات بالقراءات – كما أسلفت آنفاً – ارتباطاً وثيقاً في القرآن ؛ فكانت المحصلة المستخلصة من هذا الاستقراء المتواضع ، وضوح منهج القرطبي المتنوع في عرض اللهجات ، والذي يظهر لنا من خلال الآتي :

(١)يذكر القرطبي الوجوه المختلفة في التعامل مع اللفظة المعينة ، دون إشارة منه إلى أن هذا الاختلاف ناشئ من تعدد اللهجات ، ففي قوله تعالى : (أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً) (المؤمنون: ٧٢) ذكر القرطبي قراءة من قرأ بألف (خراجاً) إضافة إلى قراءة المصحف ، دون الإشارة إلى اللهجات في هذا الاختلاف[3] ، وكذلك لفظة (السلم)[4] في الآية (٢٠٨) من سورة البقرة ، ولفظة (وهن)[5] في الآية (١٤) من سورة لقمان ، ولفظة (سخرياً)[6] في الآية (٦٣) من سورة ص ، ولفظة (ظعن)[7] في الآية (٨٠) من سورة النحل.

([1]) ينظر تفصيل ذلك : العربية تاريخ وتطور ، للدكتور إبراهيم السمرائي ، ٢٨١، وفي فقه اللغة العربية ، للدكتور مسعود بوبو ، ٢١، وفي اللهجات العربية ، للدكتور إبراهيم أنيس ، ١٦ وما بعدها .

([2]) تاريخ آداب العرب ، للرافعي ، ١٣٨/١ .

([3]) ينظر : الجامع ١٤٨/١٢، وينظر ، غريب القرآن المنسوب لابن عباس ، فقد ذكر فيه أن : خرجاً بغير ألف لغة جير ، وخراجاً بألف لغة قريش ، ٥٨.

([4]) ينظر : الجامع ٢٦/٣، والمحرر الوجيز في بيان آنها لغات ، ٥٤٧/٢، ٥٤٨ .

([5]) ينظر : الجامع ٦٥/١٤ ، ولسان العرب ، حيث قال ابن منظور : (الوهن لغة في الوهن) (وهن) .

([6]) ينظر : الجامع : ٢١٥/١٥ ، وغريب القرآن المنسوب لابن عباس فقد ذكر فيه أن (سخرياً بالكسر لغة قريش ، وسخرياً بالضم لغة تميم) ، ٦٣.

([7]) ينظر : الجامع ١٦٠/١٠، ومعاني القرآن للفراء ١١٢/٢.

(٢)يذكر الوجوه المختلفة للفظة المعينة مع الإشارة إلى أن هذا الاختلاف ناتج عن اختلاف اللهجات ، غير أنه لاينسب هذه اللهجات إلى أصحابها، وهذا النهج مستفيض في تفسيره ، ففي قوله جل في علاه: (يَوْمَ حَصَادِهِ) (الأنعام : ١٤١) ذكر القرطبي قراءتي فتح الحاء وكسرها في لفظة (حصاد) معللاً ذلك بقوله[١] : ((هما لغتان مشهورتان)) مكتفياً بهذه العبارة عن نسبة هاتين اللغتين إلى أصحابها ، وهم تميم(فتح الحاء) وقريش(الكسر)[٢] ومثل هذا لفظة (الرعب) (آل عمران : ١٥١) بضم العين وإسكانها لغتان[٣] ، ولفظة (يحسبهم) (البقرة : ٢٧٣) بفتح السين وكسرها لغتان[٤] ، ومن ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر الألفاظ الآتية:

النشأة – زعم – أثر – الطغوى – خفية – كاملة[٥] .

(٣)يذكر الوجوه المختلفة ، معللاً ذلك باختلاف اللهجات ، ثم ينسب هذه اللهجات إلى أصحابها ، دون ترجيح بينها من حيث الفصاحة والجودة أو الضعف والرداءة، ففي قوله سبحانه:(وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) (هود : ١١٣) نسب القرطبي قولاً لأبي عمرو بن العلاء بأن فتح الكاف في الفعل (تركنوا) لغة أهل الحجاز ، وقولاً للفراء بأن ضم الكاف لغة تميم وقيس ، دون تمييز بينهما[٦] ، ونحو ذلك الفعل (بخلوا) المبني للمعلوم في الآية (١٨٠) من سورة آل عمران ، فقد حكى القرطبي عن النحاس ضم الخاء لغة الحجاز وكسرها لغة سائر العرب[٧] ، وقس على ذلك الألفاظ الآتية : متم ، حوب ، نظرة ، السبيل ، الصراط ، يملل[٨] .

([1]) الجامع : ١٠٤/٧ .

([2]) ينظر :في فقة اللغة العربية ، للدكتور مسعود بوبو ، ٣٦.

([3]) ينظر : الجامع : ٢٤٣/٤، والكتاب لسيبويه ، ١١٤/٤، حيث أشار سيبويه (١٨٠هـ) إلى أن بكر بن وائل وبعضاً من تميم يخففون إذا تتابعت الضمتان نحو : الرسل والعنق ، وأصلهما : الرسل والعنق .

([4]) ينظر الجامع : ٣٤٢/٣، والدر المصون ، ٦٥٥/١، فقد ذكر السمين الحلبي (٧٥٦هـ) لغة تميم بفتح السين ، ولغة الحجاز بالكسر.

([5]) ينظر على التوالي الآيات : ٢٠: العنكبوت ، ١٣٦ : الأنعام ، ٨٤: طه ، ١١ : الشمس، ٦٣: الأنعام ، ١٩٦: البقرة ، وينظر على التوالي في الجامع : ٣٥٠/١٣ ، ٩١/٧، ٢٤٨/١١، ٧٩/٢٠ ، ١٢/٧ ، ٣٩٥/٢.

([6]) ينظر : الجامع ، ١١٢/٩.

([7]) نفسه ، ٣٠١/٤.

([8]) ينظر على التوالي الآيات : ١٥٨ : آل عمران ، ٢: النساء ، ٢٨٠ : البقرة ، ٥٥: الأنعام ، ٦: الفاتحة ، ٢٨٢: البقرة ، وينظر في الجامع على التوالي : ٢٥٩/٤، ١٥/٥، ٣٧٢/٣، ٤١٠/٦، ١٦٥/١، ٣٨٣/٣ .

(٤)يذكر الوجوه المختلفة للفظة المعينة ، ثم يردها إلى تعدد اللهجات مع التمييز بينها من حيث الانتشار والفصاحة أو الشذوذ والرداءة ، فتجده تارة يقدم أجودها ، وتارة يشير أو يصرح بفصاحة إحداها ، وتارة يلمح إلى ذلك بذكر رداءة إحدى اللهجات ، أو ضعفها ، أو شذوذها ؛ ففي قوله تعالى : (وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ) (النور : ٢) يقول القرطبي[١] : ((والرأفة أرق الرحمة ، وقرئ (رأفة) بفتح الألف على وزن فعلة ، وقرئ (رآفة) على وزن فعالة ؛ ثلاث لغات ، وهي كلها مصادر ، أشهرها الأولى)) ؛ ويقصد بالأولى ساكنة الهمزة المثبتة في المصحف[٢]. وفي قوله سبحانه : (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) (النساء: ١٤٥) ذكر قراءتي فتح الراء وإسكانها في (الدرك) ، ثم نقل عن النحاس فصاحة (الدرك) بفتح الراء؛ لأنه يقال في الجمع : أدراك ، مثل جمل وأجمال[٣] ؛ وفي لفظة (عسيتم) (البقرة : ٢٤٦) يذكر قراءتي فتح السين وكسرها ، ويشير إلى أن قراءة الفتح هي الأشهر ، موضحاً ذلك بقوله[٤]:((والفتح في السين هي اللغة الفاشية))بيد أن القرطبي – رحمه الله – لم يصف قراءة الكسر بالضعف أو الرداءة ، كما زل في ذلك بعض العلماء ، فقد نسب النحاس إلى ابن السكيت وغيره أن (عسيت) بكسر السين لغة رديئة[٥] ،ووصفها الزمخشري بالضعف[٦] ؛ وهذا مما لا ينبغي أن يوصف به مثل هذه القراءة ، خاصة إذا علمنا أنها متواترة[٧] ، وأنها لغة النبي صلى الله عليه وسلم[٨] ؛ فبأي وجه يجوز وصفها بالرداءة أو الضعف ، وقد ثبت تواترها ، واستعملت في لهجة تعد من أكثر اللهجات فصاحة ، ألا وهي لغة أهل الحجاز ؛ ومما يدلك على فصاحة لغة الحجاز ترجيح القرطبي قراءة فتح اللام في (ضللت) عند قوله سبحانه : (قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ)

([1]) الجامع : ١٧١/١٢.

([2]) ينظر: إعراب القرآن للنحاس : ١٢٨/٣، والمحرر الوجيز : ١٦١/٤.

([3]) ينظر : الجامع : ٤٢٢/٥ ، وإعراب القرآن للنحاس : ٤٩٨/١.

([4]) الجامع : ٢٤١/٣.

([5]) ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٢٤٦/١.

([6]) ينظر : الكشاف : ٣١٩/١.

([7]) ينظر : التلخيص في القراءات الثمان : ٢١٩.

([8]) كسر السين لغة الحجاز ، وفتحها لغة سائر العرب ؛ ينظر : المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية : ١٠٥.

(الأنعام : ٥٦)فقد ذكر أن قراءة كسر اللام هي لغة تميم وأن الحجازيين يفتحون اللام، وأنها أصح وأفصح ، وبها قرأ الجمهور[١] .

وفي حديثه عن لفظة (ضعف) (الروم : ٥٤) نلمح ترجيح القرطبي لقراءة ضم الضاد بقوله[٢]:((والضم لغة النبي صلى الله عليه وسلم)) مع أن قراءة فتح الضاد متواترة، وهي لغة تميم[٣] ؛ ولعل القرطبي بقوله : لغة النبي صلى الله عليه وسلم ، يريد أن يشير إلى حديث ابن عمر رضي الله عنه[٤] ، الذي روى أنه قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية بفتح الضاد فأرجعه عليه الصلاة والسلام إلى الضم .

ومن المهم أن أشير إلى أن القرطبي قد أورد أسباباً أخرى في اختلاف استعمال هذه اللفظة ، أغضضت الطرف عن ذكرها؛ لعرضها في مباحث أخرى ضمن الحديث عن البنية الصرفية ودلالاتها .

وفي قوله سبحانه : (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) (يوسف : ١٠٣) قال القرطبي[٥] : ((يقال : حرص يحرص مثل ضرب يضرب ، وفي لغة ضعيفة حرص يحرص)) ، وذكره للغة الضعيفة إشارة واضحة إلى فصاحة لغة الفتح في الماضي والكسر في المضارع لعين الفعل ، وهذا ما أوضحه السيوطي (ت ٩١١هـ) بأن قول العامة (حرصت) بالكسر (أحرص) بالفتح ، لغة معروفة صحيحة ، إلا أنها في كلام العرب الفصحاء قليلة ، والفصحاء يقولون بالفتح في الماضي والكسر في المستقبل[٦] .

لقد حاولت من خلال هذا العرض المختصر أن أبين منهج القرطبي في رصد اللهجات، موضحاً في ذلك تنوع الأسلوب ، ومقتصراً على بعض النماذج خشية الإطالة ، مكتفياً بها لتقريب الرؤية الواضحة لهذا النهج .

ومما ينخرط في سلك هذا المبحث ، ويدخل في نظامه رصد الظواهر اللهجية المرتبطة بالمسائل الصرفية التي يمكن لنا تحديدها بالآتي :-

---

(1) ينظر : الجامع : ٤١١/٦ ، وإصلاح المنطق : ٢٠٦-٢٠٧.

(2) الجامع : ٤٨/١٤.

(3) نفسه : ٤٨/١٤.

(4) ينظر هذا الحديث : صحيح سنن الترمذي ١٧١/٣ ، وصحيح سنن أبي داود ٤٩٠/٢.

(5) الجامع : ٢٧٧/٩.

(6) ينظر : المزهر في علوم اللغة ، ١٧٠/١، ١٧١.

أولاً: الظواهر اللهجية الصرفية في الأسماء :

(١)المصدر :

لقد تعدد استعمال بعض اللهجات للمصدر الواحد ، مما جعل القرطبي يتناول كثيراً منها ، من ذلك المصدر (كذاباً) المضعف العين في قوله تعالى : (وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً) (النبأ : ٢٨) الذي جاء على صيغة (فعال) فهو من مصادر الفعل (فعل) في اللهجة اليمانية وهي لهجة فسيحة ؛ يقولون : خرقت القميص خراقاً وكلمته كلاماً ، وحملته حمالاً[١] ، وقد علل الأخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ) مجيئه على هذه الصورة بقوله[٢] : ((لأن فعله على أربعة ، أراد أن يجعله مثل باب (أفعلت إفعالاً) فقال (كذاباً) فجعله على عدد مصدره، وعلى هذا القياس تقول : قاتل قيتالاً ؛ وهو من كلام العرب)) ، وقد سبقه إلى هذا التعليل سيبويه[٣] .

إن الصورة الشائعة عند العرب أن يكون مصدر هذا الفعل المضعف على وزن (تفعيل) نحو : كذب تكذيباً ، لكن هذه الصورة تغيرت في استعمال اليمانيين لها ، وهنالك صورة أخرى لهذا المصدر وهو أن يأتي على وزن (فعال) بالتخفيف ، كقول الأعشى :

فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذا به[٤] .

ومن اختلاف اللهجات في المصادر تسكين بعض العرب كتميم وغيرهم ما أصله متحرك نحو : (نظرة) في قوله سبحانه : (فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ) (البقرة : ٢٨٠) فقد قرأ مجاهد وأبو رجاء والحسن (نظرة) بسكون الظاء ، وهي لغة تميمية[٥] ، رغبة منهم في التخفيف[٦] ، نحو : كبد وعضد[٧] ، وكلمة[٨] ؛ وقد يحركون ما أصله التسكين ، ويكثر ذلك

([1]) ينظر : الجامع ١٧٥/١٩، والكتاب ، ٧٩/٤، ومعاني القرآن للفراء ٢٢٩/٣.

([2]) معاني القرآن له ، ٧٢٧/٢.

([3]) ينظر : الكتاب ، ٧٩/٤، والأصول في النحو لابن السراج ، ١١٦/٣.

([4]) ينظر : إعراب القرآن للنحاس ، ١٣٣/٥ ، والمخصص لابن سيدة ١٢٨/١٤، والجامع ١٧٥/١٩.

([5]) ينظر : الجامع ، ٣٧٢/٣، والمحتسب ، ٢٣٧/١.

([6]) ينظر تفصيل هذه الظاهرة في : اللهجات العربية نشأة وتطوراً ، ٣٠٠ وما بعدها.

([7]) وأصلهما : كبد وعضد ، والتسكين لغة بكر بن وائل وأناس من تميم ، ينظر ، الكتاب : ١١٣/٤ والأصول في النحو لابن السراج ١٥٨/٣ وشرح الفصيح لابن هشام اللخمي ، ١٣٢.

([8]) ذكر ابن جني في الخصائص أن (كلمة) بفتح الكاف وكسر اللام حجازية، و (كلمة) بكسر الكاف وسكون اللام تميمية ، ٢٧/١.

في الحروف الحلقية[1] ، سواء أكانت في الأسماء أو الأفعال، نحو: (ظعنكم) في الآية (٨٠) من سورة النحل بإسكان العين وفتحها لغتان كالشعر والشعر[2] ، وفي الأفعال قول بعضهم: يغدو ، وهو يريد : يغدو[3] .

ومن اختلاف اللهجات – أيضاً – في المصادر ، تغير حركة الحرف الواحد من لهجة لأخرى نحو : (المطلع)بفتح اللام وكسرها في قوله تعالى: (حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) (القدر:٥)، يقول القرطبي[4] : ((والفتح والكسر لغتان في المصدر ، والفتح الأصل في فعل يفعل ، نحو : المقتل ، والمخرج ؛ والكسر على أنه مما شذ عن قياسه ، نحو : المشرق ، والمغرب ، والمنبت ، والمسكن ، والمحشر ، والمسقط ، والمجزر[5] ؛ حكي في ذلك كله الفتح والكسر ؛ على أنه يراد به المصدر لا الاسم)).

ومن أمثلة هذه الظاهرة التي ذكرها القرطبي ، منها :

-المصدر (ضيق) في الآية (١٢٧) من سورة النحل[6].

-المصدر (كره) في الآية (٢١٦) من سورة البقرة[7] .

-المصدر (قرح) في الآية (٤٠) من سورة آل عمران[8] .

-المصدر(ضر) في الآية (١١) من سورة الفتح[9] .

-المصدر (حوب) في الآية (٢) من سورة النساء[10] .

-المصدر (شرب) في الآية (٥٥) من سورة الواقعة[11] .

---

(1) ينظر : الجامع : ١١٣/٧، ١١٤ ،والمحتسب ، ٢٠٩/٢ ، واللهجات العربية نشأة وتطوراً ، ٣٠٩.

(2) ينظر : الجامع ، ١٦٠/١٠ ، ومعاني القرآن للفراء ١١٢/٢.

(3) ينظر : المحتسب ، ٢٠٩/٢.

(4) الجامع : ١٣٤/٢٠.

(5) ينظر : الجمل في النحو للزجاجي ، ٣٨٨ .

(6) قال القرطبي : (قال بعض اللغويين : الكسر والفتح في الضاد لغتان في المصدر) ، الجامع ، ٢٠٩/١٠.

(7) نقل القرطبي عن ابن عرفة جواز الضم في الكاف بمعنى الفتح فيكونان لغتين ، يقال : كرهت الشيء كرهاً وكرهاً . ينظر : الجامع ٤٣/٣، والصحاح للجوهري (كره).

(8) نقل القرطبي عن الكسائي والأخفش أن الضم والفتح لغتان فيه ، ٢٢٩/٤، وينظر : الصحاح (قرح).

(9) ذكر القرطبي أن ضم الضاد وفتحها لغتان بمعنى ، ينظر : الجامع ٢٥٧/١٦، وجامع البيان للطبري ، ٩١/٢٦، وإعراب القرآن للنحاس ، ١٩٩/٤.

(10) ذكر القرطبي أن (حوباً) بضم الحاء لغة أهل الحجاز ، أما (حوباً) بالفتح ، فقد نقل عن الأخفش أنها تميمية ، وعن مقاتل أنها حبشية ، الجامع ١٥/٥.

(11) ذكر القرطبي فيها ثلاث لغات : ضم الشين وفتحها وكسرها ، الجامع ١٩٢/٥.

لم يكتف القرطبي في مثل هذه الظاهرة بعلة اختلاف اللهجات ، بل ذكر وجوهاً أخرى صرفية ودلالية ، آثرت ألا أناقشها هنا – كما ذكرت آنفاً – لتفريغ مباحث خاصة لها ، في ثنايا الحديث عن البنية الصرفية ودلالاتها .

(٢)الجنس :

أورد القرطبي ألفاظاً جائزة التأنيث والتذكير ، وهذه الظاهرة من ظواهر تعدد اللهجات، فالحجازيون يغلب عليهم التأنيث ، والتميميون يغلب عليهم التذكير لبعض الألفاظ نحو : العنق ، والعضد ، والطريق ، والسبيل ، والصراط ، والسوق ، والتمر ، والشعير ، والذهب[١].

ومما ذكره القرطبي في هذه الظاهرة اللهجية لفظة (السبيل) في قوله تعالى : (وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) (الأنعام : ٥٥) فتميم تذكره ، وأهل الحجاز تؤنثه[٢]، وقد جاء التنزيل باللغتين ، فالمذكر نحو قوله سبحانه : (وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً) (الأعراف : ١٤٦) ، والمؤنث في قوله تعالى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي) (يوسف : ١٠٨).

ومن الألفاظ التي تذكر وتؤنث لفظة (السماء) وإن غلب استعمالها مؤنثة ، وتذكيرها شاذ[٣] ، مما جعل ابن قتيبة (٢٧٦هـ) وابن إسحاق الزجاجي (٣٤٠هـ) يصنفانها ضمن الأسماء المؤنثة[٤] .

([1]) ينظر : رسالة الماجستير المقدمة في قسم اللغة العربية جامعة عدن : (لهجات القبائل العربية وأثرها في الدرس النحوي) لقدوى حسان ، ١١٢، وفقه اللغة العربية ، لمسعود بوبو ، ٣٩.

([2]) ينظر: الجامع ٤١٠/٦ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، باب مايذكر ويؤنث ، ١٩٧ ، والبحر المحيط ، ١٤٤/٤، والتأنيث في اللغة العربية ، ٢١٨.

([3]) ينظر: الجامع ٢٣٤/١، ٢٧٦ ، والمخصص ٢/٩ ، والتأنيث في اللغة العربية ، ٢١٨.

([4]) ينظر: أدب الكاتب ، باب الأسماء المؤنثة التي لا أعلام فيها للتأنيث ، ١٩٦ والجمل في النحو ، باب ما يؤنث من غير أعضاء الحيوان ولا يجوز تذكيره ، ٢٩٤.

وأما لفظة (الهدى) فإن العرب تذكرها عدا بعض بني أسد فإنهم يؤنثونها فيقولون : هذه هدى حسنة[1] ، غير أن القرطبي ينحاز إلى تأنيثها بقوله[2] : ((الهدى لفظ مؤنث)) ثم يذكر بعد ذلك قولاً للفراء بتأنيث بني أسد لها ، وقولاً للحياني بأنها مذكر.

ومن الألفاظ التي تستعملها العرب بالتذكير والتأنيث ألفاظ الجموع وخاصة منها جموع التكسير نحو : الشياطين، والملائكة ، ووجوه ؛ واسم الجنس الجمعي (البقر)[3].

(٣)المقصور والممدود :

يغلب على اللهجات الحجازية المد ، وأما تميم وأسد وقيس فالغالب عليهم القصر لما أمده الحجازيون ، ويتضح لنا ذلك في تفسير القرطبي مما يأتي:

-لفظة (أولاء) في الآية : (هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِي) (طه : ٨٤) نجد بني تميم يقولون : (أولى) مقصورة مرسلة ، وأهل الحجاز يقولون (أولاء) ممدودة [4].

-لفظة (هؤلاء) في الآية : (أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ) (البقرة : ٣١) ، لغة تميم وبعض قيس وأسد فيه القصر ؛ قال الأعشى :

هؤلا ثم هؤلا كلا أعطيـ ـت نعالا محذوة بمثال[5]

أما الحجازيون فإنهم يمدونها مع الكسر فيقولون (هؤلاء)[6] .

-لفظة (زكريا) في الآية : (وكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) (آل عمران : ٣٧) ، أهل الحجاز يمدون زكرياء ويقصرونه ، وأهل نجد يحذفون منه الألف ويصرفونه[7] .

-لفظة (مناة) في الآية : (وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى) (النجم : ٢٠) ، قرأ ابن كثير وغيره بالمد والهمز (مناءة) ، والباقون بترك الهمز لغتان[8] .

([1]) ينظر : البحر المحيط ١٥٥/١، والتأنيث في اللغة العربية ، ٢٢٢.

([2]) الجامع : ١٧٩/١.

([3]) ينظر على التوالي الآيات : ٧١ : الأنعام، ٣٩: آل عمران ، ١٠٦ : آل عمران ، ٧٠: البقرة ، وينظر في الجامع على التوالي : ٢١/٧ ، ٧٩/٤، ١٧٥/٤، ٤٥٥/١.

([4]) ينظر : الجامع ٢٤٨/١١ ، والأساس في فقه اللغة العربية وأرومتها للدكتور هادي نمر ، ٢٩٤.

([5]) ينظر : الجامع : ٢٩٨/١.

([6]) ينظر: الأساس في فقه اللغة العربية وأومتها : ٢٩٤.

([7]) ينظر : الجامع ، ٧٥/٤.

([8]) نفسه ، ١٠١/١٧.

(٤) الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة :

أريد هنا أن أستعرض بعض الأمثلة التي أوردها القرطبي في اختلاف بعض اللهجات في النطق بهذه الأسماء المبنية ، أبدؤها بالضمائر :

-لغة بني يربوع من بني تميم كسر ياء المتكلم إذا أضيف إلى جمع المذكر السالم ، أو إلى حرف من حروف الجر ، أو إلى كلمة منتهية بألف[١] ، ففي قوله تعالى : (وَمَـا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) (إبراهيم : ٢٢) قرأ الأعمش وحمزة بكسر ياء المتكلم في (بمـصرخي) المضافة إلى جمع المذكر السالم (مصرخين) ، وعلل القرطبي ذلك بقوله[٢] : ((ومن كسر فللتقاء الساكنين ؛ حركت إلى الكسر ؛ لأن الياء أخت الكسرة)) ولعـل مقـصوده بـذلك ، التجانس الصوتي لكسرة ياء المتكلم مع الكسرة التي قبلها ، لأن الانتقال من الكسرة التي في (الخاء) إلى الفتحة التي في الياء ، فيه شيء من عدم المجانسة الصوتية ، فكان كسر الياء عند بعض اللهجات طلبا لليسر والسهولة في النطق.

-لغة هذيل ، إذا كانت ياء المتكلم مضافة إلى كلمة منتهية بألف ، فإنهم يقلبون هذه الألف ياء ، ويدغمونها في ياء المتكلم[٣] ، ففي الآية : (فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ) (البقرة : ٣٨) قرأ الجحدري (هدي) على لغة هذيل ، كقول أبي ذؤيب الهذلي :

سبقوا هوي وأعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع[٤] .

ومن أمثلة ذلك (محياي)[٥] (الأنعام : ١٦٢) و(عصاي)[٦] (طه : ١٨) وقراءة أهل المدينة وأهل البصرة (يابشراي) (يوسف : ١٩) [٧].

([1]) ينظر ، لهجات القبائل العربية ، لفدوى حسان ، ٨١ وما بعدها .

([2]) الجامع ٣٦٩/٩.

([3]) ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ، ٣١/٣، وتاريخ آداب العرب ، ١٤٥/١، ١٤٦، ولهجات القبائل العربية ، ٨١ وما بعدها.

([4]) ينظر القراءة والبيت الشعري : الجامع ٣٣٩/١، وإعراب القرآن للنحاس ، ٢١٦/١، والمحرر الوجيز ١٣٢/١.

([5]) قرئت (محيي) وهي لغة عليا مضر ، ينظر : الجامع ١٥٠/٧.

([6]) قرئت (عصي) وهي لغة هذيل ، نفسه : ١٩٥/١١.

([7]) واستثنيت من قراءتهم ، قراءة ابن أبي إسحاق (يابشري) ، نفسه ١٥٧/٩.

-لغة أهل نجد تسكين ها الضميرين (هو وهي) إذا سبقا بالواو أو الفاء أو اللام أو ثم ، ولغة الحجاز التثقيل[1] ؛ ففي قوله تعالى : (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة : ٢٩) أشار القرطبي إلى إسكان الهاء من هو وهي ؛ إذا كان قبلها فاء ، أو واو، أو لام، أو ثم ، ومن ذلك قراءة الكسائي وقالون عن نافع بإسكان الهاء[2] .

وكذا قوله تعالى : (وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ) (البقرة : ٨٥) وقراءة تسكين الهاء لثقل الضمة ، كقول امرئ القيس :

فهو لا تنمي رميته ماله لا عد من نفره[3] .

-لغة الحجاز إثبات ألف الضمير (أنا) وقفاً ، وحذفها وصلاً ؛ ولغة تميم وبعض من قيس وربيعة إثباتها وقفاً ووصلاً[4] ،ففي قوله جل في علاه : (قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ) (البقرة : ٢٥٨) ، ذكر القرطبي[5] قراءة الجمهور بطرح الألف في الوصل ، وأثبتها نافع وابن أبي أويس ، إذا لقيتها همزة في كل القرآن ، عدا مواضع ثلاثة[6] أجراها مجرى ماليس بعده همزة ؛ لقلتها فحذفت الألف في الوصل .

-الضمير (إياك) ، ذكر القرطبي[7] لغة فتح الهمزة فيه ، ولغة إبدال الهمزة هاء ، فيقال (هياك) ومنه قول الشاعر :

فهياك والأمر الذي إن توسعت موارده ضاقت عليك مصادره[8]

أما أسماء الإشارة والأسماء الموصولة فسأبينها باختصار فيما يأتي :

-هذه : لغة والأصل فيها (هذي)[9] .

([1]) ينظر : التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، ٢٠١/٢، وحاشية الصبان على شرح الأشموني ، ١١٣/١، ١١٤ ، والمقتبس من اللهجات العربية والقرآنية ، ١٠١، واللهجات العربية نشأة وتطوراً ، ٣٠٨.

([2]) ينظر : الجامع ، ٢٧٧/١.

([3]) نفسه ، ٢٦/٢، وإعراب القرآن للنحاس ٢٤٤/١.

([4]) ينظر الجامع ٣١/٧ والتذييل والتكميل ١٩٥/٢، ولهجات القبائل العربية ، ٧٦.

([5]) ينظر الجامع ، ٢٨٦/٣ .

([6]) هذه المواضع هي : الأعراف : ١٨٨، والشعراء : ١١٥ ، والأحقاف : ٩.

([7]) ينظر الجامع ، ١٦٣/١، عند قوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) (الفاتحة : ٥) .

([8]) ينظر : المحتسب ، ١١٤/١، والبيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري ٣٧/١ والجامع ١٦٣/١.

([9]) ينظر الجامع ٣١٦/١، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري : ٢٠٤/١.

-أولئك : أهل نجد يقولون (ألاك) وبعضهم (ألالك)[1] .

-التي : في إفرادها ثلاث لغات : التي ، واللت (بكسر التاء) واللت(بإسكانها) ، وفي تثنيتها ثلاث لغات : اللتان ، واللتا (بحذف النون) واللتان (بتشديد النون) ، وفي جمعها ثمان لغات : اللائي ، اللات (بكسر التاء بلاياء) واللواتي ، واللوات (بلاياء) واللوا (بإسقاط التاء) واللائي (بالهمز وإثبات الياء) واللاء (بكسر الهمز وحذف الياء) واللا (بحذف الهمزة والياء)[2].

-الذين : هذيل تعاملها معاملة جمع المذكر السالم في الرفع فتقول : اللذون ، ومن العرب من يقول (اللذو)[3] .

(٥)الجموع :

وردت لهجات مختلفة لبعض الجموع ومفرداتها ، تطرق القرطبي إلى بعض منها ؛ ففي الآية (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ) (النساء : ٤) نقل القرطبي عن الأخفش ، قول بني تميم (صدقات) بضم الميم وإسكان الدال ، ومفردها عندهم (صدقة) [4].

وأما (المثلات) في الآية : (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ) (الرعد : ٦) فقد ذكر القرطبي فيها لغات[5] : (المثلات) بضم وسكون ، ومفردها (مثلة) بضم وفتح[6] ، ويجوز في هذا الجمع تخفيف الضم فيقال : (مثلات) ، ومن لغاتها : (مثلات) المثبتة في المصحف، ومفردها (مثلة) ، و (مثلات) بضمتين ، ومفردها (مثلة) بضم وسكون[7] ، مثل غرفة وغرفات ، وظلمة وظلمات ، وقد نسب القرطبي هذا الجمع مع مفرده إلى تميم[8] ، بيد أن

([1]) ينظر الجامع ١٩٨/١، ولهجات القبائل العربية ، ٧٢.

([2]) ينظر الجامع : ٢٥٢/١ ، ولهجات القبائل العربية ، ٦٧ وما بعدها .

([3]) ينظر الجامع : ١٦٥/١، ولهجات القبائل العربية ، ٦٤.

([4])ينظر الجامع ٢٨/٥، ومعاني القرآن للأخفش ٤٣٣/١ ؛ وأما (صدقات) فهي حجازية ومفردها عندهم (صدقة) ، ينظر معاني القرآن للفراء ٥٩/٢.

([5]) ينظر الجامع ٢٩٣/٩.

([6]) ينظر ، جموع التصحيح والتكسير ، للدكتور عبد المنعم عبد العال ، ٢٨٢.

([7]) ينظر ، المحرر الوجيز ، ٢٩٦/٣، وجموع التصحيح والتكسير ، ٢٨٢.

([8]) ينظر ، الجامع ، ٢٩٣/٩.

الفراء والنحاس قد ذكرا خلاف ذلك ، فقد نسبا إلى تميم ضم الميم وإسكان الثاء في الجمع والمفرد (مثلات ومثلة)[1].

وأما (خطوات) في الآية : (وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) (البقرة : ١٦٨) فقد نقل القرطبي عن الجوهري ثلاث لغات في جمع القلة هذا : خطوات ،وخطوات ، وخطوات؛ والكثير خطا[2].

وأما (أصابع) في الآية: (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ) (البقرة : ١٩) ففي مفردها خمس لغات : إصبع (بكسر الهمزة وفتح الباء) ، وأصبع (بفتح الهمزة وكسر الباء) ، وأصبع (بفتحهما) ، وأصبع (بضمهما) ، وإصبع (بكسرهما)[3] ؛ وأما (الحجرات) في الآية الرابعة من سورة الحجرات ، فهي إما جمع حجرة مثل غرفات وغرفة ، أو جمع حجر ، والحجر جمع حجرة ، فهي جمع الجمع ؛ وفيها لغتان : ضم الجيم وفتحها[4] .

مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثانياً: الظواهر اللهجية الصرفية في الأفعال :

(١)الثلاثي والرباعي (فعل وأفعل):

الغالب على الحجازيين استعمال الفعل الثلاثي ، بينما نسب إلى تميم وبعض اللهجات استعمال الفعل الرباعي ، وهذا الاستعمال قد يحمل معنى واحداً إذا تعددت اللهجات في استعماله ، أما إذا تعدد الاستعمال في إطار اللهجة الواحدة ؛ فإن المعنى بلا شك يتغير بزيادة بعض الأحرف ، عملاً بالقاعدة المعروفة عند العرب ؛ الزيادة في المبنى زيادة في المعنى[5] .

ومما جاء في تفسير القرطبي من نماذج لهذه الظاهرة ، ما أشار القرطبي إليه في قوله سبحانه:(أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) (النساء: ١٠١) من أن الحجازيين يقولون : فتنت

([1]) ينظر معاني القرآن للفراء ٥٩/٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣٥٢/٢.

([2]) ينظر الجامع ٢١٣/٢، والصحاح (خطا).

([3]) ينظر الجامع : ٢٣٧/١، وإعراب القرآن للنحاس : ١٩٤/١.

([4]) ينظر الجامع : ٢٩٥/١٦، ٢٩٦، وإعراب القرآن للنحاس : ٢١٠/٤.

([5]) ينظر أمثلة لهذه القاعدة في الأشباه والنظائر : ١٨٠/١ وما بعدها .

الرجل ، وربيعة وقيساً وأسداً وجميع أهل نجد يقولون : أفتنت الرجل[1] ؛ ونحو ذلك ما جاء في قوله تعالى : (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ) [2] (الصافات : ١٦٢). وفي الآية : (ولا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) (المائدة : ٤١) ألمح القرطبي إلى أن : حزنه ، لغة قريش ؛ وأحزنه ، لغة تميم . وقد قرئ بهما[3].

وفي الآية : (فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ) (طه : ٦١) أشار إلى لغة الحجاز (سحت) ، ولغة بني تميم (أسحت)[4] ؛ وكذا في قوله سبحانه : (نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ) (النحل: ٦٦) بين القرطبي أن القرشيين يقولون : سقى ، والحميريين يقولون : أسقى ، وقد قرئ بهما في الآية[5] . ومثل ذلك (أخفيها)[6] (طه: ١٥) و (يسلكه)[7] (الجن : ١٧) .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

(٢) كسر حرف المضارعة :

تميل تميم وبعض اللهجات إلى كسر حرف المضارعة خاصة التاء والنون والهمزة ، ويقل في الياء استثقالاً للكسرة[8] ، وعد سيبويه هذه الظاهرة لغة جميع العرب سوى أهل الحجاز[9] ؛ وتسمى هذه اللهجة (التلتلة)[10] .

وقد كان لهذه الظاهرة في تفسير القرطبي نصيب ، ففي الآية : (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة : ٥) ذكر القرطبي قراءة كسر نون المضارعة في الفعل (نستعين) وعلق عليها

([1]) ينظر : الجامع : ٣٦٢/٥.

([2]) نفسه : ١١٣/١٥، ومعاني القرآن للفراء : ٣٩٤/٢.

([3]) ينظر : الجامع : ١٧٥/٦، والمزهر : ١٨٣/١.

([4]) ينظر : الجامع : ٢٢٨/١١ ، وإعراب القرآن للنحاس : ٤٣/٣، والمحرر الوجيز : ٥٠/٤.

([5]) ينظر : الجامع : ١٢٩/١٠-١٣٠.

([6]) نفسه : ١٩١/١١، والمحتسب : ٩١/٢.

([7]) ينظر الجامع: ٢١/١٩.

([8]) ينظر : المحتسب : ٤٥٢/١-٤٥٣، والبيان في غريب إعراب القرآن : ٣٨/١.

([9]) ينظر : كتاب سيبويه : ١١٠/٤، وينظر تفصيل هذه الظاهرة في : شرح الشافية : ١٤١/١-١٤٣، وحركة حروف المضارعة ، للدكتور عبد الله بن ناصر القرني ، مجلة الجامعة الإسلامية : ٤٦٠ وما بعدها .

([10]) ينظر : الأساس في فقه اللغة العربية وأرومتها : ٢٨٥، وفي اللهجات العربية : ١٣٩.

قائلاً[1] : ((وهي لغة تميم وأسد وقيس وربيعة ؛ ليدل على أنه من استعان ، فكسرت النون كما تكسر ألف الوصل)).

وفي الآية : (مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ) (آل عمران : ٧٥) أو رد قراءة ابن وثاب والأشهب (تيمنه) فقال[2] : ((وهي لغة بكر وتميم)).

وكذا في الآية : (مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ) (يوسف : ١١) بكسر التاء (لا تيمنا)[3] ، والآية : (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوه) (آل عمران : ١٠٦) بجواز كسر التاءين في الفعلين المضارعين[4] .

(٣)اختلاف حركة عين الفعل :

وردت في الجامع أفعال تغيرت فيها حركة عين الفعل ، عللت باختلاف اللهجات ؛ من ذلك قراءة الأشهب العقيلي (فاجنح) بضم النون في الآية : (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) (الأنفال : ٦١) حيث ذكر القرطبي فتح النون بأنها لغة تميم ، وضيمها لغة قيس[5] ، وفي الآية : (فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) (البقرة : ٢٦٠). بين القرطبي قراءة كسر الصاد وتشديد الراء المفتوحة (فصرهن) مورداً رأي أبي الفتح بن جني بغرابة هذه القراءة[6] ؛ لأن يفعل بكسر العين في المضاعف المتعدي قليل ؛ وإنما بابه يفعل بضم العين كشد يشد ونحوه ؛ لكنه قد جاء منه : نم الحديث[7] ينمه وينمه ، وهر الحرب[8] يهرها ويهرها ، ومنه بيت الأعشى:

ليعتورنك القول حتى تهره[9] .

---

(1) الجامع : ١٦٣/١.

(2) الجامع : ١٢٣/٤.

(3) نفسه ، ١٤٢/٩.

(4) نفسه ، ٧٥/٤.

(5) نفسه ، ٤٣/٨.

(6) نفسه ، ٣٠٢/٣، والمحتسب ، ٢٢٧/١، ٢٢٨.

(7) أي ؛ أظهره .

(8) أي ؛ كرهها .

(9) ينظر ، المحرر الوجيز ، ٣٥٤/١.

وفي الآية : (وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُم) (آل عمران : ١٥٨) ذكر القرطبي لغة أهل الحجاز بكسر الميم من (متم) مثل نمتم، من مات يمات ، مثل خفت يخاف ، ولغة سفلى مضر: (متم) بضم الميم مثل صمتم ، من مات يموت كقولك : قال يقول وكان يكون[١] ، وقد علل السيوطي كسر الميم من باب تداخل اللغات قائلاً[٢] : ((قال الفراء وغيره من أهل العربية ، فعل يفعل لا يجيء في الكلام إلا في هذين الحرفين : مت تموت في المعتل ودمت تدوم ، وفي السالم ، فضل يفضل؛ أخذوا (مت) من لغة من قال (يفضل)، وأخذوا (يموت) من لغة من قال : (يفضل) ، ولا ينكر أن يؤخذ بعض اللغات من بعض)).

وقصد السيوطي في ذلك أن (مت) مكسورة العين يأتي مضارعها مضموم العين (يموت) ، وهذا بالجمع بين لغتين : الكسر في الماضي من لغة أهل الحجاز ، والضم في المستقبل من لغة سفلى مضر ، ونحو هذا التداخل فتح السين وكسرها في الفعل (يحسبهم)[٣] (البقرة : ٢٧٣)، والفعل (تركنوا)[٤] (هود : ١١٣) والفعل (يقنط)[٥] (الحجر : ٥٥).

وحتى لا أطيل في هذا المقام أكتفي بعرض أمثلة في اختلاف حركة عين الفعل في بعض اللهجات منها :

- الفعل (بهت) في الآية (٢٥٨) من سورة البقرة[٦] .
- الفعل (كمل) في سياق الحديث عن الآية (١٩٦) من سورة البقرة[٧] .
- الفعل (يبخلون) في الآية (١٨٠) من سورة آل عمران[٨] .
- الفعل (ضللت) في الآية (٥٦) من سورة الأنعام[٩] .
- الفعل (تنقمون) في الآية (٥٩) من سورة المائدة[١٠] .

---

(1) ينظر ، الجامع ، ٢٥٩/٤.

(2) المزهر ، باب تداخل اللغات ، ٢٠٨/١-٢٠٩.

(3) ينظر الجامع ، ٣٤٢/٣، النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ) ، ٢٢٥، والمزهر ، ٢٠٩/١.

(4) ينظر الجامع ، ١١٢/٩، والمحتسب ، ٤٥٢/١.

(5) ينظر : الجامع ٤٠/١٠ .

(6) ينظر الجامع ، ٢٨٧/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣٣٢/١، والمحتسب ٢٢٦/١.

(7) ينظر ، الجامع ٣٩٥/٢ ، والصحاح (كمل).

(8) ينظر ، الجامع ، ٣٠١/٤.

(9) ينظر ، الجامع ، ٤١١/٦، وإعراب القرآن للنحاس ، ٧٠/٢ ، وفقه اللغة العربية ، لمسعود بوبو ٣٦.

(10) ينظر ، الجامع ، ٢٢٢/٦ – ٢٢٣، ولسان العرب (نقم).

ثالثاً: ظواهر مشتركة :

سأكتفي هنا بالحديث عن ظواهر الإعلال والإبدال والقلب ، وهي ظـواهر صـرفية مشتركة بين الأسماء والأفعال ، ومما ورد في الجامع من ذكر لهذه الظواهر التي ربطـت باللهجات ما يأتي:

-ظاهرة قلب الياء الساكنة المفتوح ما قبلها ألفاً ؛ وهي لغة بني الحارث بن كعب ، حيث يقولون في : إليك وعليك ؛ إلاك وعلاك ، ومنه قول الشاعر : (طاروا علا هن فطـر علاها)[1] أي ؛ عليهن وعليها.

ففي الآية : (وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ) (يونس : ١٦) قرأ الحسن (أدراتكم) ، يريـد بـذلك (أدريتكم) فأبدل الألف من الياء[2].

وينبغي التنبيه إلى أن لغة طيئ بقلب الياء ألفاً تختلف عن لغة بني الحارث ، وذلـك أن لغة طيئ لا تقلب الياء ألفاً إلا إذا كانت متحركة وبعد قلب الكسرة التي قبلهـا فتحـة ، نحو: حظية ، وناصية ، فيقولون حظاة وناصاة[3].

-ظاهرة الإبدال بين السين والصاد والزاي ، وهي لغة لعذرة وكلب وبنـي القـين ، فيقولون في أصدق : أزدق ، وقد قالوا ، الأزد والأسد ولسق به ولصق به[4].

ففي الآية : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة : ٦) قرئ بإخلاص الزاي[5]، أما إخلاص الصاد فهي لغة قريش[6] ، والسين الأصل .

-ظاهرة الإعلال بإبدال حرف العلة الياء في (قيل) واواً ساكنة ، وهي لهجة هـذيل وبني دبير من أسد وبني فقعس[7] ؛ وكذا حذف حرف العلة لا لتقاء ساكنين ، نحو قـراءة

---

(1) ينظر ، شرح المفصل لابن يعيش ، ١٢٨/٣-١٣٠، وتاريخ آداب العرب ، للرافعي ، ١٤٨/١، والصحاح (علا).

(2) ينظر ، الجامع ٢٩٧/٨، ٢٩٨ ، والمحتسب ، ٤٢٩/١، ٤٣٠، وإعراب القرآن للنحاس ، ٢٤٨/٢.

(3) ينظر : تاريخ آداب العرب للرافعي ، ١٤٥/١.

(4) ينظر : الجامع ، ١٦٥/١، وتاريخ آداب العرب ، ١١٨/١.

(5) ينظر ، الجامع ١٦٥/١.

(6) ينظر ، الكشاف ، ٥٨/١.

(7) ينظر ، الجامع ، ٢١٩/١، وإعراب القرآن للنحاس ١٨٨/١.

من قرأ (يستحي) بكسر الحاء وياء واحدة ساكنة ، وأصلها (يستحيي) في الآية : (إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً) (البقرة : ٢٦) وهذا الإعلال بالحذف لغة تميم وبكر بن وائل . أما إثبات الياء فلغة الحجاز[١] .

-ظاهرة القلب بين الصواعق والصواقع ، ففي الآية : (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ) (البقرة : ١٩) نقل القرطبي عن النقاش قوله : صاعقة وصعقة وصاقعة بمعنى واحد ، وذكر قراءة الحسن (من الصواقع) بتقديم القاف ، وهي لغة تميم وبعض بني ربيعة[٢] ، أما تقديم العين (صاعقة وصواعق) فهو مذهب أهل الحجاز وبه نزل القرآن[٣] ، ومثل ذلك القلب ، لفظتا (نطمس) و (استيأسوا)[٤] .

لقد استطاع القرطبي أن يجمع لنا في تفسيره مادة غزيرة من لهجات العرب ، جعلت منه مرجعاً مهماً للهجات لدى الباحثين ، وما عرضته في هذا المبحث إنما كان مقتصراً على اللهجات المرتبطة بالدرس الصرفي ، ولو طال الحديث غير هذا الدرس لتوسعت آفاقه؛ وإذا تقرر لنا ذلك ، فإنني أريد أن أشير إلى ما تطرقت إليه سابقاً ، وهو أن الحديث عن اختلاف اللهجات في استعمال بعض المفردات ، قد يخرج من دائرة البنية اللفظية إلى الدلالة المعنوية ، وهذا ما سأ بذل جهدي في إبرازه ــ بمشيئة الله سبحانه – في فصل مستقل أخصه بدراسة البنية الصرفية في الجامع دراسة دلالية .

([1]) ينظر ، الجامع ، ١/٢٥٩، ٢٦٠، ومعاني القرآن للأخفش ١/١٩٤، والمحرر الوجيز ، ١/١١٠، والصحاح (حيا) ، والأشباه والنظائر ١/٦٥.

([2]) ينظر ، الجامع ١/٢٣٧ ، وإعراب القرآن للنحاس ، ١/١٩٤، والفريد في إعراب القرآن المجيد لابن أبي العز الهمداني (ت ٦٤٣هـ) ، ١/٢٣٧.

([3]) ينظر ، الكامل ، للمبرد ، ٣/١٢٥٨.

([4]) ينظر الآيتان على التوالي : ٤٧: النساء ، ٨٠: يوسف ، وينظر في الجامع على التوالي : ٥/٢٤٦، ٩/٢٤٦.

المبحث الثالث

الشعـر

لقد كان للشعر حظ وافر عند المفسرين القدامى ؛ لما له من أهمية بالغة عند العرب، فهو ديوانهم الذي حوى فصاحتهم ، ولهجاتهم ، وغرائب ألفاظهم ، ونوادرها ؛ وهو منبع افتخارهم ، ومصدر اهتمامهم الأول ، حتى نزل القرآن بأفصح لسان ، وأوضح بيان ، فاتجهت قلوبهم وأنظارهم إليه بين إعجاب وذهول ؛ فهذا الوليد بن المغيرة المخزومي يسمع بعض آيات القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقول[1] : ((والله لقد سمعت منه كلاماً ما هو من كلام الإنس ، ولا من كلام الجن ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه ، وما يقول هذا بشر)).

وبما أن القرآن قد نزل بلسان العرب ، فإن من مصادر ما فسر به هو الشعر العربي الفصيح ؛ لذا نجد كثيراً من المفسرين قد اعتنوا به ، وفي مقدمتهم ابن عباس (ت٦٨هـ) رضي الله عنه ، أحد كبار الصحابة المفسرين ، الذي يبين مكانة الشعر وأهميته في تفسير القرآن بقوله[2] : ((الشعر ديوان العرب ، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب ، رجعنا إلى ديوانها ، فالتمسنا معرفة ذلك منه)).

ولم يكن القرطبي بعيداً عن دأب المفسرين القدامى في هذا النهج ، فقد تناول الشعر، واستند إليه في توضيح دلالات الألفاظ ، وفي إظهار بعض المسائل الصرفية والنحوية ... إلى غير ذلك ، مما زخر به تفسيره ، فكان الشعر مصدراً من مصادره التي اعتمد عليها؛ ففي إحصائية لسورة الزخرف التي تم فيها استقصاء القراءات في مبحث سابق ، تبين لنا أن القرطبي قد أورد أربعة وأربعين بيتاً شعرياً ، مما يدلك على اعتناء القرطبي بالشعر اعتناءً واسعاً ، وإن الناظر في كتب التفسير ، سواء المتقدمة منها ، أو المتأخرة ؛ وفي تفسير القرطبي ، ليجد أن هذا التفسير من أغزر التفاسير شعراً ، وهو مع ذاك لا يعتمد إلا على فحول الشعر العربي الجاهلي والإسلامي ، وقليلاً ما يستند إلى شعر المولدين[3] ، ولو

([1]) الجامع ، ٧٣/١٩.

([2]) الإتقان في علوم القرآن ، ٥٥/٢، وفيه أيضاً محاوره نافع بن الأزرق لابن عباس رضي الله عنه ، التي فسر فيها ابن عباس رضي الله عنه كثيراً من ألفاظ القرآن بالشعر ، ٥٥/٢ إلى ٨٨/٢.

([3]) ينظر : القرطبي وجهوده في النحو واللغة ، ٣٠٠.

رجعت إلى السورة الآنفة الذكر ، لوجدت أنه قد ذكر أبياتاً لفحول الشعراء ، منهم : امرؤ القيس[١]، والنابغة الذبياني[٢] ، وزهير[٣]، ولبيد[٤] ، والنابغة الجعدي[٥] ، والأعشى[٦]،وعدي بن زيد[٧] ، وكعب بن زهير[٨] ، والحطيئة[٩] ، ، وعمرو بن معد[١٠] ، وجرير[١١] ، والفرزدق [١٢]، والخنساء[١٣] ، وذو الرمة[١٤] ، وكثير[١٥] ، والكميت [١٦]... وغيرهم كثير ممن أورد شعرهم في هذه السورة ، وفي بقية أجزاء التفسير ، مما لا يسعني ذكرهم خشية الإطالة .

لقد استقى القرطبي الشعر من مصادر متعددة ، ولم يقتصر على التفاسير السابقة له، بل تعداها إلى كتب المعاجم ، واللغة ، والنحو ، والصرف ، والأدب ، وإلى دواوين الشعراء أنفسهم ؛ وهو في أثناء ذلك ينسب الشعر إلى قائله تارة ، ويعرض عن ذكره تارةً أخرى ؛ وهذا التنوع في استقاء الشعر من منابع متعددة ، يظهر لنا مدى سعة ثقافة القرطبي الشعرية ؛ و حتى لا أخرج عن نطاق هذه الدراسة الصرفية ، فإنني سأعرض بعض النماذج الشعرية التي اعتمد عليها القرطبي في توضيح بعض المسائل الصرفية ، مبيناً في الهامش اسم الشاعر إذا لم يذكره القرطبي ، وبعض المصادر التي وردت فيها هذه النماذج سواء المتقدمة عليه ، أو المتأخرة عنه.

([1]) ينظر ، الجامع ، ١٦/٨٩، ١١٤.

([2]) المصدر نفسه ، ١٦/٧٤.

([3]) المصدر نفسه ، ١٦/٨٠، ١١٤، ١١٦.

([4]) المصدر نفسه ، ١٦/١٠٦.

([5]) المصدر نفسه ، ١٦/٨٣.

([6]) المصدر نفسه ، ١٦/٨٧، ١١١.

([7]) المصدر نفسه ، ١٦/٧٣، ١١١.

([8]) المصدر نفسه ، ١٦/١٢١.

([9]) المصدر نفسه ، ١٦/٨٧.

([10]) المصدر نفسه ، ١٦/٦٥.

([11]) المصدر نفسه ، ١٦/٨٩.

([12]) المصدر نفسه ، ١٦/٨٩، ١١٤، ١١٧.

([13]) المصدر نفسه ، ١٦/٩٠.

([14]) المصدر نفسه ، ١٦/٩٧.

([15]) المصدر نفسه ، ١٦/٦٢.

([16]) المصدر نفسه ، ١٦/٦٥.

فمن المسائل الصرفية التي دعمها القرطبي بالشعر :

أولاً: الاشتقاق :-

من الألفاظ التي بحث القرطبي أصل اشتقاقها لفظة (الملائكة) في الآيــة (٣٠) مــن سورة البقرة ، فقد ذكر قولاً لأبي عبيدة بأنها مشتقة من (لأك) إذا أرسل ، وأن الألوكــة ، والمألكة (بفتح اللام) ، والمألكة (بضمها) ، معناها : الرسالة ، ومن ذلك قول لبيد[١] :

وغلام أرسلته أمه بألوك فبذلنا ما سأل

وقول الآخر[٢] :

أبلغ النعمان عني مألكاً أنني قد طال حبسي وانتظاري

ثم يذكر قولاً آخر ، بأن أصلها (ملأك) ، المشتقة من ملك يملك[٣] ، فالهمزة زائدة ، نحو : شمأل من شمل ، وقد تأتي في الشعر بهذه الزيادة ، ومنه قول الشاعر[٤] :

فلست لإنسي ولكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب

وعند قوله تعالى : (وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ) (النساء : ٢٣) يبين القرطبــي أن (أمهات) جمع (أمهة) ثم يتطرق إلى أصل لفظة (أم) فينقل قولين في ذلك:

- القول الأول : إن أصل أم (أمهة) على وزن فعلة مثل قبرة وحمــرة لطيــرين ، فسقطت الهاء وعادت في الجمع[٥] ، وقد تثبت الهاء في الإفراد ، نحو قول الشاعر[٦] :

أمهتي خندف والدوس أبي

- القول الثاني : إن أصلها (أمة) ، ومن ذلك قول الشاعر[٧] :

تقبلتها عن أمة لك طالما تثوب إليها في النوائب أجمعا

([1]) ينظر ، الجامع ٢٧٩/١، وديوان لبيد ، ١٤٠، والصحاح (ألك) .

([2]) ينظر ، الجامع ٢٧٩/١، والبيت لعدي بن زيد ، ينظر : انحرر الوجيز ١١٦/١، والاشتقاق ، ٢٦، والممتع في التصريف، ٧٩/١.

([3]) ذكر مثل هذا القول الزمخشري في الكشاف ، ١٥٣/١.

([4]) ينظر ، الجامع ٢٧٩/١ ، والبيت لرجل جاهلي من عبد قيس ، ينظر : الصحاح (ملك) ، والكتاب ٣٨٠/٤ ، وإصلاح المنطق ٧١، والاشتقاق ٢٦، والبيان في غريب إعراب القرآن ، ٧٠/١.

([5]) وهذا مايرجحه القرطبي في موضع آخر من تفسيره ، ينظر ، الجامع ١٢٩/١.

([6]) ينظر ، الجامع ١١٤/٥، والبيت لقصي بن كلاب ، ينظر ، الصحاح (أمم – أمه).

([7]) ينظر ، الجامع ١١٤/٥، وينظر اللسان (أمم) إلا أنه جاء في الشطر الثاني : تنوزع بالأسواق عنها خمارها.

ويكون جمعها أمات[1] . قال الراعي[2] :

كانت نجائب منذر ومحرق أماتهن وطرقهن فحيلا

ومن الألفاظ التي ناقش القرطبي أصل اشتقاقها مستنداً في أثناء ذلك إلى الشعر ، لفظة (شيطان) التي يرجح القرطبي أن أصلها (شطن) بقوله[3] : ((الشيطان واحد الشياطين؛ على التكسير ، والنون أصلية ؛ لأنه من شطن إذا بعد عن الخير . وشطنت داره، أي بعدت ؛ قال الشاعر[4] :

نأت بسعاد عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بها رهين))

وهنالك قول آخر أشار إليه القرطبي ، وهو أن شيطاناً مأخوذ من الفعل (شاط) بمعنى هلك[5]، والنون زائدة ، قال الأعشى[6] :

قد نخضب العير من مكنون فائله وقد يشيط على أرماحنا البطل

ولم يكتف القرطبي بذلك ، بل إنه يدعم القول الأول بما حكاه عن سيبويه من أن العرب تقول : تشيطن فلان ؛ إذا فعل أفعال الشياطين ، وفي هذا دلالة على أن (تشيطن) تفعيل من شطن ،ولو كان من شاط لقالوا : تشيط ؛ ويؤيد ذلك أيضاً بيت أمية بن أبي الصلت[7] :

أيما شاطن عصاه عكاه ورماه في السجن والأغلال

فهذا شاطن من شطن لاشك فيه .

ونحو ما ذكرنا من اعتماد القرطبي على المصدر الشعري في تقرير مسائل الاشتقاق، ينظر لفظة (الناس)[8] و (الاسم)[9] و (النبي)[10] .

---

(1) ذكر ابن فارس في المجمل (أم) أن أمهات في الناس ، وأمات في البهائم ، ونقل السيوطي في المزهر (١٧٠/١) أن جمع الأم أمات لغة ضعيفة غير فصيحة ، وأن القصيحة أمهات.

(2) ينظر الجامع ، ١١٤/٥، وجمهرة أشعار العرب ٣٧٣/٢، والصحاح (أمه) ،والمخصص ١٧/١٣.

(3) الجامع ١٠٥/١.

(4) البيت للنابغة الذبياني ؛ ينظر ديوانه ، ١٢٦، والصحاح (شطن) .

(5) للفعل معان أخرى ذكرها القرطبي ، ينظر الجامع ١٠٥/١، ١٠٦.

(6) ينظر الجامع ١٠٦/١ ، وديوان الأعشى ، ١٤٩، والصحاح (شيط) ، وأساس البلاغة (شيط) وفيه ذكر الشطر الثاني فقط.

(7) ينظر الجامع ١٠٦/١ ، والمحرر الوجيز ٥٩/١، ،الصحاح (شطن).

(8) ينظر الجامع ٢١٠/١، ٢١١ .

(9) المصدر نفسه ١١٦/١، ١١٧ .

(10) المصدر نفسه ٤٣٤/١، ٤٣٥.

ثانياً: المصادر :

من المصادر التي ذكرها القرطبي وأكدها بالشعر ، لفظة (القرآن) في الآيــة (١٨٥) من سورة البقرة ؛ حيث قال[١] : ((هو مصدر قرأ يقرأ قــراءة وقرآنــاً بمعنــى . قــال الشاعر[٢] :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً

أي قراءة)).

وفي قوله تعالى:(فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَنًا)(آل عمران:٣٧) يرى القرطبي أن لفظتي قبول ونبات مصدران على غير المصدر[٣] ، والأصل تقبلاً وإنباتاً ، ومقصود القرطبي بذلك ما يسمى باسم المصدر ؛ ثم أورد القرطبي أبياتاً شــعرية لتأكيــد جواز إتيان المصدر على غير المصدر ، وهي[٤] .

قول القطامي[٥] :

أكفراً بعد رد الموت عني وبعد عطائك المئة الرتاعا

أراد بعد إعطائك ؛ وقول امرئ القيس[٦] :

فصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا ورضت فذلت صعبة أي إذلال

وإنما مصدر ذلت ذل ؛ ولكنه رده على معنى أذللت .

وقول رؤبة[٧] :

وقد تطويت انطواء الحضب

لأن معنى تطويت وانطويت واحد ، ومثله قول القطامي[١] :

([1]) الجامع ٢٩٩/٢، وينظر تأكيده على مصدرية هذه اللفظة بأمثلة من القرآن والحديث في الصفحة نفسها.

([2]) هذا البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ينظر : إصلاح المنطق ، ٢٩٠ ، وموسوعة الشعر العربي ، ٣٠٥/٤.

([3]) ذكر هذا المصطلح سيبويه ، ينظر الكتاب ، باب : ما جاء المصدر فيه على غير الفعل لأن المعنى واحد ، ٨١/٤، ٨٢.

([4]) ينظر ، الجامع ، ٧٤/٤ ، الأبيات مع تعليلاتها .

([5]) ينظر ، الشعر والشعراء ، ١٧٠ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ، ٨١/٢ وفيه الشطر الثاني.

([6]) ينظر ، ديوان امرئ القيس ، ٣٢، وإعراب القرآن للنحاس ، ٣٧١/١.

([7]) ينظر ، الكتاب ، ٨٢/٤، وإعراب القرآن للنحاس ، ٣٧١/١.

وخير الأمر ما استقبلت منه ولیس بأن تتبعه اتباعاً

لأن تتبعت واتبعت واحد.

وفي قوله سبحانه: (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ) (المائدة:٦٠) يتطرق القرطبي إلى الحديث عن لفظة (مثوبة) وأن أصلها مفعولة ؛ حذفت منها الواو حذف إعلال ، وقد جاءت على معنى المصدر ، ومثلها : مقولة ، ومجوزة ، ومضوفة ، ومنه قول الشاعر[٢]:

وكنت إذا جاري دعا لمضوفة أشمر حتى ينصف الساق مئزري

ثالثاً: العددية :

قد ينوب اللفظ المفرد عن الجمع في بعض الاستعمالات[٣] ، وذلك لا يكون إلا بوجود قرينة تدل عليه ، فلفظة (سمع) في قوله تعالى : (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) (البقرة :٧) أفردت مع أن ما قبلها وما بعدها (القلوب والأبصار) جمعا ، وعلة ذلك عند القرطبي ، أن السمع مصدر يقع للقيل والكثير ، وهناك علة أخرى أشار إليها القرطبي مستنداً في إثباتها بالشعر ؛ وهي أنه لما أضاف السمع إلى الجماعة (أي ضمير الجماعة) دل على أنه يراد به أسماع الجماعة ؛ وذلك مثل قول الشاعر[٤] :

بها جيف الحسرى فأما عظامها فبيض وأما جلدها فصليب

أراد : جلودها ، فوحد ؛ لأنه قد علم أنه لا يكون للجماعة جلد واحد . وقال الآخر في مثله[٥] :

لا تنكر القتل وقد سبينا في حلقكم عظم وقد شجينا

أراد : حلوقكم ؛ ونحو قول الآخر[١] :

([1]) ينظر ، الكتاب ، ٨٢/٤، ودقائق التصريف ، ٦٢ .

([2]) ينظر ، الجامع ٢٢٣/٦، والبيت لأبي جندب الهذلي ، ينظر : شرح أشعار الهذليين ، للسكري (ت ٢٧٥هـ) وفيه يقول السكري : (مضوفة مصدر مثل مثوبة ومنولة) ، ٣٥٨/١.

([3]) قال سيبويه في الكتاب : (وليس بمستنكر في كلامهم أن يكون اللفظ واحداً والمعنى جميع) ، ٢٠٩/١.

([4]) ينظر ، الجامع ٢٠٧/١، والبيت لعلقمة بن عبده الفحل ، ينظر : المفضليات ، ٢٢٠ ، والكتاب ، ٢٠٩/١.

([5]) ينظر الجامع ٢٠٨/١، والكتاب ٢٠٩/١والبيت للمسيب بن زيد مناة الغنوي . ينظر : اللسان (شجا).

كأنه وجه تركيين قد غضبا مستهدف لطعان غير تذبيب

أراد : وجهي تركيين ، فقال وجه ، لعلمه أنه لا يكون للاثنين وجه واحد ، ومثل ذلك قوله تعالى : (أَوْ صَدِيقِكُمْ) [٢] (النور : ٦١).

وقد يستعمل اللفظ الواحد مفرداً وجمعاً ، مثل لفظة (الرهبان) ، فقد نقل القرطبي عن أبي عبيد أنها تكون للواحد وللجمع ، ثم أورد بيتين شعريين لدلالة كل منهما؛ فدلالة الجمع قول جرير[٣] :

رهبان مدين لو رأوك تنزلوا والعصم من شعف العقول الفادر

وقال الآخر في التوحيد[٤] :

لو أبصرت رهبان دير في الجبل لانحدر الرهبان يسعى ويصل

وقد يستعمل الجمع في موضع التثنية ، وذلك مثل قوله تعالى :

(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) (المائدة : ٣٨)

فقال (أيديهما) ، بالجمع ، ولم يقل (يديهما) بالتثنية[٥] ، ونحو قول الشاعر[٦] :

ومهمهين قذفين مرتين ظهراهما مثل ظهور الترسين

فقال (ظهور الترسين) ولم يقل (ظهري الترسين).

وفي قوله تعالى:(فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ) (النساء:٧١) يشير القرطبي إلى أن لفظة (ثبات)[٧] قد تجمع جمع السلامة في التأنيث والتذكير ، فيقال(ثبين) ، ومنه قول عمرو بن كلثوم[٨] :

فأما يوم خشيتنا عليهم فتصبح خيلنا عصباً ثبينا

([1]) ينظر الجامع ٢٠٨/١ .

([2]) ينظر الجامع ٣١٤/١٢.

([3]) نفسه ، ٢٤٤/٦، وديوان جرير ، ٢٣٦.

([4]) ينظر ، الجامع ، ٢٤٥/٦.

([5]) ينظر تفصيل ذلك مع الأدلة القرآنية وأقوال العلماء في المصدر نفسه ، ١٦٩/٦..

([6]) ينظر ، المصدر نفسه ١٦٩/٦، والبيت لخطام المجاشعي ، ينظر : الكتاب ، ٤٨/٢، والمفصل للزمخشري ، ٢٣٣.

([7]) معنى ثبات : جماعات ، وأصلها (ثبو) ، ينظر أساس البلاغة (ثبو) .

([8]) ينظر الجامع ، ٢٧٥/٥، وشرح المعلقات السبع (معلقة عمرو بن كلثوم) ص١٧٧.

وأما الجموع الشاذة ، فقد ذكر القرطبي بعضاً منها مدعماً إياها بالشعر ، منها (أندية)[1] جمع ندى ، وهو جمع شاذ ؛[2] قال الشاعر[3] :

في ليلة من جمادى ذات أندية لا يبصر الكلب في ظلمائها الطنبا

ومن الجموع الشاذة (ليالي)[4] جمع ليلة وقياس جمعها (ليل) ، مثل تمرة وتمر ، ونخلة ونخل.

رابعاً: مسائل متفرقة :-

أود أن أشير هنا إلى بعض المسائل الصرفية المتفرقة التي جعل القرطبي منها للشعر مرجعية في إثباتها ، منها حديثه عن لفظة (قريب) التي جاءت على وزن (فعيل)[5] ، فإن هذا الوزن يأتي مفرداً مذكراً ولا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث[6] في بعض الاستعمالات ، نحو قوله تعالى : (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) [7] (الأعراف : ٥٦) وقد ورد هذا الاستعمال في الشعر الجاهلي ، قال امرؤ القيس[8] :

له الويل إن أمسى ولا أم هاشم قريب ولا بسباسة بنة يشكرا

ومن المسائل المتفرقة ، مسألة الإدغام ، ففي قوله تعالى :

(إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ) (التوبة : ٣٨) قال القرطبي[9]:((أصله تثاقلتم أدغمت التاء في الثاء لقربها منها ، واحتاجت إلى ألف الوصل ؛

([1]) ذكر القرطبي هذا الجمع في معرض حديثه عن الآية (٨٧) من سورة البقرة ، ٢٨/٢.

([2]) شذ هذا الجمع لأن (أفعلة) جمع ما كان ممدوداً مثل كساء وأكسية ، وقياس جمع الأسم المقصور (ندى) أنداء على أفعال مثل هوى وأهواء ، ينظر الصحاح (ندا) ، ودقائق التصريف ، ٤٠٣ ، والمخصص ، ١٠٩/١٥.

([3]) ينظر ، الجامع ٢٩/٢، والبيت لمرة بن محكان ، ينظر : المقتضب ، ٨١/٣، وسر صناعة الإعراب ٦٢٠/٢.

([4]) ينظر ، الجامع ١٩٧/٢، وفيه بعض الأمثلة الشعرية لتوضيح هذا الشذوذ .

([5]) إذا كان (فعيل) بمعنى (مفعول) وعلم موصوفه تركت التاء نحو (رجل جريح وامرأة جريح) ، وإذا لم يعلم موصوفه أو جاء بمعنى فاعل ألحقت فيه التاء ، فالأول نحو : (رأيت جريحة) والثاني نحو : (رحيم ورحيمة وكريم وكريمة) وقد يأتي فعيل بمعنى فاعل مجرداً من التاء نحو (قريب) في قوله تعالى : (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) ينظر، تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن ، ٤٢٣، ٤٢٤.

([6]) ينظر الجامع ٤٠/٣ .

([7])ينظر : بدائع الفوائد لابن القيم (ت/٧٥١هـ) ، ٣٥٣/٣ وما بعدها ، والأشباه والنظائر للسيوطي (ت ٩١١هـ)، ١٧٦/٣ وما بعدها ، وفيهما تفصيل المسألة في تذكير لفظة (قريب) في هذه الآية ، مع أنه إخبار عن الرحمة وهي مؤنثة .

([8]) ينظر الجامع : ٢٢١/٧، وديوان امرئ القيس ، ٦٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣٠٦/١.

([9]) الجامع : ١٣٢/٨.

لتصل إلى النطق بالساكن ، ومثله (اداركوا) (الأعراف : ٣٨) و (ادارأتم) (البقرة : ٧٢) و (اطيرنا) (النمل : ٤٧) و (ازينت) (يونس : ٢٤) ، وأنشد الكسائي[١] :

توالى الضجيع إذا ما استافها خصراً عذب المذاق إذا ما اتابع القبل)).

ومن المسائل ، مسألة النيابة الصرفية ، فقد يأتي الفعل (استفعل) نيابة عن (أفعل) ، مثل استوقد بمعنى أوقد ، نحو قوله تعالى: (كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً) (البقرة:١٧)فالسين والتاء زائدتان[٢] ، ونحو قوله تعالى : (فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي) (البقرة: ١٨٦) قال مجاهد وغيره[٣] : ((المعنى فليجيبوا إلي فيما دعوتهم إليه من الإيمان)) ومنه قول الشاعر[٤]:

وداع دعا يامن يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

أي فلم يجبه ، فاستجاب بمعنى أجاب .

ومن النيابة أن تأتي فعيل بمعنى مفعل ، ففي قوله تعالى (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (البقرة : ١٠) قال القرطبي[٥] : ((أليم في كلام العرب معناه مؤلم أي موجع ، مثل السميع بمعنى المسمع ؛ قال ذو الرمة يصف إبلا[٦] :

ونرفع من صدور شمر دلات يصك وجوهها وهج أليم)).

ومن المسائل ، مسألة التأنيث على الجوار ، ففي قوله تعالى : (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا) (الأنعام : ١٥٨) قرأ ابن عمر وابن الزبير (يوم تأتي) بالتاء، ومثله قراءة مجاهد والحسن وقتادة " تلتقطه بعض السيارة " (يوسف: ١٠) بالتاء ، وقول بعضهم : ذهبت بعض أصابعه ؛ فأنث الفعل لمجاورة الفاعل لمؤنث[٧] ، ومثله قول جرير[٨] :

([1]) ينظر ، معاني القرآن للفراء ٤٣٨/١، وتفسير الطبري ١٥٢/١٠.

([2]) ينظر ، الجامع ، ٢٣٠/١.

([3]) الجامع ٣١٣/٢.

([4]) ينظر المصدر نفسه ٢٣٠/١، والبيت لكعب بن سعد الغنوي ، ينظر : الأصمعيات ٤٩ والصحاح (جوب) ، والغرر الوجيز ٢٥٦/١.

([5]) الجامع ٢١٦/١.

([6]) ديوانه ٦٧٧/٢ ، والكامل ٢٦٠/١، وقد أتى به المبرد شاهداً على أن أليم بمعنى مؤلم .

([7]) تفصيل هذه المسألة وغيرها مما مر في هذا المبحث ، سيكون –إن شاء الله – في مباحث خاصة بها ؛ وإنما قصد من هذا المبحث إبراز مدى اعتماد القرطبي على المصدر الشعري .

([8]) ينظر ، الجامع ١٤٦/٧، وديوان جرير ، ٢٧٠، والكتاب ٥٢/١، المخصص ٧٧/١٧.

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع

فأنث الفعل (تواضعت) لمجاورة الفاعل (سور) لمؤنث (المدينة) .

ومما سبق يظهر لنا جلياً أن القرطبي قد استطاع أن يجعل من الشعر مصدراً لا يقل شأناً عن مصادره الأخرى ، وأنه ذو اطلاع واسع ، وهذا واضح من خلال حديثنا عن المصادر التي اعتمدها، فهو لا يأخذها من مصادرها الخاصة بها فقط ، بل يتعداها إلى غيرها ، فالقراءات تنوع اقتباسه لها ، متجاوزاً في ذلك كتب القراءات إلى التفاسير وكتب إعراب القرآن ومعانيه وغيرها ؛ وكذا المقام في اللهجات والشعر ، وهو في هذا كله مستفيض مرة ، وموجز أخرى ، وهو في إيجازه أو استفاضته واضح المعالم ، يصدر عن وعي بعلوم العربية ومصادرها.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

الفصل الثاني

الأبنية الصرفية ودلالاتها في الجامع

المبحث الأول

الأبنية الاسمية

لقد اهتم الصرفيون بالأبنية الاسمية اهتماماً واسعاً ؛ لتنوعها ، وتشعبها ، واختلاف مباحثها . فالحديث – مثلاً – عن المصادر ، وهو ضرب من ضروبها ، يحتاج إلى مباحث متعددة ؛ فمبحث للمصادر من حيث القياس والسماع ، وثان للمصادر من حيث التجرد والزيادة ، وثالث من حيث التنوع ، نحو : المصدر الصريح ، والميمي ، والصناعي ، ومصدر المرة والهيئة ... إلى غير ذلك ؛ وهكذا الأمر في سائر المباحث المتعلقة بالبنية الاسمية في الاشتقاق والنوع والعددية

والقرآن الكريم ، كتاب الله العظيم ، الفصيح في مبانيه ، الرفيع في معانيه ، المعجز في حرفه وكلمته وأسلوبه ومدلوله، قد حوى أبنية اسمية غزيرة ، فتحت السبيل أمام الدارسين له – ومنهم المفسرون – في الوقوف عند صيغها وأوزانها ودلالاتها.

ولم يكن القرطبي في معزل عن هؤلاء ، بل إنه فاق الكثير ممن سبقه في هذا المنحى ، فتفسيره سفر ضخم مليء بالمسائل الصرفية إلى جانب غيرها من مسائل اللغة[1].

وفي هذا المبحث ارتأيت أن أقف عند بعض المسائل الصرفية المرتبطة بالبنية الاسمية في تفسيره ، والمتعلقة بالدلالة في كثير منها ، محاولاً في أثناء ذلك استخلاص أهم المسائل الصرفية التي تبرز لنا مدى إسهام القرطبي في هذا المجال من علوم العربية.

ولقد رأيت أن أتناول في هذا المبحث : المصادر ، والتذكير والتأنيث ، والجموع ، والمشتقات.

أولاً: المصادر :

(١) دلالة المصادر :

إن أبنية المصادر المتعددة المتكاثرة ، التي استقر بعضها على ضوابط وأقيسة معينة ، ولم يستقر بعضها الآخر على شيء من ذلك ، تختلف دلالاتها من مصدر لآخر ، فكل مصدر يحمل دلالة لا يشاركه فيها بناء مصدري آخر.

---

(1) ينظر جهود القرطبي اللغوية والنحوية في كتاب : القرطبي وجهوده في اللغة والنحو ، للدكتور عبد القادر رحيم الهيتي .

والناظر المتأمل في تفسير القرطبي يرى أنه قد اعتنى بالمصادر القرآنية ، وتنوع تعامله معها[1] ، فمرة يشير إلى اختلاف الأبنية المصدرية المتواردة على المعنى الواحد دون تحديد الفروقات الدلالية ، ومرة يتعرض لأوجه الاختلافات في طبيعة الكلمة المعينة من حيث كونها مصدراً أو غير ذلك ،مما يحدد وظيفتها الاستعمالية داخل التركيب المعين ، ومرة يشير إلى اختلاف الأبنية المصدرية ، وما ينتج عنه من اختلاف في الدلالة ، وهذا الاتجاه الأخير هو ما يعنينا في هذا المقام ، لكونه يظهر لنا دلالة المصادر ، ليس فقط في اختلاف صورة البنية المصدرية في حروفها ؛ بل وفي اختلاف حركاتها ، ذلك أن العرب تستعمل الحركة الثقيلة للمعنى الأقوى ، والحركة الخفيفة لما دون ذلك ، فثقل اللفظ وخفته موازن للمعنى[2] .

وهكذا نجد القرطبي يبين الفرق بين (الكره) بالضم ، و(الكره) بالفتح ، ففي قوله تعالى:(كُتِبَ عَلَيكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرهٌ لَكُم)(البقرة:٢١٦)قال القرطبي[3]: ((كرهت الشيء كرهاً وكرهاً وكراهة وكراهية))؛ فهما مصدران ، إلا أن (الكره) بالضم، يدل على المشقة ، و(الكره) بالفتح ، معناه : ما أكرهت عليه[4] ، وقد أعطى الأخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ) مثالين يدلان على هذين المعنيين ، مع أنه ذكر أنه لا فرق بينهما ، فالمثال الأول بالضم : (لاتقوم إلا على كره) ، والثاني بالفتح : (لا تقوم إلا كرهاً)[5] ، فقد دل المثال الأول على المشقة ؛ أي لا تقوم إلا على مشقة وعناء، ودل المثال الثاني على الإكراه ، وعدم الرضا ؛ أي لا تقوم إلا مكرهاً ومنه – أي بالفتح – قوله سبحانه: (وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً) (آل عمران: ٨٣)؛ أي طائعين ومكرهين[6] ، وقوله جل وعلا : (قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ

([1]) ينظر اتجاهات القرطبي في التعامل مع المصادر في كتاب (المصدر في القرآن الكريم ، أبنيته ووظائفه الدلالية) للدكتور هادي نهر : ٢٣ وما بعدها.

([2]) ينظر ، المحتسب ٢٢٦/١، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، ٤٢١/٢٠، وبدائع الفوائد لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، ٢٠٠/٢، ومعاني الأبنية في العربية للدكتور فاضل السامرائي ، ١٠٢.

([3]) الجامع : ٤٣/٣.

([4]) هذا القول نسبه القرطبي إلى ابن عرفة ، الجامع : ٤٣/٣.

([5]) ينظر ، معاني القرآن للأخفش ، ٣٦٦/١.

([6]) ينظر الجامع ١٣٦/٤.

يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ) (التوبة : ٥٣) أي ؛ إن انفقتم طائعين أو مكرهين فلن يتقبل منكم[١] ؛ وأما في قوله تعالى : (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً) (الأحقاف : ١٥) قال القرطبي[٢] : ((أي بكره ومشقة)) لما كانت القراءة بالضم . وقد فرق بينهما الكسائي والفراء فقالا[٣] : ((إن الكره – بالضم – ما حمل الإنسان على نفسه ، وبالفتح ما حمل عليه غيره ؛ أي قهراً وغضباً)).

وهكذا لما كان (الكره) دالاً على المعنى الأقوى ، وهو المشقة استعمل له الحركة الثقيلة (الضم) ، وحين أريد الكراهية استعمل له ما دون ذلك[٤] ، ومثله لفظة (السوء) في قوله سبحانه : (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) (التوبة : ٩٨) قرئت بضم السين وفتحها ، واختلاف الحركة دال على اختلاف المعنى (والفرق بينهما أن السوء بالضم : المكروه ، قال الأخفش[٥] : أي عليهم دائرة الهزيمة والشر ، وقال الفراء[٦]: أي عليهم دائرة العذاب والبلاء ؛ قالا : ولا يجوز امرأ سوء بالضم ؛ كما لا يقال : هو امرؤ عذاب ولا شر . وحكي عن محمد بن يزيد قال: السوء بالفتح : الرداءة)[٧].

وفرق بين (الجهد) بالفتح ، و (الجهد) بالضم ، فالمفتوح معناه المشقة[٨] ، يقال : فعلت ذلك بجهد ، والمضموم معناه الطاقة ، يقال : هذا جهدي ؛ أي طاقتي[٩] .

ومثل ذلك (الضعف والضعف) ، فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما ، أنه قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ) (الروم: ٥٤) بالفتح ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ((من ضعف)) بالضم[١٠] ؛

([1]) ينظر الجامع ، ٨/١٥٠.

([2]) نفسه ، ١٦/١٨٧.

([3]) نفسه ١٦/١٨٧.

([4]) ينظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٠/٤٢١.

([5]) ينظر ، معاني القرآن له ، ٢/٥٥٩.

([6]) ينظر، معاني القرآن له ، ١/٤٥٠.

([7]) الجامع ٨/٢١٧.

([8]) ينظر المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصبهاني ، ١٠١.

([9]) ينظر الجامع ٧/٦٤.

([10]) ينظر ، صحيح الترمذي ٣/١٧١، وصحيح أبي داود ، ٢/٤٩٠.

وهذا ما تعرض له القرطبي بقوله[1] : ((وقيل : الضعف بالفتح في الرأي ، وبالضم في الجسد ، ومنه الحديث في الرجل الذي كان يخدع في البيوع[2] : أنه يبتاع وفي عقدته ضعف)) .

وكذا الأمر في ماذكره القرطبي عن (الحوب) بضم الحاء وفتحها ، فالحوب بالضم معناه الوحشة ، وبالفتح معناه الإثم[3] ، و(الضر) بضم الضاد : ما ينال الإنسان من الهزل وسوء الحال[4] ، أما الضر – بالفتح – فهو ضد النفع[5] ، نحو قوله سبحانه : (إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً) (الفتح : ١١) ؛ وحين كان المعنى يدل على البؤس والهزل وسوء الحال استعملت اللفظه بالضم في قوله تعالى (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرّ) (الأنبياء: ٨٣، ٨٤) . ونحو ذلك (القرح والقرح)[6] و(الرعب والرعب)[7] و (السد والسد)[8] و (الرحب والرحب)[9].

وهكذا نرى أن الضم يستعمل للمعنى الأقوى وما دونه له الفتح ، ومثله الكسر ، فالعوج بكسر العين ، يدل على معنى أقوى من العوج بفتحها ، فكسر العين في المعاني، وفتحها في الأجرام[10] ، واعوجاج الباطن أصعب التئاماً من اعوجاج الظاهر؛ لأنه خفي لا يرى ، أما الظاهر فإنه يرى ، فيسهل معالجته .

([1]) الجامع ٤٨/١٤.

([2]) ينظر ، صحيح الترمذي : باب ما جاء فيمن يخدع في البيع ٢٨/٢، وصحيح النسائي ٩٣٣/٣.

([3]) ينظر الجامع ١٥/٥، ١٦.

([4]) نفسه ٢٥٧/١٦.

([5]) ينظر ، إعراب القرآن للنحاس ١٩٩/٤.

([6]) ينظر الجامع ٤٢٩/٤.

([7]) نفسه ٢٤٣/٤.

([8]) نفسه ٦٣/١١، ٦٤.

([9]) نفسه ٩٦/٨.

([10]) نفسه ١٦٢/٤+ ٢٤٠/٧، وينظر : شرح القصيح لابن هشام اللخمي (ت ٥٧٧هـ) ، باب : المكسور أوله والمفتوح باختلاف المعنى ، ١٥٣.

(٢)بين المصادر والأسماء :

أعني بالأسماء : اسم المصدر ، أو اسم الذات ، أو اسم المكان والزمان ... إلى غير ذلك.

والقرطبي نراه في بعض المواضع يظهر لنا الفرق بين المصدر وغيره مع إبراز الدلالة لهذا الاختلاف، وذلك من خلال سياق الآية وما يحتمل من معنى مناسب؛ فوزن (فعول) بضم الفاء أكثر استعمالاً في المصدر من (فعول) بفتح الفاء[١] ، ومنه لفظة (القبول) فالأصل فيه الضم؛ لأنه مصدر مثل الدخول والخروج[٢] ، وقد جاء الفتح في حروف قليلة دالة على المصدرية وهي : الوضوء ، والطهور ، والولوع، والقبول ، والوقود[٣] ، وهذه الكلمات الغالب فيها أنها تدل على الاسمية ، إلا أنها استعملت مصادر ، واستعمالها قليل ، فالوقود (بفتح الفاء) في قوله تعالى : (فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) (البقرة: ٢٤) تدل على اسم الذات ، وهو الحطب[٤] ، جاء في الجامع عند هذه اللفظة[٥]: ((يجب على هذا ألا يقرأ إلا (وقودها) بفتح الواو ؛ لأن المعنى : حطبها)).

ومثل هذا (الوضوء) بفتح الواو : الماء ، وبالضم المصدر[٦] ، وأما ما جاء على هذا الوزن من غير الكلمات الخمس الآنفة الذكر ، فإن (فعول) بفتح الواو يدل على الاسمية ، فالصعود –بالضم – المصدر ، والصعود – بالفتح– الموضع الذي يصعد فيه[٧] ، وكذا الجنوب والشمول والدبور والصبوب والسموم والحرور .. وغيرها ، إذا أردت المصادر ضممت أولها ، وإذا أردت الأسماء فتحت أولها[٨].

([1]) ينظر كتاب سيبويه ٤/٤٢.

([2]) ينظر الجامع ٤/٧٤.

([3]) ينظر : الكتاب ٤/٤٢، والكامل ٢/٩٥٧، وشرح الفصيح ، ١٣٠، ١٣١، ١٤٧ ، وشرح الشافية ، ١/١٥٩، ١٦٠.

([4]) ينظر الجامع ١/٢٥٤+ ٤/٢٦ + ١٩/٢٧٥.

([5]) الجامع ١/٢٥٤، وإعراب القرآن للنحاس ١/٢٠١.

([6]) ينظر : الجامع ١/٢٥٤.

([7]) ينظر ، النوادر في اللغة ، لأبي زيد الأنصاري ، ٢٠٠ ، وإسفار الفصيح ٢/٦٠٩.

([8]) ينظر ، الكامل ٢/٩٥٧.

ومن ذلك (الغرور) فهي بالفتح تدل على الشيطان ، وبالضم مصدر ، لذا تواترت القراءة بالفتح في قوله تعالى : (وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) (لقمان : ٣٣، فاطر: ٥) وقوله سبحانه : (وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُور) (الحديد: ١٤) لأن المراد به الشيطان[١] .

وأما وزن (فعلال) فإن المصدر منه يأتي مكسور الفاء نحو : (دحراج) ولا يجوز فيه الفتح، إلا في المضاعف ، فيقال : زلزال وزلزال ، ووسواس ووسواس ، وخلخال وخلخال؛ والعلة في جواز فتح أول المضاعف هو قصد التخفيف ، لثقل التضعيف[٢]، بيد أننا نلمح من القرطبي تفريقاً بين المكسور أوله والمفتوح في المضاعف ، فقد نقل أقوالاً بأن المكسور أوله هو المصدر – إلحاقاً بغير المضاعف – وأن المفتوح أوله هو الاسم[٣]، (فالوسواس بفتح الواو بمعنى الاسم؛ أي الموسوس ، وبكسر الواو المصدر، يعني الوسوسة ، وكذا الزلزال والزلزال)[٤] .

ومما ميز فيه القرطبي بين المصدر وغيره ما جاء في تفسيره للفظة (محيض) في قوله تعالى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ) (البقرة : ٢٢٢) قال[٥] : ((المحيض : الحيض ، وهو مصدر ؛ يقال حاضت المرأة حيضاً ، ومحاضاً ، ومحيضاً ... وقيل : المحيض عبارة عن الزمان والمكان ، وعن الحيض نفسه ، وأصله في الزمان والمكان ؛ مجاز في الحيض)) ، وفي قوله سبحانه في الآية نفسها : (فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ) (البقرة : ٢٢٢) يقول القرطبي مبيناً دلالة المحيض[٦] : ((أي في زمن الحيض ؛ إن حملت المحيض على المصدر ، أو في محل الحيض إن حملته على الاسم)) .

ومما فرق فيه القرطبي بين المصدر وغيره ، ما جاء في حديثه عن لفظة (الشرب) ، فهي بفتح الشين تدل على المصدر الصريح[٧] ، والعلة في ذلك أن (كل مصدر من ذوات الثلاثة ، فأصله(فعل) ؛ ألا ترى أنك ترده إلى المرة فتقول : فعلة ،

([1]) ينظر الجامع ، ٨٢/١٤، ٣١١+ ٢٣٨/١٧.

([2]) ينظر شرح الشافية ١٧٨/١.

([3]) ينظر الجامع ١٧٢/٧+ ١٤٤/١٤ + ١٤٧/٢٠.

([4]) نفسه ٢٥٧/٢٠، وينظر معاني القرآن للفراء ٢٨٣/٣، وبدائع الفوائد ، ٣٢٥/٢ وما بعدها .

([5]) الجامع ، ٨٥/٣.

([6]) نفسه: ٩٠/٣.

([7]) ينظر : شرح الفصيح : ٢٧٩.

نحو : شربة ؛ وبالضم الاسم [1]، وقيل : إن المفتوح والمضموم[2] مصدران ، فالشرب كالأكل ، والشرب كالذكر ؛ والشرب بالكسر المشروب[3] ؛ كالطحن والمطحون)[4].

(٣)المصدر بين الإفراد والجمع :-

تنبه القرطبي – رحمه الله – إلى بعض المصادر في القرآن ، التي جاءت مفردة، فوقعت موقع الجمع ، مبيناً علة ذلك ، ودلالته المرتبطة بسياق الآية ، من ذلك لفظة (السمع) التي حيثما وردت في القرآن مع البصر ، جاءت مفردة ، والبصر مجموعاً[5]؛ وذلك (لبقاء السمع على أصله من بناء المصادر الثلاثية ، ولكون البصر على وزن (فعل) كالأسماء ؛ ولأنه يراد به الحاسة)[6] ، فالسمع مصدر[7] ، والمصدر يقع على القليل والكثير[8] ، والأصل فيه ألا يجمع (لأن المصادر كلها جنس واحد من حيث كانت، كلها عبارة عن حركة الفاعل)[9] ، ولأن المصدر يدل على لفظه بنوعه ، نحو قوله

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

([1]) رأي الخليل وسيبويه أن الفتح للمصدر ، والضم للاسم. ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣٣٨/٤.

([2]) جاء في تفسير القرطبي خطأ لفظ (الاسم) في هذا الموضع ، والصواب ما أثبته .

([3]) لأن (فعل) بكسر الفاء يجيء بمعنى المفعول ، نحو : الذبح والنهب ، بمعنى المذبوح والمنهوب . ينظر : شرح الشافية : ١٦٢/١، ومجموع الفتاوى ، لابن تيمية : ٤٢١/٢٠، وبدائع الفوائد : ٢٢٨/٢.

([4])الجامع : ٢٠٦/١٧-٢٠٧.

([5]) جاء البصر مفرداً مع السمع في آية واحدة ، هي قوله تعالى : (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً) (الإسراء : ٣٦) يقول القرطبي في تفسيرها : ((أي يسأل كل واحد منهم عما اكتسب ، فالفؤاد يسأل عما افتكر فيه واعتقده ، والسمع والبصر عما رأى من ذلك وسمع)) ٢٦٤/١٠ . فالعلة – والله أعلم – في مجيء البصر مفرداً في هذه الآية ؛ لأن السؤال كان عن كل حاسة بذاتها ، فناسب الإفراد فيه المعنى.

([6]) نتائج الفكر في النحو ، للسهيلي (ت ٥٨١هـ) : ٣٧٢.

([7]) ذكر الشوكاني في تفسيره (فتح القدير) فائدة لطيفة في إفراد السمع ، عند قوله تعالى : (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) (السجدة : ٩) فقال : ((وأفرد السمع لكونه مصدراً يشمل القليل والكثير ، وخص السمع بذكر المصدر ، دون البصر والفؤاد ، فذكرهما بالاسم وهذا جمعا ؛ لأن السمع قوة واحدة وها محل واحد ، وهو الأذن ، ولا اختيار لها فيه ، فإن الصوت يصل إليها ولا تقدر على رده ، ولا على تخصيص السمع ببعض المسموعات دون بعض ، بخلاف الأبصار فمحلها العين وله فيه اختيار ، فإنها تتحرك إلى جانب المرئي دون غيره ، وتطبق أجفانها إذا لم ترد الرؤية لشيء ، وكذلك الفؤاد له نوع اختيار في إدراكه ، فيتعقل هذا دون هذا ، ويفهم هذا دون هذا)) ، ٣١٢/٤.

([8]) ينظر الجامع : ٢٠٧/١-٢٠٨، والكامل ٣٧٠/١.

([9]) نتائج الفكر في النحو ، ٣٦٣.

تعالى : (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا) (إبراهيم : ٣٤، النحل : ١٨)، فالإفراد هنا أكمل وأكثر معنى من الجمع، ذلك أن الجمع يشعر بالتحديد والتقييد بعدد ، أما الإفراد فإنه يشعر بالمسمى مطلقاً من غير تحديد ، فمدلول المفرد في هذه الآية أكثر من مدلول الجمع ، والمعنى أتم من أن يقال : وإن تعدوا نعم الله لاتحصوها ، ومثل ذلك قوله تعالى : (فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ) (الأنعام : ١٤٩) أعم وأتم معنى من أن يقال : فلله الحجج البوالغ[١] .

وهكذا نرى القرطبي يتعرض لمثل هذه المسائل الدقيقة البديعة ، فالمصدر يبقى على أصل الإفراد مالم يحدد ، فإن حدد فيجوز تثنيته وجمعه ، ومن ذلك قوله تعالى : (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) (الأعراف : ١٥٧) فإن قيل لماذا عطف الأغلال وهو جمع على الإصر وهو مفرد ؟ فالجواب الذي تنبه إليه القرطبي هو (أن الإصر مصدر يقع على الكثرة ، وقرأ ابن عامر (آصارهم) بالجمع ، مثل أعمالهم ؛ فجمعه لاختلاف ضروب المآثم[٢] ؛ والباقون بالتوحيد ؛ لأنه مصدر يقع على القليل والكثير من جنسه مع إفراد لفظه .. وهكذا كلما يرد عليك من هذا المعنى ، مثل : (وَعَلَى سَمْعِهِمْ) (البقرة : ٧) و (لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ) (إبراهيم : ٤٣) و (مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) (الشوري : ٤٥) وكله بمعنى الجمع)[٣] .

وفي قوله تعالى:(لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ)(سبأ : ١٥) قرئ (مسكنهم) بالتوحيد ، و (مساكنهم) بالجمع ، وكلتا القراءتين متواترة[٤] ، فالجمع على تحديد المصدر (لأن لهم مساكن كثيرة ، وليس بمسكن واحد ... والمساكن في هذا أبين؛ لأنه يجمع اللفظ والمعنى ، فإذا قلت (مسكنهم) كان فيه تقديران : أحدهما : أن يكون واحداً

([1]) ينظر ، بدائع الفوائد ٢/٢٨٢.

([2]) لما حدد النوع هنا ، جاء المصدر بالجمع .

([3]) الجامع ٧/٢٨٧.

([4]) ينظر ، تحبير التيسير ، ٥١٦.

يؤدي عن الجمع ، والآخر : أن يكون مصدراً لا يثنى ولا يجمع)[1]، ونحو ذلك توحيد (الرسالة) وجمعها في الآية (٦٧) من سورة المائدة[2] .

وأما لفظة (البراء) في قوله تعالى: (إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ) (الزخرف:٢٦) فإنه لايجوز تثنيته ولا جمعه ولا تأنيثه؛ لأنه مصدر لا يأتي إلا مفرداً ، فلا يقال : البراءان والبراءون ؛ وفرق بين قولك : أنا براء منه ، وقولك : أنا بريء منه ، فالأول على صورته لا يتغير لأنه مصدر، والثاني يثنى ويجمع ويؤنث[3] .

ومن المصادر التي تأتي مفردة ولا تثنى ولا تجمع ، وأشار إليها القرطبي ، ما كان على وزن (فعالة) مثل : كلالة ووكالة ودلالة وسماحة وشجاعة[4] ، وما كان على وزن (فاعلة) مثل : كافة وعافية وعاقبة وعامة وخاصة[5] .

وأما المصدر (ضيف) في قوله تعالى : (وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي) (هود: ٧٨) فإنه يجوز فيه التوحيد نيابة عن الجمع[6] ، كما في هذه الآية ، ويجوز تثنيته وجمعه ، إلا أن الأول أكثر ، وذلك مثل : رجال صوم وفطر وزور[7] .

ومن المصادر التي جاءت في القرآن مفردة وهي دالة على الجمع : صوت[8] ، وخصم[9] ، وإمام[10] .

وقد يستعمل اسم الجنس استعمال المصدر في توحيده ؛ ليدل على الجمع ، مع جواز تثنيته وجمعه ، وذلك مثل (الطفل) في قوله تعالى : (ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً) (الحج: ٥) وقوله جل في علاه: (أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ)

([1]) الجامع ، ٢٧١/١٤.

([2]) نفسه ٢٣٢/٦.

([3]) نفسه ٧٥/١٦.

([4]) نفسه ٨٣/٥.

([5]) نفسه ١٢٨/٨.

([6]) قال في شرح الفصيح : ((وإنما لم يثن ولم يجمع ؛ لأنه يقع على القليل من جنسه ، فاستغني عنه تثنيته وجمعه لذلك ، وهي كلها مصادر ويوصف بها على معنى المبالغة)) ١١٥.

([7]) ينظر الجامع ٨٠/٩.

([8]) نفسه ٧٣/١٤.

([9]) نفسه ١٥٩/١٥.

([10]) نفسه ٨٩/١٣.

(النور : ٣١) ، فاستعمل المفرد نيابة عن الجمع ، وقد جاء مجموعاً[1] في قوله سبحانه : (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ) (النور : ٥٩) يقول القرطبي في علة إفراد الطفل[2] : ((فهو اسم جنس . وأيضاً فإن العرب قد تسمي الجمع باسم الواحد ؛ قال الشاعر :

يلحينني في حبها ويلمنني إن العواذل ليس لي بأمير

ولم يقل : أمراء .. ويقال : جارية طفل ، وجاريتان طفل ، وجوار طفل ، وغلام طفل ، وغلمان طفل . ويقال أيضاً: طفل ، وطفلة ، وطفلان ، وطفلتان ، وأطفال[3] ، ولا يقال : طفلات)).

أما اسم الجنس(الريح) الذي جاء في القرآن مفرداً في مواطن وجمعاً في مواطن أخرى ، فقد تنبه القرطبي إلى اختلاف الدلالة في استعماله مفرداً مرة ، وجمعاً مرة أخرى ، قائلاً[4]: ((فمن وحد الريح فلأنه اسم للجنس يدل على القليل والكثير ، ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الرياح . ومن جمع مع الرحمة ووحد مع العذاب فإنه فعل ذلك اعتباراً بالأغلب في القرآن ؛ نحو : (الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ) (الروم : ٤٦) ، و (الرِّيحَ الْعَقِيمَ) (الذاريات : ٤١) فجاءت في القرآن مجموعة مع الرحمة ، مفردة مع العذاب[5] . وذلك ؛ لأن ريح العذاب شديدة ملتئمة الأجزاء كأنها جسم واحد ، وريح الرحمة لينة متقطعة فلذلك هي رياح)) .

---

(1) ينظر دلالة الإفراد في موطن والجمع في موطن آخر في كتاب : بلاغة الكلمة في التعبير القرآني؛ للدكتور فاضل صالح السامرائي ، ٨٠ وما بعدها .

(2) الجامع : ١٢/١٦.

(3) ينظر: لسان العرب (طفل) .

(4) الجامع : ٢/٢٠٣-٢٠٤

(5) الآيات التي جاءت فيها لفظة (الرياح) دالة على الرحمة هي : (وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ) (البقرة : ١٦٤، الجاثية : ٥) ، و (يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا) (الأعراف : ٥٧، النمل : ٦٣) و (يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ) (الروم : ٤٦) و (يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا) (الروم : ٤٨) و (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) (الحجر : ٢٢) و (وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا) (الفرقان: ٤٨) و (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ) (فاطر:٩). أما الآيات التي جاءت فيها لفظة (الريح) بالإفراد دالة على العذاب فهي: (كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ) (آل عمران: ١١٧) و (جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ) (يونس: ٢٢) و(رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) (الأحقاف : ٢٤) و (بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) (الحاقة : ٦) و (اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ) (إبراهيم : ١٨) و (أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) (الحج : ٣١) و (فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ) (الإسراء:٦٩)و (أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ) (الذاريات : ٥١) و(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) (الأحزاب: ٩) و (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) (فصلت : ١٦) و (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) (القمر : ١٩).

ومعنى ذلك أن الريح التي فيها العذاب ، جاءت بصيغة الإفراد ؛ لأنها تأتي من وجه واحد ، لا يقوم لها شيء ، ولا يعارضها غيرها حتى تنتهي إلى حيث أمرت ، فلا يردها راد ، ولا يصدها صاد حتى يشاء الله لها أن تنتهي فتنتهي ؛ أما رياح الرحمة فجمعت ؛لأنها مختلفة الصفات والمهاب والمنافع ، فإذا هاجت منها ريح أنشئ لها ما يقابلها فيكسر شدتها وحدتها ، فينشأ من بينهما ريح طيبة لطيفة نافعة[1] .

وقد أفردت مع دلالتها على الرحمة ، في قوله سبحانه (حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا) (يونس: ٢٢) فعلل القرطبي ذلك قائلاً[2]: ((لأن ريح إجراء السفن إنما هي ريح واحدة متصلة ، ثم وصفت بالطيب فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب)) .

وقصد القرطبي في ذلك أن مجيء (ريح الرحمة الطيبة بلفظ الإفراد ؛ لأن تمام الرحمة هناك إنما تحصل بوحدة الريح ، لا اختلافها؛ فإن السفينة لا تسير إلا بريح واحدة من وجه واحد سيرها ، فإذا اختلفت عليها الرياح وتصادمت وتقابلت فهو سبب الهلاك ، فالمطلوب هناك ريح واحدة لا رياح ؛ وأكد هذا المعنى بوصفها بالطيب دفعاً لتوهم أن تكون ريحاً عاصفة ، بل هي مما يفرح بها لطيبها)[3] .

ومما يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث ، اسم المصدر (البور) في قوله سبحانه : (وَكَانُوا قَوْماً بُوراً) (الفرقان : ١٨)[4] .

(٤)ندرة المصادر :

تطرق القرطبي إلى بعض المصادر النادرة ، منها مامر معنا آنفاً من مجيء المصدر على وزن (فعول) بفتح الفاء[5] ؛ ومن المصادر النادرة إتيان المصدر على

([1]) ينظر : بدائع الفوائد : ٩٣/١.

([2]) الجامع : ٢٠٤/٢.

([3]) بدائع الفوائد : ٩٤/١.

([4]) ينظر الجامع : ١٦/١٣.

([5])ينظر في ص (٥١) من هذا البحث .

وزن (تفعال) بكسر التاء ، ولم يأت منه إلا مصدران هما : تلقاء ، وتبيان[1] ؛ أما الاسم على هذا الوزن فقد جاء في ستة عشر اسما ، منها : تقصار وتمثال[2] . والمصدران السابقان (تلقاء وتبيان) مختلف في مصدريتهما ، فقد ألمح سيبويه إلى أنهما اسمان أقيما مقام المصدر ، ويقصد بذلك ما أطلق عليه اسم المصدر؛ حيث ذكر أن (تبيان) بكسر التاء من بينت ، كالغارة من أغرت ، والنبات من أنبت ؛ وأشار إلى أن هذا المصدر لايدل على التكثير دلالة المصدر المفتوح التاء ، مثل : تلعاب ، وتهذار، وتقتال ، فهذه تدل على كثرة اللعب والهذر والقتل[3] .

ومما يندر في المصادر ما كان فاؤه وعينه من حروف العلة ، وكان الفاء واواً ، والعين ياء ، وهي : ويل وويح ، وويس ،وويه ، وويك ، وويب ، وكلها متقاربة المعنى ، ولم ينطق العرب منها بفعل[4] ؛ لأن هذه المصادر لفيف مقرون ، فإذا وضع لها أفعال لوقعت الواو بعد حرف المضارعة ، وذلك يوجب إعلالها بالحذف نحو : (يعد ويزن ويثق) ، ويجب إعلال العين ، وهي حرف علة أيضاً ثالث ، وذلك بنقل حركتها إلى الساكن قبلها ، وإعلالها بالتسكين ، مثل (يبيع ويحيد) مما يؤدي إلى الاستثقال من توالي الإعلالات ، وهم لا يسمحون بذلك ، فرفضوا الفعل رأساً [5].

ثانياً: التذكير والتأنيث :

وردت في تفسير القرطبي مسائل متعلقة بقضية التذكير والتأنيث ، ذلك أن ألفاظاً في القرآن الكريم مرتبطة بهذه القضية ، كانت محل خلاف بين علماء العربية ، مما دفع القرطبي إلى توضيحها وتسليط الضوء عليها ؛ من ذلك تذكير لفظ (قريب) مع أنه

([1]) ينظر : الجامع : ٢٠٨/٧، وليس في كلام العرب ، لابن خالويه : ٢٧٨-٢٧٩، ٣٠٨ ، ودقائق التصريف : ٤٨-٤٩، والمصباح المنير (الخاتمة) : ٢٦٧ ، والأشباه والنظائر : ١٦٦/٢.

([2]) ينظر : شرح الشافية : ١٦٧/١، والأشباه والنظائر : ١٤٦/٢.

([3]) ينظر ، الكتاب ٨٤/٤، وشرح الشافية ١٦٧/١، وقد ذكر ابن عصفور في (الممتع في التصريف) أن (تفعال) بالكسر لم يجئ إلا اسماً ، وأن (تفعال) بالفتح لم يجئ إلا مصدراً ، ١٠٨/١، ١٠٩.

([4]) ينظر ، الجامع ١٣/٢، والبيان في غريب إعراب القرآن ، ٩٩/١.

([5]) ينظر الممتع في التصريف ، ٥٦٧/٢، وبدائع الفوائد ٦٦٢/٤.

إخبار عن مؤنث وهو (الرحمة)[1] في قوله تعالى : (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) (الأعراف : ٥٦) ؛ فقد ذكر القرطبي في تذكير (قريب) سبعة أوجه، هي[2]:

(١)أن الرحمة والرحم واحد ، وهي بمعنى العفو والغفران ، قاله الزجاج واختاره النحاس.

(٢)أن الرحمة مصدر وحق المصدر التذكير كقوله تعالى : (فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ) (البقرة: ٢٧٥) ، قاله النضر بن شميل وهو قريب من القول الأول لأن الموعظة بمعنى الوعظ.

(٣)أن المراد بالرحمة الإحسان ، ولأن مالا يكون تأنيثه حقيقياً جاز تذكيره ، ذكره الجوهري.

(٤)أن المراد بالرحمة المطر ؛ قاله الأخفش ، قال : ويجوز أن يذكر كما يذكر بعض المؤنث ، وأنشد:

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها

(٥)تذكير (قريب) على تذكير المكان ، أي مكاناً قريباً ، قاله أبو عبيدة ، وخطأه علي بن سليمان قائلاً: لو كان كما قال لكان (قريب) منصوباً في القرآن ، كما تقول : إن زيداً قريباً منك.

(٦)ذكر (قريب) على النسب ، كأنه قال : إن رحمة الله ذات قرب، كما تقول ، امرأة طالق وحائض .

(٧)أن (قريباً) إذا كان في معنى المسافة يذكر ويؤنث ، وإن كان في معنى النسب يؤنث بلا اختلاف بينهم ، تقول : هذه المرأة قريبتي ؛ أي ذات قرابتي ؛ نقله الجوهري عن الفراء ، ونقل غيره عن الفراء : يقال في النسب قريبة فلان ، وفي غير النسب يجوز التذكير والتأنيث ، فيقال : دارك منا قريب ، وفلانة منا قريب ، قال تعالى : (وَمَا يُدْرِيكَ

---

(1) ينظر تفصيل هذه المسألة في : بدائع الفوائد : ٣/٣٥٢-٣٦٤، والأشباه والنظائر : ٣/١٧٦-١٩٨؛ وفيهما قضايا مهمة في التذكير والتأنيث .

(2) ينظر : الجامع : ٧/٢٢٠-٢٢١(بتصرف).

لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً) (الأحزاب :٦٣) . وقال من احتج له : كذا كلام العرب ، كما قال امرؤ القيس :

له الويل إن أمسى ولا أم هاشم قريب ولا البسباسة بنة يشكرا

قال الزجاج : وهذا خطأ ، لأن سبيل المذكر والمؤنث أن يجريا على أفعالهما[1] .

أما في قوله تعالى : (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ) (الشورى : ١٧) فإن القرطبي يلتمس مخرجاً آخر ، وهو أن الساعة تأنيثها غير حقيقي ؛ لأنها كالوقت ، وينقل عن الزجاج أيضاً مخرجاً آخر ، وهو تقدير حذف مضاف ؛ أي لعل مجيء الساعة قريب ، أما الكسائي فإنه ينزاح عن هذه الأوجه ؛ ليختار المخرج الأسهل والأبسط والبعيد عن التأويلات ، وهو أن (قريباً) نعت ينعت به المؤنث والمذكر والجمع بمعنى واللفظ واحد[2] ، ومنه الآيتان السابقتان (الأعراف : ٥٦، الشورى : ١٧) وقوله تعالى : (أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) (البقرة : ٢١٤) وبيت امرئ القيس السابق، وقول الشاعر :

وكنا قريباً والديار بعيدة فلما وصلنا نصب أعينهم غبنا .

وعكس تذكير (قريب) الذي على وزن (فعيل) ، تأنيث لفظة (النطيحة) في قوله تعالى : (وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ) (المائدة :٣) فلم جاءت هذه اللفظة على صيغة المؤنث بدخول التاء، ولم تأت على صيغة المذكر (نطيح) ؟ قال القرطبي[3] : ((وحق فعيل لا يذكر فيه الهاء ، كما يقال : كف خضيب ولحية دهين[4] ؛ ولكن ذكر الهاء هنا؛ لأن الهاء إنما تحذف من فعيلة إذا كانت صفة بموصوف منطوق به ، يقال: شاة نطيح ، وامرأة قتيل ؛ فإن لم تذكر الموصوف أثبت الهاء ، فتقول : رأيت قتيلة بني فلان ، وهذه نطيحة الغنم [5]؛ لأنك لولم تذكر الهاء فقلت ، رأيت قتيل بني فلان ، لم يعرف أرجل هو أم امرأة)) .

([1]) ينظر في المرجعين السابقين (البدائع ، والأشباه) عرض هذه الآراء ومناقشتها واختيار أيها أقرب إلى الصواب .

([2]) ينظر الجامع ١٨/١٦.

([3]) نفسه ٥٢/٦.

([4]) ينظر : إصلاح المنطق ، ٣٤٣.

([5]) قال في شرح الفصيح : ((وربما جاءت بالهاء ، فذهب بها مذهب الأسماء نحو : النطيحة ، والذبيحة والفريسة ، وأكيلة السبع ، وكذلك قولك : رأيت قتيلة بني فلان ؛ لأنه أجري مجرى الأسماء)) ٢٠٢ وينظر إصلاح المنطق ٣٤٣ المزهر ١٩١/٢.

وفعيل إذا كان بمعنى المفعول استوى فيه المذكر والمؤنث ولا تدخله التاء نحو قوله تعالى:(فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً) (يونس : ٢٤)[١]، وإذا كانت القاعدة على ذلك ، فإن الإشكال يبقى في قوله تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) (المدثر: ٣٨) ذلك أن (رهيناً) فعيل بمعنى مفعول ؛ أي مرهون ، فما سبب تأنيثه هنا ، يجيب القرطبي قائلاً[٢]: ((وليست (رهينة) تأنيث رهين في قوله تعالى : (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) (الطور : ٢١) لتأنيث النفس ؛ لأنه لو قصدت الصفة لقيل : رهين ؛ لأن فعيلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث ؛ وإنما هو اسم بمعنى الرهن ، كالشتيمة بمعنى الشتم ؛ كأنه قيل: كل نفس بما كسبت رهن ، ومنه بيت الحماسة :

أبعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل

كأنه قال : رهن رمس . والمعنى : كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك)).

ونلحظ هنا أن القرطبي قد التمس المخرج اللغوي لهذه اللفظة ، كما التمسه في قوله تعالى : (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ) (الكهف : ٩٨) ، ودكاء يوصف بها الناقة التي لاسنام لها ، فيقال : ناقة دكاء ؛ فكيف وصف السد في هذه السورة ، وهو مذكر بدكاء ! يقول القرطبي[٣] : ((وفي الكلام حذف تقديره : جعله مثل دكاء ، ولا بد من تقدير هذا الحذف ؛ لأن السد مذكر فلا يوصف بدكاء)).

فهو يقرر أن هذا الكلام لا يستقيم عند العرب ، فقدر مضافاً محذوفاً، وهو (مثل دكاء) حتى يستقيم المعنى ؛ لأن السد مذكر ولا يوصف المذكر بما وصف به العرب المؤنث .

ومن الأوزان التي يستوي فيها المذكر والمؤنث (فعولة) بفتح الفاء ، إذا كانت بمعنى فاعل ، ومنه قوله تعالى : (وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً) (الأنعام : ١٤٢) ، ونحو، رجل فروقة ، وامرأة فروقة للجبان والخائف ؛ ورجل صرورة وامرأة صرورة إذا لم يحجا[٤].

([1]) ينظر الجامع ٨/ ٣٠٤.

([2]) نفسه ، ١٩/ ٨٤.

([3]) نفسه ، ١١/ ٦٨.

([4]) ينظر الجامع ، ١٧/ ١١١، ١١٢.

ويبقى هنا إشكال ، وهو لماذا دخلت التاء على (فعول) الذي بمعنى فاعل ، والقاعدة الصرفية تقول : إن فعولاً بمعنى فاعل يستو ي فيه المذكر والمؤنث ويأتي بدون تاء ، نحو : رجل صبور وامرأة صبور ورجل شكور وامرأة شكور ، وإن كان بمعنى مفعول دخلت التاء نحو : حلوبة وركوبة بمعنى محلوبة ومركوبة[1] .

ومايزيل هذا الإشكال ، هو أن التاء الداخلة على (فعول) إذا كان بمعنى فاعل ليست للتأنيث ، إنما هي لتأكيد المبالغة في الصفة ، وهذه التاء تدخل على (فعال ومفعال وفعول وفاعل) نحو : نسابة ومطرابة وفروقة وراوية[2] .

ومن مسائل التذكير والتأنيث التي أشار إليها القرطبي ، ورود ألفاظ في القرآن وصفت مرة بالمذكر ،ومرة أخرى بالمؤنث ، أذكر منها ما يأتي :

-لفظة (النخل) في قوله تعالى : (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) (القمر : ٢٠) بالتذكير ، وقوله في آية أخرى : (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) (الحاقة: ٧) بالتأنيث ، وقد علل القرطبي ذلك ، بأن (النخل) من الجموع التي تذكر وتؤنث[3] ، ويقصد بذلك ما شاع اصطلاحه عند الصرفيين باسم الجنس الجمعي[4] .

-لفظة (الريح) في قوله تعالى : (جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ) (يونس : ٢٢) بالتذكير ، وقوله في آية أخرى:(وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً) (الأنبياء : ٨١) والسبب أن (الريح) اسم جنس[5] ، واسم الجنس يجوز تذكيره وتأنيثه كما مر معنا آنفاً في لفظة (الطفل)[6].

-لفظة (السلطان)، فقد نقل القرطبي عن الفراء أن العرب تؤنث السلطان ، أما البصريون فالتذكير عندهم أفصح ، وبه جاء القرآن ، ونقل عن المبرد أن تذكير (سلطان) على معنى الجمع ، لأنه جمع سليط، وتأنيثه على معنى الجماعة[7] .

([1]) ينظر ، إصلاح المنطق ٣٥٧، ٣٥٨ ، وشرح الفصيح ٢٠٢، ٢٠٣، والمزهر ١٩٢/٢.

([2]) ينظر ، الكامل ٢٤٨/١، والتكملة لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) ، ٣٧٦ ، وشرح الجمل لابن عصفور ، ٣٧٩/٢، وشرح الفصيح ، ٢٠٨، والتأنيث في اللغة العربية ، ٨٠، ٨٨، وتصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن ، ٤٢٥.

([3]) ينظر الجامع ١٣٣/١٧، وشرح المفصل للخوارزمي ٣٩٨/٢ وفيه بيان سبب التذكير والتأنيث .

([4]) ينظر : البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري ٤٠٥/٢، وشرح الشافية ١٩٣/٢ وما بعدها، والصرف الوافي للدكتور هادي نهر ، ١٥٦ ، وتصريف الأسماء والأفعال للدكتور فخر الدين قباوة ، ٢٢٣.

([5]) ينظر الجامع ٢٠٣/٢ + ٣٠١/٨، ٣٠٢+٣٣٨/١١.

([6]) يرجع إليه في ص (٥٦) من هذا البحث.

([7]) ينظر الجامع ٣٦/١٤.

-لفظة (الشمس) في قوله تعالى : (فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّـــي) (الأنعام : ٧٨)[١] .

ومن الألفاظ التي تذكر وتؤنث : النعم ، واليمين ، والذهب ، والسبيل ، والسحاب، والفلك ، والسماء ، والهدى[٢] .

ومن قضايا التذكير والتأنيث ، تغليب المذكر على المؤنث في التعبير عن جماعـة فيها الرجال والنساء بجمع المذكر ، نحو قوله تعالى : (إِنَّكِ كُنْـتِ مِـنَ الْخَـاطِئِينَ) (يوسف: ٢٩) ولم يقل الخاطئات ؛ لأنه قصد الإخبار عـن المـذكر والمؤنـث ، فغلـب المذكر[٣] ، ومنه قوله تعالى : (إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ) (النمل : ٤٣) وقولـه : (وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) (التحريم : ١٢) ولعل السبب في تغليب المذكر ، أن المذكر أصـل والتأنيث فرع[٤]، فغلب الأصل على الفرع ، والله أعلم .

ومن القضايا ؛ التأنيث على المجاورة ، نحو قوله تعالى : (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) (الأنعام : ١٥٨) على قراءة (يوم تأتي)[٥] بالتأنيث ، وقوله سبحانه : (يَلْتَقِطْـهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ) (يوسف : ١٠) على قراءة (تلتقطه)[٦] بالتأنيث ، وقوله جل وعـلا : (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) [٧] (الأنعام : ١٦٠) فهذه الآيـات تـدل علـى التأنيث للمجاورة لا على الأصل ، ففي الآية الأولى أنث الفعل (تأتي) لمجاورة (بعـض) وهو مذكر ، بمؤنث وهي (الآيات) ، وكذا الأمر في الآية الثانية ، بإضافة المـذكر إلـى مؤنث وكون المضاف بعضاً منه ، ومنه قولهم : (ذهبت بعض أصابعه) فبعض الأصـابع جزء من الأصابع ، وهو من إضافة الجزء إلى الكل فعومل الجزء معاملة الكل بتأنيث فعله

([1] نفسه ٣٠/٧ .

([2] ينظر على التوالي في الجامع : ٣٨/٤، ٢٥٠/٦، ١٢٠/٨، ٤١٠/٦، ٢٢٢/٧، ٣٠١/٨، ٢٣٤/١، ١٧٩/١.

([3] نفسه ، ١٨٠/٩ ، وينظر تفصيل ظاهرة التغليب في كتاب : رسالتان في لغة القرآن ؛ الرسالة الثانية : رسالة في تحقيق التغليب ، لابن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ).

([4] ينظر في تأكيد أن المذكر أصل والمؤنث فرع في : الكتاب ٢٢/١+٢٤١/٣، والكامل ٣٦٦/١، والتكملة ، ٣٠٦ وبدائع الفوائد ٣٦٠/٣، والأشباه والنظائر ٧٣/١+١٤٨/٢، والتأنيث في اللغة العربية ، ٣٤.

([5] ينظر الجامع ١٤٦/٧.

([6] نفسه ١٣٨/٩.

([7] نفسه ١٤٨/٧.

؛ أما الآية الثالثة ، فمعلوم أن العدد (عشر) إذا جاء مفرداً يخالف المعدود في التذكير والتأنيث ، فلماذا لم يقل (عشرة أمثالها) كون الأمثال جمع تكسير لمذكر ؛ والجواب: أن الأمثال مضاف إلى مؤنث (الضمير العائد للحسنة) فحسن التأنيث لكون المضاف إلى مؤنث إياه في المعنى أو بعضاً منه[1] .

ومما يلحق بالتأنيث دخول التاء[2] على بعض الصيغ ؛ لتضفي عليها دلالات مختلفة ، نورد بعض ما أشار إليه القرطبي ، وهي :

-التاء المؤكدة لتأنيث الجمع :

وهذه التاء تلحق بعض جموع التكسير لتدل على تأكيد تأنيث الجمع ، والصيغ المشهورة التي لحقتها التاء في الجموع :

أفعلة ، نحو : ألوية ، وفعلة ، نحو : صبية ، وفعلة نحو : قضاة [3]، وفعلة نحو: سحرة ، وفعلة نحو : قردة[4] .

أما (بعولة) في قوله تعالى : (وبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ) (البقرة :٢٢٨) وهي جمع (بعل) ، ومثلها (ذكورة) جمع (ذكر) و(فحولة) جمع (فحل) ، فإن التاء المؤكدة لتأنيث الجمع فيها شاذ ولا يقاس عليه ، ويعتمد فيها السماع ، فلا يقال في جمع (لعب) لعوبة[5] .

وكذا التاء في (الملائكة) لتأكيد تأنيث الجمع ؛ ومثله الصلادمة ، وقيل هي للمبالغة كعلامة ونسابة[6] .

([1]) ينظر ، الجامع ١٤٨/٧ والكامل ٦٦٨/٢، ٦٦٩، والأصول في النحو لابن السراج ، ٤٧٦/٣ وما بعدها ، وشرح الجمل لابن عصفور ، ٤٠٨/٢-٤٠٩ وبدائع الفوائد ٣٦٠/٣، والأشباه والنظائر ٢٣٠/١، ٢٣١.

([2]) تنبيه : يطلق القرطبي على هذه التاء مصطلح (اهاء) .

([3]) أصلها (قضية) على فعلة قلبت الياء ألفاً لتحركها وفتح ما قبلها .

([4]) ينظر هذه الجموع في : الكتاب ، ٤٩٠/٣، ٥٦٨، والمقتضب ١٩٣/٢ وما بعدها ، وجموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية ، للدكتور عبد المنعم سيد عبد العال ، ٢٩ ، والتأنيث في اللغة العربية ، ٩٤وما بعدها .

([5]) ينظر الجامع ١٢٣/٣.

([6]) ينظر الجامع ٢٧٩/١ ، والراجح أنها التاء المؤكدة لتأنيث الجمع ، ينظر : شرح المفصل للخوارزمي ٣٧٨/٢ وما بعدها ، وشرح الشافية ١٩٠/٢.

-تاء المبالغة :-

وهي تلحق بالاسم للمبالغة في الصفة التي دل عليها هذا الاسم ، نحو : راوية ونسابة[1] ؛ والعلة في تأنيثهم المذكر بهذه التاء ، أنهم أرادوا أنه غاية في ذلك الوصف ، والغاية مؤنثة [2].

ومما بينه القرطبي في تفسيره من دلالة هذه التاء ؛ ما جاء في قوله سبحانه : (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) (القيامة : ١٤) حيث قال[3] : ((هذه الهاء في قوله (بصيرة) هي التي يسميها أهل الإعراب هاء المبالغة[4] ، كالهاء في قولهم : داهية ، وعلامة ، وراوية)).

ومثل ذلك ، لفظة (خائنة) في قول الله تعالى : (وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ) (المائدة : ١٣) جاء في الجامع[5] : ((وقد تقع (خائنة) للواحد ، كما يقال : رجل نسابة ، وعلامة ؛ فخائنة على هذا للمبالغة ، يقال : رجل خائنة ؛ إذا بالغت في وصفه بالخيانة . قال الشاعر :

حدثت نفسك بالوفاء ، ولم تكن للغدر خائنة مغل الإصبع)).

وكذا (مطرابة ومرضاعة) ، فإن التاء الداخلة على هذا الوزن (مفعال) للمبالغة ؛ أما إذا أريد بهذا الوزن الدلالة على التكثير ، نحو : امرأة مرضاع ، فإن التاء لا تدخل عليه فرقاً بين المؤنث والمذكر ؛ لأنه ليس بجار على الفعل[6] .

-تاء العوض :-

هذه التاء تلحق بعض الجموع عوضاً عن الياء التي كان ينبغي أن تلحق هذه الجموع ، نحو : عمالية ، وزناديق ، وبطاريق ، وأساوير ؛ فاستبدلوا التاء عوضاً عن

---

(1) ينظر : الكامل : ٢٤٦/١-٢٤٨ + ١٠٩١/٣، ١٢٢٥، والتكملة : ٣٧٦، وشرح الفصيح : ٢٠٦، والأشباه والنظائر : ١٥٠/٢، والكوكب الدري : ٣٥١.

(2) ينظر : شرح الجمل لابن عصفور : ٣٧٩/٢، والتأنيث في اللغة العربية : ٨٨-٨٩.

(3) الجامع : ٩٨/١٩.

(4) ينظر : المحلى لابن شقير : ٢٤٥.

(5) الجامع : ١١٦/٦.

(6) نفسه : ٢٦٧/١٣، وإصلاح المنطق : ٣٥٨.

الياء فقالوا : عمالقة ، وزنادقة ، وبطارقة ، وأساورة[1] ؛ ولا يجمع بينهما ، فإذا دخلت التاء ، حذفت الياء، والعكس كذلك[2].

وقد تدخل تاء العوض على بعض المصادر المعتلة عوضاً عن حذف حرف العلة، من ذلك قوله سبحانه : (وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ) (النور : ٣٧) يقول القرطبي في حذف التاء من المصدر (إقامة)[3] : ((يقال : أقام الصلاة إقامة ، والأصل (إقواماً) ، فقلبت حركة الواو على القاف ، فانقلبت الواو ألفاً وبعدها ألف ساكنة ، فحذفت إحداهما ، وأثبتت الهاء لئلا تحذفها فتجحف ، فلما أضيفت قام المضاف مقام الهاء فجاز حذفها ، وإن لم تضف لم يجز حذفها[4] ؛ ألا ترى أنك تقول: وعد عدة ، ووزن زنة ، فلا يجوز حذف الهاء ؛ لأنك قد حذفت واواً ؛ لأن الأصل وعد وعدة ، ووزن وزنة ، فإن أضفت حذفت الهاء)).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

ثالثاً: الجموع:

أورد القرطبي في تفسيره مسائل كثيرة متعلقة بالجموع ، صيغها وأوزانها ودلالاتها ؛ أكتفي منها بما يأتي للتوضيح :

(١)جموع القلة والكثرة :

الأصل في الجمع ، جمع الكثرة ، أما جمع القلة فليس بأصل في ذلك ؛ لأنه لا يذكر إلا حيث يراد به بيان القلة[5] ، ومن جموع القلة جمع المؤنث السالم ، نحو : خطوات ، وتجمع على الكثرة فيقال : خطا[6] . وكذا ما كان على وزن (فعل) ، فإنه يجمع في القلة على أفعال ، وفي الكثرة على فعال[7] ؛ من ذلك (إل)[1] في قوله سبحانه: (لا يَرْقُبُوا

([1]) ينظر : الجامع : ٩٨/١٦، والكتاب : ٢٥/١، وشرح الشافية : ١٨٨/٢، والموضح في وجوه القراءات : ١١٥٣/٣.

([2]) ينظر : التكملة : ٣٧٨، وشرح الجمل لابن عصفور : ٣٧٩/٢.

([3]) الجامع : ٢٨٠/١٢.

([4]) مسألة حذف التاء ، وإثباتها مسألة خلافية ؛ فسيبويه يجيز حذفها ، فيقال : أقام إقاماً ، واستجاز استجازاً ؛ إلحاقاً بالمضاف في قوله سبحانه : ((وإقام الصلاة)) ، وتبعه في ذلك ابن السراج ؛ أما الفراء فقد خص حذف التاء في الإضافة ، ليكون المضاف إليه قائماً مقام التاء ، وإن لم تضف لم يجز حذفها ؛ ورأي الفراء أولى ؛ لأن السماع لم يثبت حذفها إلا مع الإضافة . ينظر : الكتاب : ٨٣/٤، والأصول في النحو : ١٣٢/٣، وشرح الشافية : ١٦٥/١.

([5]) ينظر : شرح الشافية : ٩٢/٢.

([6]) ينظر : الجامع : ٢١٣/٢.

([7]) ينظر : التكملة : ٤١٨-٤١٩، وشرح الجمل لابن عصفور : ٥٣٦/٢، ٥٤١، وشرح الشافية : ٩٣/٢.

فِيكُمْ إِلًّا وَلا ذِمَّةً) (التوبة : ٨) فإنها تجمع في القلة : آلال ، على أفعال ؛ وفي الكثرة : إلال ، على فعال[٢] . ومثله في المعتل (ريح) ، يقال في القلة : أرواح ، ولا يقال : أرياح ؛ لأنها من ذوات الواو ، فريح أصلها: روح ؛ لذا جاءت القراءة في قوله سبحانه : (وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ) (البقرة : ١٦٤) في مصحف حفصة رضي الله عنها : ((وتصريف الأرواح)) ؛ وفي الكثرة يقال : رياح ؛ وإنما قيل : رياح ، من جهة الكثرة ، وطلب تناسب الياء معها[٣] ؛ أي إن إبدال الواو ياء في (رياح) ؛ لأن جمع الكثرة يأتي على (فعال) بكسر الفاء ، فلما انكسرت الراء في رياح لمجيئها على جمع الكثرة ، قلبت الواو ياء لمجانستها مع الكسرة ، والأصل : رواح .

أما (فعيل) فإنه يجمع في القلة على (أفعلة) وفي الكثير (فعلان) ، و(فعل) ، وقد جاء على (أفعلاء) ، مالم يكن معتل اللام ولا مضاعفا[٤] ، وذلك نحو (فريق) ، وهو اسم جنس لا واحد له من لفظه ، فإنه في أدنى العدد يجمع على أفرقة ، وفي الكثير (أفرقاء)[٥].

وأما وزن (فعلة) بكسر الفاء وسكون العين ، فإنه يجمع في أدنى العدد على (فعلات) ، ويجوز في عينه : الفتح للتخفيف والكسر للاتباع والتسكين على الأصل ، نحو (قربة) فيقال : قربات وقربات وقربات ، وفي الكثرة (قرب) على (فعل)[٦] .

(٢)جمع المعتل :

من هذه الجموع ، جمع معتل العين جمع تكسير ، فإنه في القلة يجمع على (أفعال) وقد يجمع على (أفعل) ، وفي الكثرة على (فعول)[١] ، ومن ذلك لفظة (شيخ) التي فصل

([1]) إل : معناه العهد . ينظر الصحاح (ألل).

([2]) ينظر الجامع : ٧٨/٨.

([3]) نفسه : ٢٠٣/٢+٢٢١/٧.

([4]) ينظر شرح الجمل لابن عصفور ٥٤٨/٢.

([5]) ينظر الجامع ٥/٢، ٦ .

([6]) نفسه ٢١٨/٨ ، وينظر اللباب في علل البناء والإعراب ، للعكبري ، ١٨٩/٢، شرح المفصل للخوارزمي ٣٤٣/٢، وشرح الجمل ٥٣٨/٢، ٥٣٩.

القرطبي في تصريفها ، من حيث الاشتقاق ، والجموع، والتصغير، والمصدر، في معرض حديثه عن قوله تعالى : (ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً) (غافر : ٦٧) ، حيث قال[٢] : ((بضم الشين قراءة نافع وابن محيصن ... على الأصل ؛ لأنه جمع (فعل)[٣] ، نحو (قلب وقلوب ورأس ورؤوس) وقرأ الباقون بكسر الشين لمراعاة الياء ، وكلاهما جمع كثرة ، وفي العدد القليل (أشياخ) والأصل (أشيخ) مثل فلس وأفلس، إلا أن الحركة في الياء ثقيلة[٤] ، وقرئ (شيخاً) على التوحيد ، كقوله (طفلاً) ، والمعنى كل واحد منكم ، واقتصر على الواحد ؛ لأن الغرض بيان الجنس ، وفي الصحاح[٥] : جمع الشيخ : شيوخ وأشياخ وشيخة وشيخان ومشيخة ومشايخ ومشيوخاء والمرأة شيخة ... وقد شاخ الرجل يشيخ شيخاً (بالتحريك على أصله) وشيخوخة، وأصل الياء متحركة فسكنت ؛لأنه ليس في الكلام فعلول[٦]. وشيخ تشييخاً؛ أي شاخ ، وشيخته دعوته شيخاً للتبجيل . وتصغير الشيخ شييخ ، وشييخ أيضاً بالكسر ، ولا تقل شويخ . النحاس : وإن اضطر شاعر جاز أن يقول : (أشيخ) مثل عين وأعين ، إلا أنه حسن في عين ؛ لأنها مؤنثة . والشيخ من جاوز أربعين سنة)).

وإذا جمع معتل العين جمع المؤنث السالم سكنت العين ، نحو : (عورات) ، وإن كان القياس في الصحيح فتح العين ، مثل (جفنات) ؛ وإنما سكنوا العين ؛ لأن فتحه داع إلى اعتلاله[٧] ، فلم يفتح لذلك ، وأما قول الشاعر :

أبو بيضات رائح متأوب رفيق بمسح المنكبين سبوح

بفتح ياء بيضات ، فشاذ[٨] .

([1]) ينظر التكملة : ٤١١، وشرح الجمل ٥٤١/٢.

([2]) الجامع ٣١٦/١٥.

([3]) ينظر ، شرح المفصل للخوارزمي ٣٣٨/٢.

([4]) لأنهم لو قالوا فيه (أفعل) نحو ؛ (أشيخ وأسوط) لثقلت الضمة على حرف العلة ، وإن كان قبلها ساكن ؛ لأن الجمع ثقيل لفظاً ومعنى ، فيستثقل فيه أدنى ثقل . ينظر : شرح الشافية (بتصرف) ٩٠/٢.

([5]) ينظر الصحاح : (شيخ) .

([6]) ينظر : الكتاب: ٢٩١/٤،وإصلاح المنطق: ٢١٨، وإسفار الفصيح : ٧١٤/٢ ، وبدائع الفوائد : ٨٨/١ والمزهر ٦٣/٢.

([7]) ذكر في شرح الشافية أن علة سكون العين في المعتل ، هو استثقال الحركة على الواو والياء المفتوح ما قبلهما ؛ لا منعاً من اعتلاله ؛ أي من قلب الواو والياء ألفاً ؛ لأن هذيل تفتح في الأجوف كما تفتح في الصحيح استخفافاً للفتحة ، ولم يحدث إعلال في ذلك لكون الحركة عارضة عليهما . (١١٢/٢-١١٣).

([8]) ينظر : الجامع : ٣٠٤/١٢.

ومن جموع المعتل التي تطرق إليها القرطبي ، جمع معتل اللام في الاسم المنقوص الذي على وزن فاعل ؛ مثل سقاة جمع ساق ، وقضاة جمع قاض ، ونساة جمع ناس ؛ فإنه يجمع على (فعلة) [1]، فإن لم يكن معتل اللام جمع على (فعلة) نحو : خائن وخونـــة[2] ؛ والعلة في جمع (فاعل) من المنقوص على (فعلة) ، التفريق بين الصحيح والمعتل ؛ ولأن هذا الوزن فيه خفة وليس له مثيل في الآحاد المعتلة[3] .

فإن كان معتل اللام بالواو مثل : قنو ، وصنو ؛ فإنه يجمع على (فعلان) بكسر الفاء أو ضمها[4] ، وإذا فتحت الفاء فهو اسم جمع غير مكسر ، بمنزلة (ركب) عند ســيبويه ، وبمنزلة الباقر والجامل[5] ؛ لأن (فعلان) بفتح الفاء ليس من أمثلة الجمع[6] .

(٣)جمع الجمع :-

أشار القرطبي في مواطن كثيرة إلى جمع الجمع ، أكتفي منها بعرض أنموذجين:

(أ)لفظة (سقف) بضمتين في الآية (٣٣) من سورة الزخرف ؛ هي قراءة الجماعة ، وهــي جمع (سقف) مثل : رهن ورهن ، وقيل : جمع سقيف مثل : رغيف ورغف وكثيب وكثب ، وقيل : جمع سقوف ، فيصير جمع الجمع ، سقف وسقوف ، مثل : فلس وفلــوس ، ثــم جعلوا فعولاً كأنه اسم واحد فجمعوه على فعل[7] .

(ب)لفظة (أساورة) في الآية (٥٣) من سورة الزخرف ، وهي قراءة الجماعة ، والأســاورة جمع أسورة ، والأسورة جمع سوار كخمار وأخمرة ؛ فهي جمع الجمع[8] .

(٤)حمل جمع غير العاقل على جمع العاقل :

([1]) نفسه : ٨٨/٨ ، وينظر : شرح المفصل للخوارزمي : ٣٦٣/٢ ، وشرح الجمل لابن عصفور : ٥٥٧/٢، والأشباه والنظائر : ١٦٤/٢.

([2]) ينظر : الأصول في النحو لابن السراج : ١٦/٣.

([3]) ينظر : اللباب في علل البناء والإعراب : ١٨٥/٢.

([4]) ينظر : شرح الشافية : ٩٣/٢.

([5]) ينظر : شرح المفصل للخوارزمي : ٣٧٥/٢.

([6]) ينظر : الجامع : ٥٠/٧.

([7]) نفسه ٨٣/١٦.

([8]) ينظر : الجامع ٩٨/١٦، و الأصول في النحو ، باب جمع الجمع ٣٢/٣، والتكملة ، باب جمع الجمع ، ٤٦٠.

اختص العرب جمع المذكر العاقل بالواو والنون أو الياء والنون ، أما جمع المذكر غير العاقل ، سواء كان حقيقياً نحو (أسد) أو مجازياً نحو (قمر) ، فلا يجمع بما يسميه الصرفيون جمع المذكر السالم ؛ إلا أن العرب قد تجمع مالايعقل جمع من يعقل إذا أنزلوه منزلته ، وإن كان خارجاً عن الأصل ، من ذلك قوله تعالى : (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) (يوسف : ١١) فجمعت جمع المذكر السالم ، (فالقول عند الخليل وسيبويه أنه لما أخبر عن هذه الأشياء بالطاعة والسجود ، وهما من أفعال من يعقل أخبر عنها كما يخبر عمن يعقل)[١] .

وهذا الحمل دلالي ، وقد يحمل مالا يعقل على جمع المذكر العاقل ، لعلة صرفية ، نحو جمع (سنين ومئين) جمع المذكر السالم[٢] ، وكذا الأمر في جمع اسم الجنس (الأرض) ، حيث قالوا (أرضون) والعلة التي أوضحها القرطبي في جمع الأرض جمع المذكر السالم هي أن (الأرض مؤنثة ، وهي اسم جنس ، وكان حق الواحدة منها أن يقال : أرضة ، ولكنهم لم يقولوا . والجمع أرضات ؛ لأنهم قد يجمعون المؤنث الذي ليس فيه هاء التأنيث كقولهم : عرسات ؛ ثم قالوا : أرضون ، فجمعوا بالواو والنون ؛ والمؤنث لا يجمع بالواو والنون ، إلا أن يكون منقوصاً ، كثبة وظبة ، ولكنهم جعلوا الواو والنون عوضاً من حذفهم الألف والتاء[٣] ، وتركوا فتحة الراء على حالها ، وربما سكنت) [٤] . ونحو ذلك لفظة (عليين)[٥] . و (عزين)[٦] و (عضين)[٧] .

(٥)جموع شاذة :

أورد القرطبي جموعاً خرجت عن القياس ، منها :

([1]) الجامع ١٢٦/٩.

([2]) ينظر ، بدائع الفوائد ٨٩/١ وفيه علة جمع سنين ومئين جمع المذكر السالم .

([3])ينظر المرجع نفسه ، وفيه مسائل دقيقة وفوائد نادرة وبديعة في أسرار الجموع ، يرجع إليها للاستفادة ، ٨٦/١ – ٩٧.

([4]) الجامع ٢٢٠/١.

([5]) نفسه ، ٢٥١/١٩.

([6])نفسه ٢٨١/١٨، ٢٨٢ .

([7]) نفسه ٦٤/١٠.

-جمع واد على أودية ، والقياس أن يجمع على وواد ، لأن فاعلاً يجمع على فواعل لا على أفعلة ، وسبب خروجهم عن القياس أنهم استثقلوا الجمع بين واوين ، وهم قد يستثقلون واواً واحدة ، حتى قالوا : أقتت في وقتت[١] .

-جمع ليلة علي ليال ، وهو مما شذ عن قياس الجموع ، وكأن ليالي في القياس جمع ليلاة[٢].

-جمع خيانة على خيائن ، والقياس : خوائن ؛ لأنه من ذوات الواو ، إلا أنهم فرقوا بينه وبين جمع خائنة[٣]، منعاً من الالتباس .

-جمع الحظ على أحاظ على غير القياس[٤] ، وذلك أن (فعلاً) إذا كان مضاعفاً فإنه يجمع في القليل على أفعل نحو : صك وأصكك ، وفي الكثير على فعال وفعول ، نحو : صكاك وصكوك ، ولا يتجاوزه[٥] ، وكأن (أحاظي) جمع أحظ المنقوص[٦] .

وقد يذكر القرطبي الجمع الموافق للقياس ، وإن كان مهملاً نحو قوله[٧] : ((وجمع الباطل بواطل ، والأباطيل جمع البطولة)) ، فهو يبين قياس جمع باطل (فاعل) على بواطل (فواعل) ، وإن كان العرب قد استعملوا الأباطيل جمعا للباطل على غير القياس[٨].

رابعاً: المشتقات :

([1]) ينظر الجامع ٨/ ٢٧٠، وشرح الجمل لابن عصفور ، ٢/ ٥٥٥.

([2]) ينظر الجامع ٢/ ١٩٧، ودقائق التصريف ، ٤٠١، واللباب في علل البناء والإعراب ٢/ ١٩٠ وشرح المفصل للخوارزمي ٢/ ٣٧٣ وشرح الشافية ٢/ ١٠٦.

([3]) ينظر الجامع ٨/ ٥٦.

([4]) نفسه ٤/ ٢٩٤ ودقائق التصريف ، ٤٠١.

([5]) ينظر شرح الجمل لابن عصفور ٢/ ٥٣٦-٥٣٧.

([6]) ينظر الصحاح (حظظ).

([7]) الجامع ٢/ ٣٣٧.

([8]) ينظر : الأصول في النحو ٣/ ٢٩، ودقاق التصريف ، ٤٠١ وشرح الشافية ، ٢/ ٢٠٥، وشرح الجمل ٢/ ٥٣٧، ٥٤٢، وشرح المفصل للخوارزمي ٢/ ٣٧٢.

لقد اهتم القرطبي بالمشتقات ، وبيان دلالاتها ، سأورد منها نتفاً ، تبرز لنا مدى عنايته باللفظة القرآنية صرفياً ودلالياً في إطار توضيحه سياق الآيات لفظاً ومعنى ، من هذه المشتقات :

١-مفعال : يدل على التكثير ، ولا تدخل الهاء فيه فرقاً بين المؤنث والمذكر لأنه ليس بجار على الفعل[١] ، ففي قوله تعالى : (وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً) (الأنعام : ٦) قال القرطبي[٢] : ((ومدراراً : بناء دال على التكثير ، كمذكار للمرأة التي كثرت ولادتها للذكور ، ومئناث للمرأة التي تلد الإناث [٣])) ، وكذا منجاد لكثير النجدة ، ومطعان لكثير الطعن ، ومحسان لكثير الإحسان ومكرام لكثير الإكرام[٤] .

٢-فعلوت : زيدت فيها الواو والتاء للمبالغة ، مثل : رغبوت ، ورهبوت ، وجبروت ، وملكوت،ومنه قوله تعالى: (وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض) [٥]. (الأنعام : ٧٥)

٣-فعلة : ففي معرض حديثه عن قوله تعالى : (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) (الهمزة : ١) قال[٦] ((والهمزة اسم وضع للمبالغة في هذا المعنى ، كما يقال : سخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك بالناس)) ، وقصده في ذلك أن فعلة بناء دال على المبالغة في الكثرة ، وأن صاحبه يفعل ذلك كثيراً ، حتى صار ذلك عادة له[٧] .

٤-التفعل : بناء دال على المبالغة ، نحو (التعفف)[٨] .

ومن اهتمامه بالمشتقات ودلالاتها التمييز بين بعض الصيغ نحو :

([1]) ينظر الجامع ٢٦٧/١٣ وإصلاح المنطق ٣٥٨.

([2]) الجامع ، ٣٦٧/٦.

([3]) ينظر ، النوادر في اللغة ، ٢٤٢، والصاحبي في فقه اللغة العربية ، ٢٢٧ وشرح الفصيح ، ٢٠٣.

([4]) ينظر ، الكامل ٣٢٦/١+١٢٢٥/٣ وشرح التعريف بضروري التصريف لابن إياز (ت ٦٨١هـ) ، ص ٦٧.

([5]) ينظر الجامع ٢٧/٧.

([6]) نفسه ١٨٢/٢٠.

([7]) ينظر إسفار الفصيح ، ٧١٢/٢ فتح القدير ٦٢٣/٥.

([8]) ينظر الجامع ٣٤٢/٣.

(أ)-التمييز بين فعال وفاعل في سياق حديثه عن قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً) (النساء : ١٠٧) حيث بين أن خواناً أبلغ من خائن ، لأنه من أبنية المبالغة ، وجاءت الصيغة على هذه الصورة في هذه الآية لعظم قدر تلك الخيانة[١]. وكذا سحار أشد مبالغة من ساحر[٢].

(ب)-التمييز بين فعيل وفاعل ، نحو (عليم وحكيم) ، فإن عليماً وحكيماً بمعنى فاعل ، أي عالم وحاكم ؛ إلا أن فعيلاً للمبالغة ، فعليم دال على المبالغة والتكثير في المعلومات، وبين حيكم وحاكم مزيد مبالغة[٣].

(ج)-التمييز بين اسم الفاعل والصفة المشبهة ، ببيان دلالة كل منهما ، فعند قوله تعالى : (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ) (هود: ١٢) يبين القرطبي دلالة استعمال (ضائق) بدلاً من (ضيق) بقوله[٤] : ((وقال : ضائق ، ولم يقل : ضيق ؛ ليشاكل(تارك) الذي قبله ، ولأن الضائق عارض ، والضيق ألزم منه)).

فهنا يبين القرطبي الفصاحة اللفظية والمعنوية للقرآن ، فاستعمال (ضائق) مناسب من حيث اللفظ ؛ لمشاكلة (تارك) في الوزن فكلاهما على وزن اسم الفاعل ، ومناسب من حيث المعنى ؛ لأن اسم الفاعل عارض لا يدل على الثبوت واللزوم ، وسياق الآية يوحي بأن هذا الضيق الذي في الصدر هو عارض سريعاً مايزول ، ولو وضع (ضيق) موضع

([1]) ينظر الجامع، ٣٧٧/٥.

([2]) نفسه ٢٤٧/٧.

([3]) نفسه ٣٠١/١.

([4]) نفسه ١٦/٩.

(ضائق) لفسد المعنى وتغير ، وهكذا ألفاظ القرآن وضعت كل لفظة في موضعها المناسب ، لتبرز لنا فصاحة القرآن وبلاغته وإعجازه[1].

وفي موضع آخر يبين الدلالة الزمانية لهما ، فعند قوله تعالى : (فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) (محمد :١٥) ذكر أن قراءة العامة بالمد (آسن) – اسم فاعل – وقراءة ابن كثير وحميد (أسن) بالقصر – صفة مشبهة – ثم نقل عن الأخفش قوله[2] ((أسن للحال ، وآسن (مثل فاعل) يراد به الاستقبال)).

وفي معرض حديثه عن قوله تعالى: (هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُم) (هود:٧٨) يبين القرطبي أن الصفة قد تأتي على وزن (أفعل) غير دالة على التفضيل ، قائلاً[3] ((وليس ألف (أطهر) للتفضيل حتى يتوهم أن في نكاح الرجال طهارة ، بل هو كقولك : الله أكبر وأعلى وأجل ، وإن لم يكن تفضيلا ، وهذا جائز وشائع في كلام العرب ، ولم يكابر الله أحد حتى يكون الله تعالى أكبر منه[4]. وقد قال أبو سفيان بن حرب يوم أحد : أعل هبل ، أعل هبل ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر : (قل الله أعلى وأجل) ، وهبل لم يكن قط عالياً ولا جليلاً)).

وإلحاقاً بالمشتقات أذكر بعض الصيغ النادرة التي جاءت في القرآن وأشار إليها القرطبي ، مكتفياً منها بصيغتين هما :

١-الجبار :ففي الآية (٢٣) من سورة الحشر ، وفي سياق تفسيره للآية أشار القرطبي إلى أن فعالاً لم يسمع من أفعل إلا في حرفين : جبار من أجبر ، ودراك من أدرك[5].

([1]) لمزيد من الإطلاع في بلاغة اللفظة القرآنية ودلالتها ، ينظر كتاب : (بلاغة الكلمة في التعبير القرآني) للدكتور فاضل صالح السامرائي، ورسالة الدكتوراه المقدمة في كلية الآداب بجامعة بغداد الموسومة بـ (دلالة السياق في القصص القرآني) للطالب اليمني محمد عبد الله علي سيف ، ص ١٨ وما بعدها ، والإعجاز الصرفي في القرآن ، (التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة) ، للدكتور عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي.

([2]) الجامع ٢٢٨/١٦.

([3]) نفسه ٧٩/٩.

([4]) ذكر السيوطي في الأشباه والنظائر (٤٠/٣) أن (أفعل) قد يأتي مشتركاً بين التفضيل والصفة المشبهة ، نحو : أكبر وأعظم ، ونحوهما من صفات الله ، فإنها في حقه سبحانه لا تكون بمعنى التفضيل ، بل بمعنى كبير وعظيم.

([5]) ينظر : الجامع : ٤٦/١٨، والمزهر : ٨١/٢.

٢-القدوس: وفي الآية الماضية نفسها ، ذكر القرطبي أن كل اسم على (فعول) فهو مفتوح الأول ؛ مثل : سفود[١] ، وكلوب[٢] ، وتنور[٣]، وسمور[٤] ، وشبوط [٥] ؛ إلا السبوح والقدوس ، فإن الضم فيهما أكثر ، وقد يفتحان[٦] ؛ وكذلك الذروح[٧] بالضم[٨].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

([1]) السفود : حديدة ذات شعب معقفة يشوى بها اللحم . ينظر : إسفار الفصيح : ٦٠٦/٢، واللسان (سفد) .

([2]) الكلوب : حديدة معقفة كالخطاف . ينظر : إسفار الفصيح : ٦٠٧/٢ ، واللسان (كلب).

([3]) التنور : هو الذي يخبز فيه . ينظر : إسفار الفصيح : ٦٠٨/٢، واللسان (تنر).

([4]) السمور : دابة يتخذ من جلودها الفراء . ينظر : إسفار الفصيح : ٦٠٧/٢، واللسان (سمر).

([5]) الشبوط : ضرب من السمك يكون في العراق ، دقيق الذنب ، عريض الوسط، صغير الرأس ، لين الملمس . ينظر : إسفار الفصيح : ٦٠٨/٢، واللسان (شبط).

([6]) ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٢٢١-٢٢٢، والمزهر : ١٠٣/٢ .

([7]) الذروح : ذويبة أعظم من الذباب ، منقطة بسواد وحمرة وصفرة ، لها جناحان تطير بهما ، فيها سم قاتل . ينظر إسفار الفصيح : ٦٠٨/٢، واللسان (ذرح).

([8]) ينظر : الجامع : ٤٥/١٨، وإصلاح المنطق : ٢١٨، وليس في كلام العرب : ٢٥٠.

المبحث الثاني

الأبنية الفعلية

تعد الأبنية الفعلية قليلة ، قياساً إلى أبنية الأسماء ، وهي قياسية إلا ما شذ عنها ، وتنقسم على قسمين : ثلاثية ورباعية ، ولكل منهما مجرد ومزيد ، ولكل من المجرد والمزيد معان ؛ فالمجرد له معنى خاص يدل عليه ، وهذا المعنى هو الحدث الذي يتضمنه الفعل مرتبطاً بزمن معين ، فإذا أزيد المجرد بحرف أو أكثر ، لغير الإلحاق[1] ، صار له معنى إضافي لم يكن موجوداً في المجرد .

والمتتبع للقرطبي في تفسيره يجده معتنياً بالأفعال ، أبنيتها ومعانيها ، خاصة منها الثلاثي المجرد والمزيد ؛ لكثرتها في القرآن الكريم ، وهذه العناية بالأفعال يمكن إيضاحها فيما يأتي:

مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أولاً: الفعل الثلاثي المجرد :

الأفعال الثلاثية المجردة مستفيضة في القرآن الكريم ، إلا أن هنالك ظواهر صرفية مشتركة بين بعض الأفعال أشار إليها القرطبي منها :

(١)اختلاف حركة عين الفعل :

للفعل الثلاثي الماضي باعتبار عينه ثلاثة أوزان أصلية ، هي : فعل (بفتح العين)، وفعل (بالكسر) ، وفعل (بالضم) ، وهذه الأوزان لمضارعها ستة أوجه ، هي[2] :

-فعل يفعل (بفتح عين الماضي والمضارع) نحو : رفع يرفع .

-فعل يفعل (بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع) نحو : كسب يكسب .

([1]) الإلحاق : هو زيادة في بنية الكلمة توسعاً في اللغة ، فتصبح الكلمة الملحقة على بناء مساو لغيرها من الناحية الشكلية ، نحو كلمة (جوهر) ألحق بها الواو لتكون على وزن كلمة (جعفر) ، وكذا كل زيادة قصد منها التوسع في اللغة نفسها ، تسمى : (الزيادة للإلحاق) ، ينظر : كتاب سيبويه ٤/٢٨٦، ٢٨٧ ، شرح الشافية ١/٥٢ وما بعدها ، تصريف الأسماء والأفعال ، للدكتور فخر الدين قباوة ، ١٠٦، والصرف الوافي ، للدكتور هادي نهر ، ١٩٩.

([2]) ينظر : كتاب سيبويه ٤/٥، ٣٨، ٤٠، ١٠١، والأصول في النحو ٣/٨٦ وما بعدها ، ودقائق التصريف ١٤٧، وشرح الشافية ١/٦٧، والصرف الوافي ١٩٦.

-فعل يفعل (بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع) نحو : قتل يقتل.

-فعل يفعل (بالضم فيهما)نحو : كثر يكثر .

-فعل يفعل (بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع) نحو : شرب يشرب .

-فعل يفعل (بالكسر فيهما) نحو : حسب يحسب .

وهذه الأوجه مطردة في مواضع معينة ، فمثلاً فعل يفعل (بالفتح فيهما) يكثر فيما كانت عينه أو لامه من أحرف الحلق[1]، وفعل يفعل (بالضم فيهما) يكثر في الغرائز والطبائع ونحوها ، ويكون لازماً[2] ، ... وهكذا بقية الأوجه ؛ بيد أن هنالك بعض الأفعال تداخلت فيها هذه الأوجه، أشار إليها القرطبي معللاً ذلك بعلتين : إحداهما : تداخل اللهجات، والأخرى : اختلاف الدلالة .

أما تداخل اللهجات في علة اختلاف حركة عين الفعل في بعض الأفعال فقد تطرقت إليه في مبحث اللهجات ، وفي إعادته تكرار لما سبق[3] ؛ وأما اختلاف الدلالة فقد أشار إليه القرطبي عند قوله تعالى : (وطعنوا في دينكم) (التوبة : ١٢) حيث بين أن الفعل (طعن) له معنيان : حسي ومعنوي ، والتمييز بينهما من خلال حركة عين الفعل المضارع، فطعن يطعن (بضم العين في المضارع) يكون حسياً بالرمح ، وطعن يطعن (بالفتح) هو طعن بالقول[4] ، مستدلاً في الدلالة المعنوية بقوله عليه الصلاة والسلام حين أمر أسامة بن زيد رضي الله عنهما[5] : ((إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل ، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة)).

وكذا الفعل (حل) المضاعف اللام ، فإن القياس فيه أن يأتي مضارعه مكسور العين إن كان لازماً ، عدا أفعال جاءت بكسر العين وبضمها عللت بتعدد اللهجات[6] ؛ وهذا ما

([1]) ينظر : كتاب سيبويه ٤/١٠١، والأفعال ، لابن القطاع (ت ٥١٥هـ) ، ١١، وشرح لامية الأفعال لبدر الدين محمد بن محمد بن مالك الأندلسي (ت ٦٨٦هـ) ، ٢٣.

([2]) ينظر ، شرح الشافية ١/٧٤.

([3]) يرجع إليه في ص (٣٢-٣٣) من هذا البحث .

([4]) ينظر الجامع ٨/٨٠.

([5]) ينظر صحيح مسلم بشرح النووي ، فضائل زيد بن حارثة وابنه أسامة رضي الله عنهما ، ١٥/١٩٥، وجاءت الرواية بفتح العين في الفعل (تطعنوا) ، وفي فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، قال الحافظ بن حجر العسقلاني في شرح هذا الحديث : (طعن يطعن بالفتح في العرض والنسب وبالضم بالرمح واليد ،ويقال هما لغتان فيهما) ، ٧/٨٧.

([6]) ينظر:الأفعال لابن القطاع ، ٩ - ١٠، وشرح لامية الأفعال ، ٢١.

ذكره القرطبي بأن (يحل) بضم الحاء، و(يحل) بكسرها لغتان ، بيد أنه لم يكتف بذلك ، بل تعدى هذا التعليل ؛ ليبين أن سبب هذا الاحتلاف دلالي ، قائلاً[1] : ((وحكى أبو عبيدة وغيره : أنه يقال حل يحل إذا وجب ، وحل يحل ، إذا نزل . وكذا قال الفراء : الضم من الحلول بمعنى الوقوع[2] ، والكسر من الوجوب)).

وأود أن أشير هنا ، إلحاقاً بالحديث عن الفعل المضاعف (حل) ، أن الفعل الثلاثي المضاعف اللام لا يأتي ماضيه إلا على وزن (فعل) بفتح العين ، أو (فعل) بكسرها[3] ، ولم يأت منه على وزن (فعل) بضم العين ؛ لثقل الضمة والتضعيف[4] ، غير أن القرطبي أشار إلى فعل شذ عن ذلك ، وهو الفعل (لبب) في معرض حديثه عن قوله سبحانه : (وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) (البقرة : ١٩٧) فقد نقل عن غيره أن هذا الفعل ليس له نظير[5] ، بينما زاد ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) فعلاً آخر هو (عزز) يقال : عززت الشاة ؛ إذا قل لبنها[6] .

جميع الحقوق محفوظة
الجامعة الأردنية

(٢)اللازم والمتعدي بمعنى واحد :

تنقسم الأفعال من حيث التعدية واللزوم على قسمين : لازمة ومتعدية ؛ فالفعل اللازم ما اقتصر على فاعله ولزمه ، والمتعدي هو الذي تجاوز فاعله وتعداه إلى المفعول ، غير أن هنالك أفعالاً جاءت بصيغة واحدة ، حملت الصفتين : التعدي واللزوم ، ومعناها واحد؛[7] لاستعمالها تارة متعدية ، وتارة لازمة.

لقد تنبه القرطبي إلى هذه الظاهرة[8] ، وأشار إليها في تفسيره فعند قوله جل وعلا : (وَحِينَ تَسْرَحُونَ) (النحل : ٦) قال[9] : ((السراح بالغداة ، تقول : سرحت الإبل

([1]) الجامع ٢٤٥/١١.

([2]) ومما يدل على أن ضم العين في المضارع يراد به معنى الحلول والوقوع قوله تعالى: (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ) (الرعد : ٣١) بضم عين الفعل (تحل).

([3]) ينظر ، الأفعال لابن القطاع ، ٩.

([4]) ينظر ، كتاب سيبويه ٣٦/٤، ٣٧ ، وشرح الشافية ٧٧/١.

([5]) ينظر الجامع ٤٠٥/٢، ودقائق التصريف ، ١٨٥.

([6]) ينظر ، ليس في كلام العرب ، لابن خالويه ، ٧٣، ٧٤.

([7]) ينظر ، شرح الشافية ٨٧/١ ، والمغني في تصريف الأفعال ، للدكتور محمد عبد الخالق عضيمة ، ١٢٥.

([8]) ينظر ، تفصيل هذه الظاهرة في : كتاب سيبويه ٥٦/٤، ٥٧، ٥٨ ، وأدب الكاتب ، ٢٩٦،والأصول في النحو ١٢٤/٣، ١٢٥ ، وشرح الشافية ٨٧/١ ، والمزهر ٢٠٦/٢، والمغني في تصريف الأفعال ١٢٥.

([9]) الجامع ٧٦/١٠.

أسرحها سرحاً وسروحاً ؛ إذا غدوت بها إلى المرعى فخليتها ، وسرحت هي . المتعدي واللازم واحد)).

فهو هنا يبين أن الفعل (سرح) قد يستعمل متعدياً ولازماً لمعنى واحد ، وهذا المعنى هو سرح الإبل إلى المرعى ؛ونحو ذلك الفعل (درس) في قوله تعالى : (وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ) (الأنعام : ١٠٥) فيقال : درست الثوب أدرسه درساً ؛ أي أخلقته ، ودرس الثوب؛ أي خلق[١] ؛ وكذا الفعل (غاض) ، يقال : غاض الشيء ؛ أي نقص ، وغضته أنا ، كما يقال : نقص بنفسه ، ونقصه غيره[٢] ؛ ويقال : حزن الرجل ، وحزنه غيره[٣] ؛ وكذا الفعل (خسف) فيقال : خسف المكان يخسف خسوفاً ؛ أي ذهب في الأرض ، وخسف الله به الأرض خسوفاً ؛ أي غاب فيها ، ومنه قوله تعالى : (أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ) (النحل : ٤٥) وقوله سبحانه: (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) (القصص : ٨١) ، وخسف هو في الأرض وخسف به[٤] .

وقد يتعدى الفعل بنفسه تارة ، وبحرف الجر تارة أخرى ، فيكون متعدياً ولازماً[٥] ، نحو قوله جل في علاه : (وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) (المطففين: ٣) (أي ؛ إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم ، فحذفت اللام ، فتعدى الفعل فنصب ، ومثله : نصحتك ونصحت لك ، وأمرتك به وأمرتك ... ووزنتك بمعنى كلت لك ، ووزنت لك ، وهو كلام عربي ؛ كما يقال : صدتك وصدت لك ، وكسبتك وكسبت لك وكذلك شكرتك ونصحتك ، ونحو ذلك)[٦].

وهنا مسألة ينبغي الوقوف عندها ، وهي أن هذه الأفعال تتعدى إلى مفعولين : أحدهما بواسطة حرف الجر ، والآخر مباشرة دون واسطة ، نحو : شكرت لك فعلك وصنيعك ، ثم يحذف المفعول الذي توصل إليه الفعل بنفسه ؛ لعلم السامع به ، ولأن الفعل (شكر) متضمن لمعنى (حمد ومدح) يحذف حرف الجر ، فيقال : شكرتك كما يقال : حمدتك

([1]) انظر الجامع ٦١/٧.

([2]) نفسه ٤٤/٩.

([3]) نفسه ٣٤٠/١.

([4]) نفسه ١١٥/١٠.

([5]) ينظر ، الصرف الوافي ، ٢٠٤، ٢٠٥.

([6]) الجامع ٢٤١/١٩.

ومدحتك ؛ وكذا الفعل (كال) فيقال : كلت لك الطعام ، ثم يحذف المفعول (الطعام) للعلم به ؛ ولتضمن الفعل معنى المبايعة جاز حذف الواسطة (حرف الجر) فيقال: كلتك ، كما يقال : بعتك[1] ، وهذا أسلوب من الإيجاز في اللغة العربية .

ثانياً: الفعل الثلاثي المزيد :

يزاد الفعل الثلاثي بحرف أو حرفين أو ثلاثة أحرف ، وهذه الزيادة ليست ترفاً في اللغة ؛ بل إن لها مقاصد دلالية ، فالزيادة على الحروف الأصلية تؤذن بمعنى زائد على معنى الفعل المجرد ،وفقاً لقاعدة العرب : الزيادة في المبنى زيادة في المعنى ؛ لذا نجد أن القرطبي قد اهتم بمعاني الأفعال المزيدة ، مبيناً دلالة الزيادة فيها ، سنبرز بعضاً منها فيما يأتي :-

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

(١)أفعل :

مر معنا في مبحث اللهجات أن بعض اللهجات يغلب عليها استعمال الفعل الثلاثي ، ولهجات أخرى تستعمل الرباعي منه ، بزيادة الهمزة ، وأن هذه ظاهرة لهجية[2] ، فقد (يجيء فعلت وأفعلت المعنى فيهما واحد ، إلا أن اللغتين اختلفتا)[3] ؛ بيد أن القرطبي يبرز أيضاً وجهاً آخر لهذا الاختلاف ، وهذا الوجه هو الاختلاف الدلالي بين (فعل وأفعل) ، ففي سياق حديثه عن قوله تعالى : (أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُم) (البقرة : ٢٣٥) يبين القرطبي تغير الدلالة بين المجرد والمزيد قائلاً[4] : ((كننته وأكننته بمعنى واحد ، وقيل : كننته أي صنته حتى لا تصيبه آفة ، وإن لم يكن مستوراً ، ومنه بيض مكنون ودر مكنون ؛ وأكننته أسررته وسترته ، وقيل : كننت الشيء من الأجرام إذا سترته بثوب أو بيت أو أرض أو نحوه ، وأكننت الأمر في نفسي ، ولم يسمع من العرب : كننته في نفسي)) .

([1]) ينظر تفصيل هذه المسألة في : بدائع الفوائد ٢١٣/٢، ٢١٤.

([2]) يراجع في ص (٣٠) من هذا البحث.

([3]) كتاب سيبويه ٦١/٤ .

([4]) الجامع ١٨٨/٣، ١٨٩.

وكذا الفرق بين (صعد وأصعد) فالمجرد يعني الارتفاع على الجبال والسطوح والسلاليم والدرج ، والمزيد معناه السير في مستو من الأرض وبطون الأودية والشعاب ، فيقال: أصعدت؛ إذا مضيت حيال وجهك ، وصعدت : إذا ارتقيت في جبل أو غيره[1] . ونحو ذلك (مد وأمد)[2] و(قسط وأقسط)[3] و(حصر وأحصر)[4].

إن هذه المعاني المختلفة بين الأفعال المجردة والمزيدة ، هي معان خاصة بالأفعال ذاتها، وهنالك معان عامة مضبوطة في (أفعل) أشار إليها القرطبي منها :

-الجعل والتعريض(٥) :-

وهو أن يجعل المفعول صاحب شيء أو صفة من لفظ الفعل[6] ، نحو : أطردت المجرم ؛ أي جعلته طريداً، وأقبرت الرجل ، أي جعلت له قبراً ؛ ومن ذلك الفعل (أسقى) فيقال: أسقيته ؛ إذا جعلت له شرباً أو عرضته لأن يشرب فيه أو يزرعه ؛ أي دللته على الماء ، ويقال : سقيته ، لما كان من يدك إلى فيه فهو من سقي الشفة[7] .

وكذا الفعل (أفتن) ، فقد نقل القرطبي عن الفراء أن الحجازيين يقولون : فتنت الرجل ، وربيعة وقيساً وأسداً وجميع أهل نجد يقولون : أفتنت الرجل ؛ غير أنه يشير إلى اختلاف دلالي ، قائلاً[8] : ((وفرق الخليل وسيبويه[9] بينهما فقالا : فتنته ؛ جعلت فيه فتنة، ... وأفتنته ؛ جعلته مفتتناً)) .

-الحينونة :

---

(1) ينظر الجامع ٤/٢٥٠.

(2) نفسه ١/٢٢٧.

(3) نفسه ٥/١٧.

(4) نفسه ٢/٣٦٨، ٣٦٩.

(5) ينظر أمثلة هذا المعنى في : كتاب سيبويه ، ٤/٥٩، والنوادر في اللغة ، ٢١٣، وأدب الكاتب ، ٢٩٤، ٣٠٢، والأصول في النحو ، ٣/١١٨، والممتع في التصريف ، ١/١٨٦، وشرح الشافية ، ١/٨٨.

(6) ينظر ، تصريف الأسماء والأفعال، لفخر الدين قباوة ، ١١٢.

(7) ينظر : الجامع ١/٤٢٢+١٠/٢٣، ١٣٠.

(8) نفسه : ٥/٣٦٢.

(9) ينظر كتاب سيبويه : ٤/٥٦.

وهي الدلالة على أن الفاعل قد حان منه وقوع الفعل عليه[1] وهذا ما ألمح إليه القرطبي عند قوله تعالى : (وَلا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ) (الصافات : ٤٧) بقوله[2] : ((وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي ، من أنزف القوم إذا حان منهم النزف وهو السكر . يقال : أحصد الزرع ، إذا حان حصاده ، وأقطف الكرم إذا حان قطافه ، وأركب المهر؛ إذا حان ركوبه)).

فهو يلمح هنا إلى أن (أفعل) جاء ليدل على معنى الحينونة ؛ أي حان وقت يستحق فيه فاعل أفعل أن يقع عليه أصل الفعل .

-الدخول في الوقت :

وهي الدلالة على دخول فاعل أفعل في الوقت المشتق منه الفعل[3] ، وذلك نحو : أظلمنا أي دخلنا في ظلام الليل ، وأظهرنا : دخلنا في وقت الظهر ، وكذلك أصبحنا وأضحينا وأمسينا[4].

مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

-الصيرورة(٥) :

وهي الدلالة على أن فاعل أفعل قد صار صاحب شيء[6]، وذلك نحو : أفلس الرجل؛ إذا صار صاحب فلوس ، وأجذب المكان إذا صار ذا جذب ، ومنه (أقرأت المرأة إذا صارت صاحبة حيض ، فإذا حاضت قلت : قرأت بلا ألف)[7] .

-أفعل للزوم المجرد المتعدي :

([1]) ينظر : شرح الشافية ٨٩/١، ٩٠.

([2]) الجامع : ٨١/١٥.

([3]) ينظر أمثلة هذا المعنى في : كتاب سيبويه ٦٢/٤، ٦٣، وأدب الكاتب ٢٩٢، ٣٠٢ والأصول في النحو ١١٨/٣، ١١٩ ، ودقائق التصريف ١٥٦، وشرح الشافية ٩٠/١.

([4]) ينظر : الجامع ٤٧/١٠+٣٠/١٥.

([5]) ينظر أمثلة هذا المعنى في كتاب سيبويه ٥٩/٤، والأصول في النحو ١١٨/٣، الممتع في التصريف ، ١٨٧/١، وشرح الشافية ٨٨/١.

([6]) ينظر : تصريف الأسماء والأفعال ، ١١٣.

([7]) الجامع ١١٧/٣.

تعد التعدية من أبرز معاني زيادة الهمزة في (أفعل) فالفعل الثلاثي المجرد اللازم من أساليب تعديته إضافة الهمزة إليه ، وذلك نحو : (ذهب) اللازم ، فيقال في تعديته : أذهب الله حزنك ؛ غير أن أفعالاً ظهرت على خلاف ذلك ، فجاء الثلاثي متعدياً، ولزم رباعيه[1] ؛ منه الفعل (أكب) ، فعند قوله سبحانه : (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ) (الملك : ٢٢) يشير القرطبي إلى هذا المعنى قائلاً[2] : ((يقال : أكب الرجل على وجهه ، فيما لا يتعدى بالألف ، فإذا تعدى قيل : كبه الله لوجهه ، بغير ألف))؛ ويقول في موضع آخر[3] : ((يقال: كببت الإناء ؛ أي قلبته ، واللازم منه أكب ، وقلما يأتي هذا في كلام العرب))[4].

وقد يجيء (أفعل) لازماً ومتعدياً[5] ، ومنه الفعل (أضاء) في قوله تعالى : (فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ) (البقرة : ١٧) جاء الفعل متعدياً، وفي قوله سبحانه : (كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ) (البقرة : ٢٠) جاء لازماً ، فالفعل أضاء (يكون لازماً ومتعدياً)[6].

مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

(٢)فعل :

من معانيها التي أشار إليها القرطبي :

-التكثير والمبالغة(٧) :

وهذا المعنى هو الغالب فيها ، والمراد به تكثير حدوث الفعل ، وتكراره ، والمبالغة فيه ؛ وقد ورد هذا المعنى كثيراً في القرآن ، فتنبه إليه القرطبي وبينه ، ومن أمثلة ذلك :

قوله تعالى : (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ) (الأنعام : ١٠٠) وقراءة نافع (خرقوا) بالتشديد ، فبين القرطبي دلالة الفعل المشدد

---

(1) ينظر أمثلة من هذه الأفعال في : معجم المصباح المنير ، في خاتمته ، ٢٦٣، والأشباه والنظائر ٣٧٤/١ وشذا العرف ، ٤٠.

(2) الجامع ٢١٠/١٨.

(3) نفسه ٢٥٥/١٣.

(4) ينظر : ليس في كلام العرب ، لابن خالويه ، ١١٨، ١١٩ ، والمزهر ٨٦/٢.

(5) ينظر : دقائق التصريف ، ١٥٦.

(6) الجامع : ٢٣١/١.

(7) ينظر أمثلة لهذا المعنى في : كتاب سيبويه ٦٤/٤، ٦٥ ، وإصلاح المنطق ١٤٥، وأدب الكاتب ، ٣٠٠ والأصول في النحو ، ١١٦/٣، ١٢١، والتكملة ٥٢٧، والتصريف الملوكي ، ١٣ ، ودقائق التصريف ، ١٦٠ ، وشرح المفصل للخوارزمي ٣٤٩/٣، والممتع في التصريف ١٨٩/١، وشرح الشافية ٩٢/١.

في قراءة نافع ومعناه في سياق الآية قائلاً[1] : ((و (خرقوا) قراءة نافع بالتشديد على التكثير ؛ لأن المشركين ادعوا أن لله بنات وهم الملائكة ، وسموهم جناً لاجتنانهم ، والنصارى ادعت المسيح ابن الله ، واليهود قالت : عزير ابن الله ؛ فكثر ذلك من كفرهم ، فشدد الفعل لمطابقة المعنى ، تعالى الله عما يقولون . وقرأ الباقون بالتخفيف على التقليل)).

-قوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ) (الأعراف : ٤٠) يقول القرطبي في معرض حديثه عن الفعل (تفتح)[2] : ((وخفف أبو عمرو وحمزة والكسائي على معنى أن التخفيف يكون للقليل والكثير ، والتشديد للتكثير والتكرير مرة بعد مرة لاغير ، والتشديد هنا أولى لأنه على الكثير أدل)).

-قوله تعالى : (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) (يوسف : ٣١) قال القرطبي[3]: ((والتقطيع يشير إلى الكثرة ، فيمكن أن ترجع الكثرة إلى واحدة جرحت يدها في مواضع ، ويمكن أن يرجع إلى عددهن)).

ونحو هذا المعنى الأفعال الآتية : (يذبحون ، تقطعوا ، تفجر ، وصى ، سجرت ، سعرت)[4] .

وقد يميز القرطبي معنى (فعل) في تفريقه بين (فعل وأفعل) وهما يتفقان في استعمالات معينة[5] ، ويفترقان في استعمالات أخرى[6] ، فمن ذلك :

-التفريق بين مسك وأمسك :-

([1]) الجامع : ٥٥/٧.

([2]) الجامع : ٢٠١/٧.

([3]) نفسه : ١٨٦/٩.

([4]) ينظر هذه الأفعال على التوالي في الآيات : البقرة : ٤٩ ، محمد : ٢٢ ، الإسراء : ٩١، البقرة : ١٣٢، التكوير : ٦ ، التكوير : ١٢، وفي الجامع على التوالي : ٣٩٢/١، ٣٩٣، ٢٣٦/١٦، ٣٣٦/١٠، ١٤٠/٢، ٢٢١/١٩، ٢٢٤/١٩.

([5]) من معاني (فعل) أن تأتي بمعنى (أفعل) وكذا الأفعال المزيدة ، فاستفعل تجيء بمعنى فعل نحو : استقر بمعنى قر ، وهذه المعاني سأتجاوزها في هذا المبحث للحديث عنها في فصل خاص وهو فصل النيابة الصرفية .

([6]) ينظر : كتاب سيبويه ٦٢/٤، ٦٣ والأصول في النحو ١١٦/٣، ١١٧ ، وبلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، للدكتور فاضل السامرائي ، ٥١ وما بعدها.

ففي قوله جل وعلا:(وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ) (الأعراف:١٧)يقول القرطبي[١] :

((وقرأ أبو العالية وعاصم في رواية أبي بكر (يمسكون) بالتخفيف من أمسك يمسك . والقراءة الأولى أولى ؛ لأن فيها معنى التكرير والتكثير للتمسك بكتاب الله تعالى وبدينه ، فبذلك يمدحون فالتمسك بكتاب الله والدين يحتاج إلى الملازمة والتكرير لفعل ذلك، وقال كعب بن زهير :

فما تمسك بالعهد الذي زعمت إلا كما تمسك الماء الغرابيل

فجاء به على طبعه يذم بكثرة نقض العهد))

-التفريق بين صلى وأصلى :

فرق القرطبي بينهما في سياق تفسيره لقوله تعالى : (وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً) (النساء: ١٠) ، فقد قرأ ابن عامر وعاصم بضم الياء من أصلاه الله حر النار إصلاء ، ومنه قوله تعالى: (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ) (المدثر : ٢٦) . وقرأ أبو حيوة بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام من التصلية لكثرة الفعل مرة بعد أخرى ، ودليله قوله تعالى : (ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ) (الحاقة :٣١) ومنه قولهم : صليته مرة بعد أخرى[٢] .

-التفريق بين خرب وأخرب :

وذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى : (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) (الحشر : ٢) ، فقد ذكر أن الفعل (يخربون) قرئ بالتخفيف من (أخرب) وبالتشديد من (خرب) ، ثم نقل عن أبي عمرو ، وهو الذي قرأ بالتشديد قوله[٣] : ((إنما اخترت التشديد ؛ لأن الإخراب ترك الشيء خراباً بغير ساكن ، وبنو النضير لم يتركوها خراباً ، وإنما خربوها بالهدم ، ويؤيده قوله تعالى : (بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) . وقال آخرون : التخريب والإخراب بمعنى واحد ، والتشديد بمعنى التكثير)).

([1]) الجامع : ٢٩٨/٧.

([2]) ينظر الجامع : ٥٩/٥.

([3]) نفسه : ٨/١٨.

-التفريق بين نزل وأنزل :

ورد هذان الفعلان في قوله تعالى : (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ) (آل عمران : ٣) ، فعلل القرطبي مجيء أحدهما مشدداً والآخر مخففاً بقوله[1] :((والقرآن نزل نجوماً ؛ شيئاً بعد شيء ، فلذلك قال (نزل) والتنزيل مرة بعد مرة ؛ والتوارة والإنجيل نزلا دفعة واحدة ، فلذلك قال (أنزل))).

وهنا يبين القرطبي أن استعمال (نزل) كان مناسباً لمعناه ؛ كون القرآن نزل منجماً على دفعات في فترة البعثة المحمدية ، فعبر عنه بصيغة مبالغة وتكثير ، ولكون (فعل) من مقتضياته (التكثير والمبالغة في الحدث واستغراق وقت أطول وأنه يفيد تلبثاً أو مكثاً)[2] ، فجاءت صيغة (فعل) مطابقة لكثرة تنزيلاته (ولذلك سمي الكتاب العزيز تنزيلاً ؛ لأنه لم ينزل جملة واحدة ، بل سورة سورة ، وآية آية)[3] ؛ أما التوارة والإنجيل فلأنهما نزلا دفعة واحدة عبر عنهما بصيغة خلية عن المبالغة والتكثير ؛ قال فخر الدين الرازي[4] : ((وإنما خص القرآن بالتنزيل ، والتوارة والإنجيل بالإنزال ؛ لأن التنزيل للتكثير ، والله تعالى نزل القرآن نجماً نجماً فكان معنى التكثير حاصلاً فيه ، وأما التوارة والإنجيل فإنه تعالى أنزلهما دفعة واحدة ، فلهذا خصهما بالإنزال)) .

وقد جاء هذا الاستعمال في آية أخرى لم يتطرق القرطبي إلى دلالة الفعلين فيها وذلك في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ) (النساء :١٣٦)والكتاب في قوله تعالى: (وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ) اسم جنس يراد به الكتب السماوية التي أنزلت قبل القرآن، فخصت بـ (أنزل) ؛ لكونها نزلت على أنبيائها دفعة واحدة ، وخص الكتاب الذي نزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو القرآن ، بـ (نزل) لكونه نزل على دفعات، والله أعلم .

([1]) الجامع: ٩/٤.

([2]) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ٥١.

([3]) شرح الشافية ٩٣/١.

([4]) تفسير الفخر الرازي : ١٧١/٧، وينظر أيضاً دلالة الفرق بين الفعلين في هذه الآية في : الكشاف ٣٦٤/١، وروح المعاني للألوسي ، ١٢٣/٣، ١٢٤.

وفي سياق تفسير قوله تعالى : (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَـــى مُكْـــثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً) (الإسراء : ١٠٦) ، يشير القرطبي إلى قراءة ابن عباس وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم (فرقناه) بالتشديد ، وأن معناها إنزال القرآن شيئاً بعد شيء لا جملـــة واحدة[١] ، وتتضح الدلالة في كون الفعل المشدد يدل على التكثير والتكرير وما يقتضيه مـــن تدرج ، ختم هذه الآية بقوله سبحانه : (وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً) .

-التفريق بين كذب وأكذب :

وذلك عند قوله تعالى : (فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ) (الأنعام : ٣٣) قرئ (يكـــذبونك) مخففـــاً ومشدداً ، فميز القرطبي بينهما بقوله[٢] : ((ومعنى (يكذبونك) عند أهل اللغة : ينسبونك إلى الكذب[٣] ، ويردون عليك ما قلت . ومعنى (لايكذبونك) أي لايجدونك تأتي بالكذب ، كما تقول : أكذبته ، وجدته كذاباً ، وأبخلته ؛ وجدته بخيلاً[٤])) ؛ ونحو هذا التفريق ، التفريق بين (غشى وأغشى)[٥] و (نسى وأنسى)[٦] و (غلق وأغلق)[٧] .

ومن معاني (فعل) التي ألمح إليها القرطبي ، معنى السلب والإزالة[٨] ، وذلك عند قوله سبحانه : (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) (سبأ : ٢٣) ، فقد نقل في معنى هذه الآية قول ابن

([1]) ينظر الجامع : ١٠/٣٤٥، ٣٤٦.

([2]) نفسه : ٦/٣٩١.

([3]) يلمح القرطبي هنا إلى معنى النسبة ، وهو من معاني (فعل) وهو أن ينسب الفاعل المفعول إلى ماهو من لفظ الفعل ، أو أن يصفه به ، ينظر أمثلة لذلك في دقائق التصريف ، ١٦١، وشرح الشافية ١/٩٤، والصرف الوافي ٢٠١، وتصريف الأسماء والأفعال ، ١١٤.

([4]) يلمح القرطبي هنا إلى معنى الإصابة وهو من معاني (أفعل) ، ومعناه أن يجد الفاعل المفعول على صفة من لفظ الفعل ، ينظر أمثلة لذلك في كتاب سيبويه : ٤/٦٠، والأصول في النحو ٣/١١٨، ودقائق التصريف ١٥٥، وشرح الشافية ١/٩٠، ٩١، وتصريف الأسماء والأفعال ، ١١٣.

([5]) ينظر الجامع : ٧/٢١٤.

([6]) نفسه : ٧/١٧.

([7]) نفسه : ٩/١٦٧.

([8]) وهو أن يزيل الفاعل عن المفعول أصل الفعل ، نحو : قشرت الفاكهة ؛ أي أزلت قشرها ، وجلدته ؛ أي أزلت جلده بالسلخ ، ينظر : الممتع في التصريف ١/١٨٩، وشرح الشافية ١/٩٤، وشذ العرف ٤١.

عباس : خلي عن قلوبهم الفزع . وقول قطرب : أخرج ما فيها من الخوف[1] ؛ ثم ذكر قراءة العامة (فزع) وقراءة ابن عباس (فزع) معلقاً عليهما بقوله[2] : ((والمعنى في القراءتين : أزيل الفزع عن قلوبهم)).

(٣)فاعل :

الأصل في (فاعل) أنه يدل على المشاركة[3] ، وهذا المعنى غالب فيه ، فهو (يجيء دالاً على أنه قد كان مني إلى صاحبي مثل الذي كان منه إلي نحو : خاصمته وكارمته وفارقته)[4] ، أي ؛ اشتراك الفاعل والمفعول في الحدث واقتسامهما الفاعلية والمفعولية.

وقد كثر ورود هذا المعنى في القرآن الكريم ، منه قوله تعالى : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ) (البقرة : ١٩٠) والمقاتلة تدل على المشاركة ؛ لأن (فاعل لايكون في الغالب إلا من اثنين كالمقاتلة والمشاتمة والمخاصمة)[5] .

ومنه قوله تعالى : (فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ) (الحج : ٦٧) يقول القرطبي[6] : ((ويقال : قد نازعوه ، فكيف قال : فلا ينازعنك، فالجواب : أن المعنى فلا تنازعهم أنت . نزلت الآية قبل الأمر بالقتال ؛ تقول : لا يضاربنك فلان ، فلا تضاربه أنت ، فيجري هذا في باب المفاعلة . ولا يقال : لا يضربنك زيد وأنت تريد : لا تضرب زيداً)).

يشير القرطبي هنا إلى أن المفاعلة تقتضي العكس ضمناً[7] ، فقوله تعالى : (فَلا يُنَازِعُنَّكَ) ، ظاهره الأمر لهم بعدم المنازعة ؛ إلا أن سياق الآية يدل على أن الأمر موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعناه : (فلا تنازعهم) ؛ لقوله تعالى بعده : (وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ) ،

([1]) ينظر : الجامع ٢٨٣/١٤.

([2]) نفسه ٢٨٦/١٤.

([3]) ينظر أمثلة هذا المعنى في : كتاب سيبويه ٦٨/٤، وإصلاح المنطق ١٤٤، والأصول في النحو ١١٩/٣، والتصريف الملوكي ، ١٣ ودقائق التصريف ١٥٨، والممتع في التصريف ١٨٨/١، وشرح الشافية ٩٦/١.

([4]) التكملة ، ٥٢٧.

([5]) الجامع ٣٤٦/٢.

([6]) نفسه ١٠٠/١٢.

([7]) قال في شرح الشافية في بيان دلالة المفاعلة : ((ويجيء العكس ضمناً أي : يكون المنصوب مشاركاً – بكسر الراء – والمرفوع مشاركاً ضمناً ؛ لأن من شاركته فقد شاركك،فيكون الثاني فاعلاً والأول مفعولاً من حيث الضمن والمعنى))، ٩٨/١.

وهذا المعنى الذي تضمنته دلالة المفاعلة لا يكون في غيرها ، فلا يقال : لا يـضربنك زيـد ، وأنت تريد : لاتضربه .

وقد تأتي المفاعلة في كلام العرب من واحد ، ولايراد بها فعل من اثنين[1] ، وذلك نحو : سافرت وراقبت وطارقت النعل ، ومجيئها من واحد دلالة على المبالغة[2] ، ومنه قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) (الحج : ٣٨) (ويدافع بمعنى يدفع ؛ مثل عاقبت اللص وعافاه الله)[3] ، فليست هنا مشاركة بين اثنين إنما هي المبالغة في المعنى ، وكذا قوله تعالى : (وإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) (البقرة : ٥١)[4] وقوله سبحانه : (أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ) (النساء : ٤٣)[5] ، ، وقوله جل في علاه : (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (البقرة : ٢١٨)[6] ، وقوله عز من قائل : (وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ) (الأعراف : ٢١)[7].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

(٤)تفاعل :

الغالب في معنى التفاعل اشتراك اثنين أو أكثر في الفعل[8] ، قال سيبويه[9] : ((وأما تفاعلت فلا يكون إلا وأنت تريد فعل اثنين فصاعداً)) ، وهذا ما ألمح إليه القرطبي في سياق تفسيره لقوله تعالى : (فَلا جُنَاحَ عَلَيهِمَا أَنْ يُصلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحا) (النساء : ١٢٨) موضحاً قراءة الجمهور (يصالحا) بقوله[10] : ((فمن قرأ (يصالحا) فوجهه: أن المعروف في كلام العرب إذا كان بين قوم تشاجر أن يقال : تصالح القوم ، ولا يقال : أصلح القوم)) ، فهو

---

(1) ينظر أمثلة لذلك في كتاب سيبويه ٦٨/٤، وإصلاح المنطق ١٤٤، وأدب الكاتب ٣٠٣ والأصول في النحو ١٢٠/٣، والتكملة ٥٢٧.

(2) ينظر : شرح الشافية ٩٩/١، وتصريف الأسماء والأفعال ، ١١٥.

(3) الجامع ٧٣/١٢.

(4) نفسه ٤٠٠/١، ٤٠١.

(5) نفسه ٢٢٦/٥، ٢٢٨.

(6) نفسه ٥٤/٣.

(7) نفسه ١٧٤/٧.

(8) ينظر : أدب الكاتب ٣٠٣ ، والممتع في التصريف ١٨٢، وشرح الشافية ١٠٠/١، ١٠١ والكوكب الدري ، للإسنوي ، ٣١٢، وشذا العرف ، ٤٣.

(9) كتاب سيبويه : ٦٩/٤.

(10) الجامع : ٤٠٤/٥.

يبين هنا أن قاعدة العرب إذا كان الفعل بين اثنين فصاعداً ، قيل : تصالح الرجلان أو القوم لا أصلح ؛ وفي هذا دلالة التفاعل ، وكذا قوله تعالى : (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ) (الشعراء: ٦١) قال[١] : ((أي تقابلا الجمعان بحيث يرى كل فريق صاحبه ، وهو تفاعل من الرؤية)).

وفي هذا تلميح إلى دلالة المشاركة في التفاعل ، فقد اشترك الجمعان(الجيشان) في الفاعلية؛ برؤية كل فريق صاحبه ؛ ونحو ذلك عند قوله سبحانه : (وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ) (القمر : ٣٦) أي (شكوا فيما أنذرهم به الرسول ، ولم يصدقوه ، وهو تفاعل من المرية)[٢].

(٥)تفعل :

من معانيها التي وردت في تفسير القرطبي :

-التجنب والترك[٣] :

وهو أن يتجنب الفاعل أصل الفعل ويتركه ، نحو : تحرج : إذا تجنب الحرج وألقاه عن نفسه ، ومنه قوله جل وعلا : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ) (الإسراء : ٧٩) ، يشير القرطبي في تفسير هذه الآية إلى دلالة التفعل في إلقاء الفاعل الشيء عن نفسه ، وطرحه ، وتجنبه ، قائلاً[٤] : ((يقال : تهجد الرجل إذا سهر ، وألقى الهجود الذي هو النوم ، ويسمى من قام إلى الصلاة متهجداً ؛ لأن المتهجد هو الذي يلقي الهجود الذي هو النوم عن نفسه . وهذا الفعل جار مجرى : تحوب وتحرج وتأثم وتحنث وتقذر وتنجس، إذا ألقى ذلك عن نفسه، ومثله قوله تعالى : (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) (الواقعة :٦٥) معناه تندمون ؛ أي تطرحون الفكاهة عن أنفسكم)) .

([1]) نفسه : ١١٣/١٣.

([2]) الجامع: ١٤٠/١٧.

([3]) ينظر أمثلة هذا المعنى في : شرح المفصل للخوارزمي ٣٤٢/٣، والممتع في التصريف ١٨٥/١، وشرح الشافية ١٠٥/١، والمغني في تصريف الأفعال ١٤١.

([4]) الجامع : ٣١٤/١٠.

-التكلف(١) :

وهو (معاناة الفاعل الفعل ليحصل له ، نحو : تشجع : أي تكلف الشجاعة وعاناها لكي تحصل له)[٢].

ومن ذلك قوله تعالى : (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ) (الحاقة : ٤٤) فتقول على وزن تفعل ، والمعنى (أي تكلف وأتى بقول من قبل نفسه)[٣].

وفي تفسير قوله تعالى : (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) (إبراهيم : ٢٢) يلمح القرطبي إلى معنى التكلف في التفعل قائلاً[٤] : ((يقال : صرخ فلان أي استغاث ، يصرخ صرخاً وصراخاً وصرخة . واصطرخ بمعنى صرخ . والتصرخ تكلف الصراخ)) ، والتصرخ تفعل من تصرخ إذا تكلف ذلك وعاناه .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

-المبالغة(٥):

أشار القرطبي إلى مجيء التفعل للمبالغة في الدلالة ، في تفسيره قوله عز وجل : (فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ) (المائدة :٣) بقوله[٦] : ((والجنف : الميل ؛ والإثم : الحرام ... وقرأ النخعي ويحيى بن وثاب والسلمي (متجنف) دون ألف ، وهو أبلغ في المعنى ؛ لأن شد العين يقتضي مبالغة وتوغلا في المعنى وثبوتاً لحكمه ، وتفاعل إنما هو محكاة الشيء والتقرب منه ؛ ألا ترى أنك إذا قلت : تمايل الغصن ، فإن ذلك يقتضي تأوداً ومقاربة ميل ؛ وإذا قلت : تميل ، فقد ثبت حكم الميل ، وكذلك تصاون الرجل وتصون ، وتعاقل وتعقل)).

---

(1) ينظر أمثلة هذا المعنى في : كتاب سيبويه ٧١/٤ وأدب الكاتب ، ٣٠٤ والأصول في النحو ١٢٢/٣، والصاحبي في فقه اللغة ٢٢٦ وشرح الشافية ١٠٤/١، ١٠٥.

(2) الصرف الوافي ، ٢٠٢.

(3) الجامع ٢٦٤/١٨.

(4) نفسه ٣٦٩/٩.

(5) ينظر : تصريف الأسماء والأفعال ، ١١٦.

(6) الجامع ٦٧/٦.

(٦)انفعل:

الغالب على هذا البناء أن يكون مطاوعاً للمجرد المتعدي[١] ، فيصير بمطاوعته للمجرد لازماً، ويشترط فيه أن يكون مطاوعاً للأفعال الظاهرة ؛ أي التي تكون ذا أثر حسي ظاهر للعين كالكسر والقطع ، فيقال : كسرته فانكسر ، وقطعته فانقطع ، ولا يقال : علمته فانعلم ، ولا فهمته فانفهم ؛ لأنها أفعال لاتدل على محسوس[٢] .

وقد ألمح القرطبي إلى هذا المعنى بإعطائه أمثلة دالة على المطاوعة ، في سياق تفسيره لبعض الآيات منها :

-قوله تعالى:(كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) (القمر : ٢٠) قال القرطبي[٣]:((المنقعر : المنقلع من أصله ؛ قعرت الشجرة قعراً ؛ قلعتها من أصلها ، فانقعرت)) . قوله (فانقعرت) إشارة إلى دلالة المطاوعة.

-قوله سبحانه : (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ) (الانفطار:١، ٢) (والفطر الشق ، يقال : فطرته فانفطر .. وانتثرت أي تساقطت ، نثرت الشيء أنثره نثراً ، فانتثر)[٤]، وهنا إشارة إلى دلالة المطاوعة في الفعلين (انفطر ، وانتثر) .

(٧)افتعل :

وردت بعض معاني (افتعل) في تفسير القرطبي ، منها أن يأتي (افتعل) بمعنى (فعل) أو بمعنى (تفاعل) أو بمعنى (أفعل)[٥] ؛ ومن معانيه المطاوعة[٦] ، ومنه قوله تعالى : (وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) (الانشقاق : ١٨) (أي تم واجتمع واستوى ... وهو افتعال من الوسق الذي هو

---

(1) ينظر : كتاب سيبويه ٦٥/٤، والأصول في النحو ١٢٦/٣، والتكملة ٥٢٧، ودقائق التصريف ، ١٧٠.

(2) ينظر : شرح الشافية : ١٠٨/١.

(3) الجامع ١٣٣/١٧.

(4) نفسه ٢٣٣/١٩.

(5) هذه المعاني سيتم الحديث عنها في فصل النيابة الصرفية .

(6) ينظر : كتاب سيبويه ٦٥/٤، والأصول في النحو ١٢٦/٣، والتكملة ٥٢٧، وشرح الشافية ١٠٨/١.

الجمع ، يقال : وسقته فاتسق ، كما يقال : وصلته فاتصل)[1] ، ففي هذا تلميح إلى دلالة المطاوعة في (افتعل) بقوله : وسقته فاتسق ، ووصلته فاتصل .

وكذا عند قوله تعالى : (وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ) (يس : ٥٩)، يقال : مزته فانماز وامتاز ، وميزته فتميز[2] ؛ وهذه الأفعال دالة على المطاوعة ، فانماز وامتاز (انفعل وافتعل) مطاوعان للفعل المجرد ، وتميز (تفعل) مطاوع للفعل المضعف ؛ بيد أن المطاوعة في (افتعل) قليل والأفصح (انفعل)[3] .

ومن معاني (افتعل) الاتخاذ ، ومعناه اتخاذ الفاعل ماهو من لفظ الفعل ؛ أي اتخاذك الشيء أصله[4] ، وذلك نحو : اشتويت اللحم ؛ أي اتخذته شواءً ؛ وقد ألمح القرطبي إلى هذا المعنى في معرض حديثه عن قوله سبحانه : (فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) (القمر : ٣١) فقد نقل عن ابن عباس أن المحتظر هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك ، ونقل عنه أيضاً : أنهم كانوا مثل القمح الذي ديس وهشم ؛ ثم عقب القرطبي على هذا المعنى قائلاً[5] : ((فالمحتظر على هذا الذي يتخذ حظيرة على زرعه)) ، وفي هذا دلالة على معنى الاتخاذ في الافتعال ، فيقال : احتظرت الزرع ، أي اتخذته حظيرة .

ومن معانيه ، المبالغة والاجتهاد[6] في تحصيل أصل الفعل ، فيكون له معنى زائد على معنى الفعل المجرد ؛ ومنه قوله تعالى: (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) (البقرة : ٢٨٦) ، فقد ذكر القرطبي أن المخالفة بين التصريفين (كسب واكتسب) في هذه الآية إنما جاء لتحسين نمط الكلام ، بيد أنه نقل عن ابن عطية ما يدل على اختلاف الدلالة بين معنى الفعلين ، فقال[7] : ((قال ابن عطية : ويظهر لي في هذا أن الحسنات هي ما تكتسب دون تكلف ؛ إذ كاسبها على جادة أمر الله تعالى ورسم شرعه ، والسيئات تكتسب ببناء المبالغة ،

([1]) الجامع ٢٦٦/١٩.

([2]) نفسه : ٤٩/١٥.

([3]) ينظر : الممتع في التصريف ١٩٢/١، وشرح الشافية ١٠٨/١.

([4]) ينظر أمثله لهذا المعنى في : كتاب سيبويه ٧٣/٤، ٧٤، وأدب الكاتب ٣٠٦ والأصول في النحو ١٢٧/٣، والتكملة ٥٢٨، ودقائق التصريف ١٦٥، وشرح الشافية ١٠٩/١.

([5]) الجامع : ١٣٨/١٧.

([6]) ينظر : شرح الشافية : ١١٠/١، والممتع في التصريف : ١٩٣/١.

([7]) الجامع ٤٢٧/٣.

إذ كاسبها يتكلف في أمرها خرق حجاب نهي الله تعالى ويتخطاه إليها ؛ فيحسن في الآية مجيء التصريفين إحرازاً لهذا المعنى)) .

وفي هذا تبيين لاختلاف الدلالة بين كسب (فعل) واكتسب (افتعل) ، (فمعنى كسب أصاب ، ومعنى اكتسب اجتهد في تحصيل الإصابة بأن زاول أسبابها ؛ فلهذا قال الله : (لَهَا مَا كَسَبَتْ) ، أي : اجتهدت في الخير ، أو لا ؛ فإنه لا يضيع ، (وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) أي : لا تؤاخذ إلا بما اجتهدت في تحصيله وبالغت فيه من المعاصي)[1].

وكذا قوله تعالى:(وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ)(الملك:٢٧) فقد قرئت (تدعون) بالتشديد على وزن (تفتعلون) وبالتخفيف على (تفعلون) فنقل القرطبي أقوال بعض العلماء في التفريق بينهما ، وفي بيان دلالة (افتعل) قائلاً[2] : ((قال الفراء : (تدعون) تفتعلون من الدعاء ؛ وهو قول أكثر العلماء ؛ أي تتمنون وتسألون . وقال ابن عباس : تكذبون ؛ وتأويله : هذا الذي كنتم من أجله تدعون الأباطيل والأحاديث ... وقال أبو العباس : (تدعون) تستعجلون ؛ يقال : دعوت بكذا إذا طلبته ، وادعيت افتعلت منه . النحاس: (تدعون وتدعون) بمعنى واحد ؛ كما يقال: قدر واقتدر ،وعدى واعتدى ؛ إلا أن في (افتعل) معنى شيء بعد شيء ، و(فعل) يقع على القليل والكثير)).

(٨)استفعل :

من أبرز معانيها الطلب[3] ، وهذا المعنى جاءها بدخول السين على الفعل ، فالسين في (استفعل) للدلالة على معنى السؤال والطلب[4] ، ومنه قوله جل في علاه : (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ) (البقرة : ٦٠) قال القرطبي[5] : ((والسين سين سؤال ، مثل استعلم واستخبر واستنصر ، ونحو ذلك ؛ أي طلب وسأل السقي لقومه)) .

([1]) شرح الشافية ١١٠/١، وينظر أيضاً : بدائع الفوائد ٢١٤/٢.

([2]) الجامع : ٢١١/١٨، ٢١٢ .

([3])ينظر : كتاب سيبويه : ٧٠/٤، والأصول في النحو ١٢٧/٣، والتكملة ٥٢٩، والخصائص ١٥٣/٢ ، وشرح المفصل للخوارزمي ٣٥٢/٣ ، والممتع في التصريف ١٩٥/١، وشرح التعريف بضروري التصريف ٨٣، وشرح الشافية ١١٠/١.

([4]) ينظر : دقائق التصريف ، ١٦٣، واللباب في علل البناء والإعراب ٢٧٧/٢.

([5]) الجامع : ٤٢٢/١ .

وكذا قوله تعالى:(إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)(الفاتحة:٥) أي ؛ نطلب العون والتأييد والتوفيق[١] ؛ وقوله سبحانه : (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً) (النور : ٣٣) يقول القرطبي[٢] : ((واستعفف وزنه استفعل ، ومعناه طلب أن يكون عفيفاً)) .

وقد تأتي استفعل بمعنى أفعل[٣] في آية ما ، إلا أن دلالة الطلب أقوى ؛ من ذلك قوله سبحانه : (وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ) (فصلت: ٢٤) يقول القرطبي[٤] : ((واستعتب وأعتب بمعنى ، واستعتب أيضاً طلب أن يعتب ، تقول : استعتبته فأعتبني أي ؛ استرضيته فأرضاني . فمعنى ((وإن يستعتبوا)) أي ؛ إن طلبوا الرضا لم ينفعهم ذلك[٥] ، بل لابد لهم من النار)).

ومثل ذلك قوله تعالى : (فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي) (البقرة : ١٨٦) فقد ذكر أن استجاب بمعنى أجاب ، ونقل قولاً لابن عطية بأن (المعنى فليطلبوا أن أجيبهم ، وهذا هو باب (استفعل) أي طلب الشيء إلا ما شذ)[٦] ، وكذا قوله سبحانه : (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) (الشورى : ٢٦) ، قال القرطبي[٧] : ((أي ويستجيب الله الذين آمنوا ؛ أي يقبل عبادة من أخلص بقلبه وأطاع ببدنه . وقيل : يعطيهم مسألتهم إذا دعوه . وقيل : يجيب دعاء المؤمنين بعضهم لبعض ؛ يقال : أجاب واستجاب بمعنى ... وقال المبرد : معنى ((ويستجيب الذين آمنوا)) وليستدع الذين آمنوا الإجابة ؛ هكذا حقيقة معنى استفعل)).

ومن معاني استفعل الاعتقاد في الشيء أنه على صفه أصله[٨] ، نحو : استكرمته ، أي اعتقدت فيه الكرم ووجدته كريماً ؛ وقد ألمح القرطبي إلى هذا المعنى عند قوله تعالى : (إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي) (الأعراف: ١٥٠) أي (استذلوني وعدوني ضعيفاً)[٩] .

---

(1) نفسه : ١٦٢/١.

(2) نفسه : ٢٤٥/١٢.

(3) استفعل بمعنى المجرد أو بمعنى أفعل ، سيتم الحديث عنه في فصل النيابة الصرفية .

(4) الجامع : ٣٣٩/١٩.

(5) ينظر : بدائع الفوائد ، ٦٥٩/٤.

(6) الجامع : ٣١٣/٢.

(7) نفسه : ٢٨/١٦.

(8) ينظر هذا المعنى في : دقائق التصريف ١٦٤، وشرح الشافية ١١١/١، وشذا العرف ٤٥.

(9) الجامع : ٢٧٧/٧.

وفي سياق تفسيره لقوله تعالى : (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (هود : ٦١) نقل القرطبي عن القاضي أبي بكر بن العربي بعضاً من معاني استفعل ، نلخصها بما يأتي[1] :

-استفعل بمعنى طلب الفعل نحو : استحملته ؛ أي طلبت منه حملاناً .

-استفعل بمعنى اعتقد ، نحو : استسهلت هذا الأمر ؛ أي اعتقدته سهلاً ، أو وجدته سهلاً ؛ واستعظمته أي اعتقدته عظيماً ووجدته .

-استفعلت بمعنى أصبت ، نحو : استجدته أي ؛ أصبته جيداً .

-استفعل بمعنى فعل ، نحو : استقر في المكان ، أي قر.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

[1] (نفسه : ٥٩/٩، وأحكام القرآن لابن العربي ،١٨/٣.

المبحث الثالث

إجراءات صرفية مشتركة

لم يكن القرطبي وهو يتعرض لألفاظ القرآن ، مكتفياً بالحديث في الأبنية الصرفية لبعض الألفاظ واشتقاقاتها ودلالاتها ، بل تعدى ذلك ، ليقف على ظواهر صرفية مشتركة ، فلا تكاد تجده يمر على لفظة فيها إعلال أو إبدال أو إدغام أو نحو ذلك ، إلا وقد أشبعها توضيحاً مبيناً صورتها الصرفية ، وما حدث فيها من تغيير ، وهذا الأسلوب دأبه في مختلف نواحي تفسيره ، فمثلاً في المسائل الفقهية تجده فقهياً ، وفي النقل أثرياً ، وفي الدلالة دلالياً ، وفي النحو نحوياً ، وكذا في الصرف صرفياً متمكناً مستوعباً لدقيقه وجله ، مما جعل من تفسيره موسوعة جمعت فأوعت.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وفي هذا المبحث سيتم إيضاح مدى اعتنائه بالظواهر المشتركة التي يمكن إبرازها بما يأتي:

أولاً: – تخفيف الهمزة :

الهمزة صوت حنجري انفجاري ، صنفها القدامى ضمن حروف الحلق ؛ لأنهم عنوا بالحلق منطقة واسعة تشمل الحنجرة وغيرها ، وكان قصدهم في مخرجها من أقصى الحلق، الحنجرة[1] ، لذا فهي ذات نبرة كريهة تجري مجرى التهوع ؛ مما جعلها ثقيلة على لسان المتلفظ بها ، فسعى قوم من العرب إلى تخفيفها ، وهم أكثر أهل الحجاز ، ولا سيما قريش[2].

وبما أن القرآن قد نزل بلغة قريش خاصة ، والعرب عامة ، فقد وردت فيه ألفاظ مهموزة الأصل ، مخففة الاستعمال ، تنبه إليها القرطبي ؛ منها ما كان واجب التخفيف ، ومنها الجائز ، سواء قلبت إلى حرف مجانس لما قبلها أو حذفت ؛ فمن الواجب :

([1]) ينظر : علم اللغة العام ، الأصوات ، للدكتور كمال محمد بشر ، ١١٢ ومابعدها.

([2]) ينظر : شرح المفصل للخوارزمي ٤/٢٦٣، وشرح الشافية ٣/٣١، ٣٢.

-اجتماع الهمزتين في كلمة واحدة ، بحيث تكون الأولى متحركة والثانية ساكنة ، وذلك نحو : آدم ، أصله (أأدم) على وزن أفعل في أرجح الأقوال[1] ؛ اجتمعت فيه همزتان، وكانت الثانية ساكنة فلينوها[2] ، بأن قلبوها إلى حرف مجانس لحركة ما قبلها ، وكذا الفعل (آثر) في قوله سبحانه : (آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا) (يوسف : ٩١) (الأصل : همزتان ، خففت الثانية ولا يجوز تحقيقها)[3] .

-كل ما تفرع من تركيب (رأى) سواء كان من الرؤية ، أو من الرؤيا ، أو الرأي ؛ إذا أضفت إليه حرفاً آخر لبناء صيغة جديدة ، وسكن راؤه ، وجب حذف الهمزة بعد نقل حركتها إلى ما قبلها[4] ؛ من ذلك (ترى) في قوله تعالى : (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً) (النمل : ٨٨) (الأصل : ترأى ، فألقيت حركة الهمزة على الراء فتحركت الراء وحذفت الهمزة ، وهذا سبيل تخفيف الهمزة إذا كان قبلها ساكن إلا أن التخفيف لازم لترى)[5] .

وفي قوله عز وعلا : (فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا) (مريم : ٢٦) يفصل القرطبي الحديث عن المتغيرات التي مرت في الفعل (ترين) ومنها حذف الهمزة ، قائلاً[6] : ((الأصل في ترين (ترأيين)[7] ، فحذفت الهمزة كما حذفت من ترى ونقلت فتحتها إلى الراء فصار (ترييين)[8] ، ثم قلبت الياء الأولى ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فاجتمع ساكنان : الألف المنقلبة عن الياء وياء التأنيث ، فحذفت الألف لالتقاء ساكنين فصار (ترين)[9] ، ثم حذف النون علامة للجزم ؛ لأن(إن) حرف شرط ، و (ما) صلة ، فبقي

([1]) ينظر : شرح التعريف بضروري التصريف ، لابن إياز ، ١٢٤، ١٢٥.

([2]) ينظر : الجامع ٢٩٣/١.

([3]) نفسه ٢٦٢/٩، وينظر شرح الشافية ٥٢/٣، ٥٣.

([4]) ينظر ، شرح الشافية ٤١/٣.

([5]) الجامع : ٢٥٣/١٣.

([6]) نفسه : ١٠٤/١١.

([7]) وزنه : تفعلين .

([8]) وزنه : تفلين .

([9]) وزنه : تفين.

(تري)[1] ، ثم دخله نون التوكيد وهي مثقلة ، فكسر ياء التأنيث لالتقاء الساكنين ؛ لأن النون المثقلة بمنزلة نونين ، الأولى ساكنة ، فصار (ترين)[2])).

أما جواز تخفيف الهمزة ، فمنه أن تكون الهمزة متحركة متحرك ما قبلها ، مثل (يودي) أصله (يؤدي) فجاز تخفيف همزه ، بأن قلبت (الهمزة واواً ، ولا تقلب ألفاً ، ولا تجعل بين بين ؛ لأن الألف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً)[3] ، وامتناع قلبها ألفاً ؛ هو أن الهمزة المفتوحة المضموم ما قبلها إذا خففت ، قلبت واواً محضة ، ولا تقلب ألفاً لاستحالة نطق الألف بعد الضم ، ولا تجعل بين بين للعلة نفسها ، ولاتحذف لتعذر ذلك ؛ لأن الحذف لايتم إلا بعد نقل حركتها إلى ما قبلها ، وما قبلها متحرك ، فلا يجوز نقل الحركة إلى متحرك[4] .

ومما خفف فيه الهمز لفظة (النبي) نحو قوله جل وعلا : (وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ) (البقرة: ٦١) فقد قرأها نافع بالهمز (النبيئين) وخففها الباقون[5] ، وهذا تخفيف ناتج عن كثرة الاستعمال[6].

وكذا لفظة (سيء) في قوله سبحانه : (ولَمَّا جَاءَت رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ) (هود : ٧٧) (الأصل: سوئ بهم ، من السوء ؛ قلبت حركة الواو على السين فانقلبت ياءً ، وإن خففت الهمزة ألقيت حركتها على الياء فقلت (سي بهم) مخففاً) [7].

ثانياً: الإعلال :

يعرف الإعلال اصطلاحاً بأنه تغيير يحدث بين حروف العلة للتخفيف[8] ، وله صور ثلاث هي :

([1]) وزنه : تفي .

([2]) زنه : تفين .

([3]) الجامع ، ٤١٠/٣، ٤١١ .

([4]) ينظر شرح الشافية ٤٤/٣، ٤٥.

([5]) ينظر الجامع : ٤٣٤/١، ٤٣٥.

([6]) ينظر ، الخصائص : ١٥٣/٣.

([7]) الجامع : ٧٦/٩.

([8]) ينظر ، التعريفات للجرجاني ، ٤٨، وشرح الشافية ٦٦/٣.

١-إعلال بالقلب ، نحو : صام ؛ أصلها (صوم) قلبت الواو ألفاً.

٢-إعلال بالنقل ، نحو : يقول ؛ أصلها (يقول) انتقلت حركة الواو إلى الحرف الصحيح الساكن قبلها .

٣-إعلال بالحذف ، نحو : يعد ، أصلها (يوعد) فوقعت الواو بين الياء والكسرة فحذفت.

وقد تنبه القرطبي إلى كثير من مسائل الإعلال في تفسيره ، وذلك في أثناء وقوفه عند بعض الألفاظ القرآنية التي ظهرت فيها صورة من صور الإعلال ، منها :

-قلب الواو ياءً :

-تقلب الواو ياء ، إذا كانت الواو فاء الكلمة ، وجاءت في صيغة اسم الآلة (مفعال) فكسر ما قبلها ، نحو : ميزان (أصله موزان ، قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها)[١] ، والعلة في هذا القلب ، (أن الواو من جنس الضمة ، فإذا سكنت ضعفت قليلاً ، والكسرة قبلها من جنس الياء ، وتخليص الواو الساكنة بعد الكسرة ثقيل جدا ، فجذبت الكسرة إلى جنسها ، وكان ذلك أخف على اللسان)[٢] .

-إذا كانت الواو عين الكلمة ، واجتمعت مع الياء، فسبقت إحداهما بالسكون، تقلب الواو ياء وتدغم فيها الياء ؛ من ذلك ما كان على وزن (فيعل) نحو : سيد وميت وصيب وقيم ؛ أصلها : سيود وميوت وصيوب وقيوم[٣] ؛ وما كان على وزن (فيعال) نحو : ديار وقيام ، أصلهما : ديوار وقيوام[٤] ، وما كان على وزن (فيعول) نحو : قيوم ، أصلها : قيووم [٥]؛ والعلة في قلب الواو ياء وإدغامها في الياء الأخرى (أن الياء والواو بمنزلة التي تدانت مخارجها لكثرة استعمالهم إياهما ، وممرهما على ألسنتهم ؛ فلما كانت الواو ليس بينها وبين الياء حاجز بعد الياء ولا قبلها ، كان العمل من وجه واحد ، ورفع اللسان من موضع واحد ، أخف عليهم ؛ وكانت الياء الغالبة في القلب لا الواو ؛ لأنها أخف عليهم، لشبهها بالألف)[٦].

---

(1) الجامع : ١٦٢/٧، وينظر التهذيب الوسيط في النحو ، لابن يعيش الصنعاني (ت ٦٨٠هـ) ، ٤٣٩.

(2) اللباب في علل البناء والإعراب ، ٣١٧/٢.

(3) ينظر ، الجامع ٢٣٤/١+١٤٩/٧.

(4) نفسه ٣٠٠/١٨.

(5) نفسه ٢٧٠/٣.

(6) كتاب سيبويه ٣٦٥/٤، وينظر التكملة ، ٥٩٨.

-إذا كانت الواو عين الكلمة وكانت مكسورة ، تقلب ياء بعد نقل حركتها إلى ما قبلها، فيحدث في الكلمة إعلال بالنقل والقلب ، نحو (مستقيم) أصله : مستقوم ، نقلت حركة الواو إلى القاف ، فانقلبت ياء لانكسار ما قبلها[1] ، وكذا الفعل (يطيقونه) في قوله سبحانه : (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَة) (البقرة : ١٨٤) ، (أصله : يطوقونه ، نقلت الكسرة إلى الطاء وانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها)[2] .

-إذا كانت الواو عين الكلمة ، وكانت جمعاً ، قلبت ياء منعاً من اللبس بينها وبين جمع آخر ، نحو : أعياد ، جمع عيد (وإنما جمع بالياء وأصله الواو للزومها في الواحد ، ويقال للفرق بينه وبين أعواد الخشب)[3] .

-إذا كانت الواو لام الكلمة ، وجاورت الياء قلبت ياء وأدغمت فيها ، نحو : أمنية (أصلها أمنوية ، على وزن أفعولة ، فأدغمت الواو في الياء فانكسرت النون من أجل الياء فصارت أمنية)[4]، وكذا (حلي)[5] في قوله سبحانه : (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً) (الأعراف : ١٤٨).

أما (عتيا) في قوله سبحانه : (وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًا) (مريم : ٨) فإن الأصل فيها (عتو) على وزن (فعول) ؛ لأنها من ذوات الواو ، يقال : عتا يعتو ، مثل عسا يعسو ، فأبدلوا من الواو ياء ؛ لأنها أختها وهي أخف منها[6] ، وصار هذا الإعلال بإبدال ضمة التاء التي هي عين الكلمة كسرة ، فانقلبت واو فعول ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ، ثم وقعت الواو التي هي لام الكلمة بعد ياء وكسرة ، فأبدلت ياء ، وأدغمت الأولى فيها[7] .

-قلب الياء واواً :

---

(1) ينظر : الجامع ١٦٥/١، والتصريف الملوكي ، ٦٠ .

(2) الجامع ٢٨٩/٢، وينظر الأصول في النحو ، إبدال الياء من الواو وهي عين ، ٢٦٢/٣.

(3) الجامع ٣٤٥/٦، وينظر اللباب في علل البناء والإعراب ، ٣١٩/٢.

(4) الجامع ١٠/٢.

(5) نفسه ٢٧١/٧.

(6) نفسه ٨٨/١١.

(7) ينظر ، اللباب في علل البناء والإعراب ٣٢٠/٢.

-تقلب الياء واواً ، إذا سكنت وانضم ما قبلها ، نحو قوله تعالى : (وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) (البقرة : ٤) أصله (ييقنون) بالياء ؛ لأنه يقال منه : (يقنت الأمر يقناً ، وأيقنت ، واستيقنت، وتيقنت ، كله بمعنى ، وأنا على يقين منه ؛ وإنما صارت الياء واواً في قولك : موقن ؛ للضمة قبلها[1] ، ، وإذا صغرته رددته إلى الأصل فقلت : مييقن ؛ والتصغير يرد الأشياء إلى أصولها ، وكذلك الجمع)[2].

-إذا كانت الياء لام الكلمة ، تقلب واواً ، في وزن (فعلى) الذي يكون اسماً ، لا وصفاً ، نحو : تقوى من التقية ، وشروى من شريت ، يقال : لك شروى هذا الثوب ؛ فتكون هذه الواو فارقة بين الاسم والوصف ، فإن كانت وصفاً فإن الياء تصح فيها ولا تتغير ، نحو : صديا ، وخزيا ، وريا [3]؛ ومما جاء فيه (فعلى) اسماً في القرآن (طغوى) في قوله عز وعلا : (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا) (الشمس : ١١) (الأصل : بطغياها ، إلا أن فعلى إذا كانت من ذوات الياء أبدلت في الاسم واواً[4] ، ليفصل بين الاسم والوصف)[5] .

مركز ايداع الرسائل الجامعية

أما (فعلى) بضم الفاء ، فإن ياءها تبدل واواً ، إذا كانت عين الكلمة ، وكانت من الصفات التي تستعمل استعمال الأسماء[6] ، وذلك نحو (طوبى) في قوله سبحانه : (طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) (الرعد : ٢٩) فهي فعلى من الطيب ، والأصل (طيبى) ، فصارت الياء واواً لسكونها وضم ما قبلها[7] ؛ فإن كانت (فعلى) صفة مما لا يلزمه الاستعمال بالألف واللام صحت فيها الياء[8] ، نحو (ضيزى) في قوله جل في علاه : (تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ

([1]) ينظر ، التكملة ، ٥٧١، والتصريف للملوكي ٣٢، والتهذيب الوسيط في النحو ٤٣٨، ٤٣٩.

([2]) الجامع ١٩٨/١.

([3]) ينظر ، كتاب سيبويه ٣٦٤/٤، والأصول في النحو ٢٦٦/٣، والتكملة ٦٠٨، وشرح الشافية ١٧٧/٣، ١٧٨.

([4]) قال صدر الأفاضل الخوارزمي ، في شرح المفصل : ((اعلم أنهم لما قصدوا الفرق بين الاسم والصفة بقلب الياء واواً في أحدها ، جعلوا القلب في الاسم دون الصفة ؛ وذلك أن الواو أثقل من الياء ، والاسم أخف ، فجعلوا الأثقل على الأخف تعديلاً)) ٤٣٣/٤ وينظر : المنصف ١٥٧/٢-١٥٨.

([5]) الجامع : ٧٩/٢٠.

([6]) ينظر ، الأصول في النحو ٢٦٧/٣، ودقائق التصريف ٢٧٣، ٢٧٤.

([7]) ينظر الجامع ٣٢٥/٩.

([8]) ينظر ، التكملة ٦٠٩، وشرح المفصل للخوارزمي ٤١٤/٤، ٤١٥.

ضِيزَى) (النجم : ٢٢) فهي في الأصل (فعلى مثل : طوبى وحبلى ، وإنما كسروا الضاد لتسلم الياء ؛ لأنه ليس في الكلام (فعلى) صفة[١] ، وإنما هو من بناء الأسماء كالشعرى والدفلى)[٢] .

-الإعلال بالحذف :

من مظاهره التي أشار إليها القرطبي في تفسيره :

-حذف الواو من الفعل المعتل الفاء إذا كان مضارعاً ، مثل : يقي ، ويشي ، ويعد[٣]؛ لأنها وقعت بين ياء وكسرة[٤] .

-حذف الواو من مصدر الفعل الأجوف المعتل بالواو على وزن (أفعل واستفعل) ، مثل : أقام إقامة ، واستعان استعانة ؛ الأصل : إقوام واستعوان ، نقلت حركة الواو إلى الحرف الذي قبلها ، فانقلبت ألفا ، وبعدها ألف ساكنة ، فالتقى ساكنان ، فحذف أحدهما ، ثم عوض بالهاء ، فقيل : إقامة واستعانة[٥] .

-حذف الواو من اسم المفعول الذي فعله أجوف ، نحو : مثوبة (أصلها مفعولة ، فألقيت حركة الواو على الثاء ، فسكنت الواو وبعدها واو ساكنة ، فحذفت إحداهما ذلك ؛ ومثله مقولة ومجوزة ومضوفة)[٦] .

-حذف لام الفعل في الفعل اللفيف المقرون، وجواز إبقائها بإعلالها بالتسكين ، نحو: (يستحيي) في قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً) (البقرة : ٢٦) (أصله يستحيي ، عينه ولامه حرفا علة ؛ أعلت اللام بأن استثقلت الضمة على الياء فسكنت ، واسم الفاعل على هذا : مستحي ، والجمع مستحيون ومستحيين ؛ وقرأ ابن محيصن (يستحي) بكسر الحاء وياء واحدة ساكنة ... نقلت فيها حركة الياء الأولى إلى

---

(1) ينظر : كتاب سيبويه ٣٦٤/٤.

(2) الجامع ١٠٢/١٧.

(3) الأصل : يوقي ، ويوشي ، ويوعد .

(4) ينظر ، الجامع ٤٢٤/٢، والتهذيب الوسيط في النحو ٤٣٦، ٤٣٧.

(5) ينظر ، الجامع ١٦٣/١+٢٨٠/١٢، والتصريف الملوكي ٦٠، وشرح التعريف بضروري التصريف ٢٢٧ ، والأشباه والنظائر ٦٥/١.

(6) الجامع ٢٢٣/٦، وينظر التطبيق الصرفي للدكتور عبده الراجي ، ١٨٥.

الحاء فسكنت ، ثم استثقلت الضمة على الثانية فسكنت ، فحذفت إحداهما للالتقاء ؛ واسم الفاعل : مستح ، والجمع مستحون ومستحين)[1] .

ثالثاً: الإبدال :

لقد سعى العرب في لغتهم إلى التخفيف ودفع الثقل ، وتحقيق الانسجام الكامل بين أجزاء كلماتهم ، فكان أن لجأوا إلى أساليب متنوعة لهذا المقصد ، وكان الإبدال من جملة ذلك ؛ فالإبدال – اصطلاحاً – هو جعل حرف موضع حرف آخر للتخفيف ودفع الثقل[2] .

والمتأمل لتفسير القرطبي يجد أن هذه الظاهرة قد رصدت فيه على وفق ما يقتضيه المقام في ثنايا حديثه عن بعض ألفاظ القرآن التي برزت فيها هذه الظاهرة ؛ ومن صور الإبدال التي بينت في هذا التفسير ما يأتي :

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

(١)إبدال الهمزة :

-إبدال الهمزة من الواو ، إذا كانت الواو في أول الكلمة ، وهذا الإبدال جائز[3] ، ومنه (أقتت) في قوله جل في علاه : (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) (المرسلات : ١١) الهمزة فيه بدل من الواو والأصل (وقتت)[4] ؛ ويجوز أن يقال (أجوه) في (وجوه)[5] .

-إبدال الهمزة من الهاء في (آل) ، وأصله (أهل) ، قلبت الهاء همزة ثم أبدلت الهمزة ألفاً[6] ، فإن صغرته رددته إلى أصله ، فقلت : أهيل[7] .

([1]) الجامع ٢٥٩/١، ٢٦٠ ، وينظر الأشباه والنظائر ٦٥/١، ٦٦.

([2]) ينظر ، اللباب في علل البناء والإعراب ، ٢٨٤/٢، والتعريفات ، ٢١.

([3]) ينظر ، كتاب سيبويه ٣٣١/٤، والإبدال لابن السكيت ، ١٣٨، والتكملة ٥٧٠، ٥٧٩ وسر صناعة الإعراب ٩٢/١، والممتع في التصريف ٣٣٢/١.

([4]) ينظر الجامع ١٥١/١٩، ١٥٢ .

([5]) نفسه ، ١٧٥/٤.

([6]) ينظر ، التصريف الملوكي ٣٣، واللباب في علل البناء والإعراب ، ٢٩٩/٢، والممتع في التصريف ، ٣٤٨/١، ٣٤٩.

([7]) ينظر ، الجامع ٣٩٠/١، وإعراب القرآن للنحاس ٢٢٣/١.

وكذا الأمر في لفظة (ماء) أصلها : موه (قلبت الواو ألفاً لتحركها وتحرك ما قبلها ، فقلت : ماه ، فالتقى حرفان خفيان ، فأبدلت من الهاء همزة ؛ لأنها أجلد ، وهي بالألف أشبه[1] ، فقلت : ماء ... فإذا جمعوا أو صغروا ردوا إلى الأصل ، فقالوا : مويه ، وأمواه، ومياه)[2] .

(٢)إبدال الباء :

ذكر القرطبي هذا الإبدال في معرض حديثه عن قوله سبحانه : (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لاَزِبٍ) (الصافات : ١١) فقال[3] : ((والعرب تقول : طين لازب ولازم ، تبدل الباء من الميم[4] ، ومثله قولهم : لاتب ولازم ، على إبدال الباء بالميم ؛ واللازب : الثابت ، تقول : صار الشيء ضربة لازب ؛ وهو أفصح من لازم ، قال النابغة :

ولا تحسبون الخير لا شر بعده ولاتحسبون الشر ضربة لازب)) .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

(٣)إبدال التاء :

-تبدل التاء من الهمزة ، إذا كانت الهمزة فاء الكلمة في (افتعل) وذلك نحو : (اتخذ) في قوله تعالى : (ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ) (البقرة : ٥١) (وأصل اتخذتم : ائتخذتم ، من الأخذ ، ووزنه افتعلتم ، سهلت الهمزة الثانية لامتناع همزتين فجاء(ايتخذتم) ، فاضطربت الياء في التصريف ، جاءت ألفاً في (ياتخذ) ، وواواً في (موتخذ) ، فبدلت بحرف جلد ثابت من جنس ما بعدها وهي التاء ، وأدغمت[5] ، ثم اجتلبت ألف الوصل للنطق)[6] .

([1]) ينظر ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ، للمنتجب الهمداني (ت ٦٤٣هـ) ، ٢٤٤/١، ٢٤٥.

([2]) الجامع ٢٤٧/١، وينظر ، سر صناعة الإعراب ٧٩٠/٢، وشرح الشافية ٢٠٨/٣.

([3]) الجامع ٧٢/١٥.

([4]) ينظر ، الإبدال لابن السكيت ، ٧٣.

([5]) يرى بعض الصرفيين عدم جواز إدغام الياء المخففة من الهمزة في التاء ، لأن الياء المنقلبة عن الهمزة ليست بلازمة ، وخطؤوا من قال (اتزر) و (اتكل) من أزر ، وأكل ، ويرون بقاء الياء ،فيقولون (ايتزر) و (ايتكل) ، ولا يقلبون الياء تاء ويدغمونها في تاء الفتعل إلا إذا كانت الياء لازمة ، نحو (اتسر) أصلها (ايتسر) من يسر (ينظر : التكملة ٥٨١، وشرح المفصل للخوارزمي ٣٨٠/٤، وشرح التعريف بضروري التصريف ٢١٤). وقد أجاز القرطبي هنا هذا الإدغام موافقاً بذلك بعض البغداديين الذين يرون جواز إدغام الياء المخففة من الهمزة بتاء الفتعل ، بعد إبدالها تاء (ينظر : شرح الشافية ٨٣/٣، وجامع الدروس العربية ١٢٤/٢).

([6])الجامع ٤٠٣/١.

وإذا كانت فاء افتعل وما يتصرف منها واواً ، أبدلت تاء وأدغمت في تاء افتعل ، من ذلك (متكأ) في قوله عز من قائل : (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً) (يوسف : ٣١) (الأصل في متكأ : موتكأ ، ومثله : متزن ومتعد ؛ لأنه من وزنت ووعدت ووكأت ، ويقال : اتكأ يتكئ اتكاءً)[١].

وكذا قوله سبحانه:(مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ) (الكهف : ٣١) أصلها : موتكئين ، قلبت الواو تاء وأدغمت في تاء الافتعال[٢] .

-تبدل التاء من الواو الواقعة في أول الكلمة[٣] ، وهذا الإبدال شائع ، ومنه (التقوى) أصلها : (وقوى على وزن فعلى ، فقلبت الواو تاء ، من وقيته أقيه ؛ أي منعته ، ورجل تقي أي خائف ، وأصله وقي)[٤] . ونحو ذلك (التراث) في قوله تعالى : (وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمّاً) (الفجر: ١٩) ، أصله الوراث من ورث ، فأبدلت التاء من الواو المضمومة ، كما في تجاه ووجاه [٥]؛ ومنه أيضاً (تترى) في قوله جل وعلا : (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا (المؤمنون : ٤٤) (ومعنى تترى : تتواتر ، ويتبع بعضهم بعضاً ترغيباً وترهيباً ... وأصله (وترى) من المواترة والتواتر ، فقلبت الواو تاء ، مثل التقوى والتكلان وتجاه ، ونحوها)[٦] ؛ وكذا : تقاة[٧] ، وتوراة [٨].

([1]) الجامع ١٨٤/٩.

([2]) نفسه ٤٠٧/١٠، وينظر الأصول في النحو ٢٦٨/٣، ٢٦٩،والممتع في التصريف ٣٨٧/١، وشرح الشافية ٨٢/٣، ٨٣.

([3]) ينظر : كتاب سيبويه ٣٣٢/٤، والإبدال لابن السكيت ١٣٩، وسر صناعة الإعراب ١٤٥/١، والممتع في التصريف ٣٨٣/١، وشرح الشافية ٢١٩/٣، ٢٢٠.

([4]) الجامع ١٨١/١.

([5]) نفسه ٥٤/٢٠.

([6]) نفسه ١٣٢/١٢.

([7]) نفسه ٦٢/٤.

([8]) نفسه ٩/٤.

-تبدل التاء من السين في (الجبت) ، فقد نقل القرطبي عن قطرب في سياق حديثه عن قوله سبحانه : (يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ) (النساء : ٥١) قوله[١] : ((وأصل الجبت : الجبس ، وهو الذي لاخير فيه ، فأبدلت التاء من السين[٢])).

وكذا أبدلت من السين في لفظة (ستة) وأصلها سدسة ، أبدلت السين الثانية تاءً وأدغمت في الدال ؛ لأنك تقول في الجمع : أسداس ، وفي التصغير : سديسة[٣] .

(٤)إبدال الدال :

تبدل تاء الافتعال دالاً ، إذا كانت فاء الكلمة دالاً ، أو ذالاً ، أو زياً ، نحو: مزدجر (أصله : مزتجر فقلبت التاء دالاً؛ لأن التاء حرف مهموس والزاي حرف مجهور ، فأبدل من التاء دالاً توافقها في المخرج وتوافق الزاي في الجهر)[٤] . وكذا مدكر أصله (مذتكر من الذكر فثقلت على الألسن فقلبت التاء دالاً لتوافق الذال في الجهر وأدغمت الدال فيها)[٥]؛ تحقيقاً للانسجام الصوتي ، واقتصاداً للجهد العضلي ، والمساعدة على المرونة واليسر والسهولة في استعمال اللغة ؛ فالذال حرف مجهور والتاء مهموس (وبينهما تناف وتنافر في الصوت ، فأبدلوا التاء دالاً ؛ لأنها من مخرجها رغبة في تجانس الصوت وفراراً من تنافره)[٦].

(٥)إبدال الذال :

أشار القرطبي إلى إبدال الدال المهملة ذالاً معجمة في قوله سبحانه : (فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُم) (الأنفال : ٥٧) حين ذكر قراءة ابن مسعود (فشرذ) بالمعجمة فنقل تعليق

([1]) الجامع ٥/٢٥٠.

([2]) ينظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : ٢/٣٥٩.

([3]) ينظر : الجامع ، ٧/٢١٢، وينظر : الجمل في النحو للزجاجي : ٤١٧ .

([4]) الجامع ١٧/١٢٥، وينظر : سر صناعة الإعراب ١/١٨٥، ١٨٦، والممتع في التصريف ١/٣٥٦.

([5]) الجامع ١٧/١٣٠.

([6]) شرح التعريف بضروري التصريف ، ٢١٥.

المهدوي على هذه القراءة قائلاً [1] : ((الذال المعجمة لا وجه لها ، إلا أن تكون بدلاً من الدال المهملة لتقاربهما ، ولا يعرف في اللغة فشرذ)) .

(٦) إبدال الزاي :

تبدل الزاي من الصاد، إذا كانت الصاد ساكنة وبعدها دال[2] ، وذلك نحو : (أصدق) في قوله تعالى : (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا) (النساء : ٨٧) (قرأ حمزة والكسائي " ومن أزدق " بالزاي . والباقون : بالصاد، وأصله الصاد إلا أن لقرب مخرجها جعل مكانها زاي)[3].

(٧)إبدال الصاد :

تبدل الصاد من السين إذا جاورت السين الطاء ، ومنه قراءة قالون عن نافع (الوصطى)في قوله جل وعلا : (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) (البقرة : ٢٣٨) فأبدل من السين صاداً لمجاورتها الطاء ؛ لأنهما من حيز واحد[4] .

مركز ايداع الرسائل الجامعية

(٨)إبدال الطاء :

تبدل الطاء من تاء الافتعال ؛ إذا كانت فاء الفعل صاداً ، أو ضاداً، أو طاءً ، أو ظاءً، نحو : (اصطفى) في قوله سبحانه : (اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا) (البقرة : ١٣٠) (الأصل في اصطفيناه : اصتفيناه ، أبدلت التاء طاء لتناسبها مع الصاد في الإطباق)[5] ، وكذا (اصطبر) في الآية (٣٧) من سورة القمر[6] .

([1]) الجامع ٣٤/٨.

([2]) ينظر، سر صناعة الإعراب ١٩٦/١، ووفاق المفهوم في اختلاف المقول والمرسوم ، لابن مالك (ت ٦٧٢هـ) ، باب : المقول بالزاي والصاد ، ٢٣٥.

([3]) الجامع ٣٠٦/٥، وقد علل الرضي في شرح الشافية هذا الإبدال قائلاً : ((الصاد مطبقة مهموسة رخوة ، وقد جاورت الدال بلا حائل من حركة وغيرها ، والدال مجهورة شديدة غير مطبقة .. فغيروا الأولى لضعفها بالسكون بأن قربوها من الدال ؛ بأن قلبوها زايا خالصة ، فتناسبت الأصوات ، لأن الزاي من مخرج الصاد وأختها في الصفير ، وهي تناسب الدال في الجهر وعدم الإطباق)) ، ٢٣١/٣، ٢٣٢.

([4]) ينظر الجامع ٢٠٧/٣، وشرح الشافية ٣٠/٣.

([5]) الجامع ١٣٨/٢.

([6]) نفسه ١٣٦/١٧.

والعلة في إبدالهم الطاء من تاء الافتعال أنهم (لما رأوا التاء بعد هـذه الأحـرف ، والتاء مهموسة ، وهذه الأحرف مطبقة ، والتاء مخفتة ، قربوها من لفظ الصاد والـضاد والظاء بأن قلبوها إلى أقرب الحروف منهن ، وهو الطاء ؛ لأن الطاء أخـت التـاء فـي المخرج ، وأخت هؤلاء الأحرف في الإطباق والاستعلاء ، وقلبوها مع الطاء طـاءً أيـضاً لتوافقها في الجهر والاستعلاء ، وليكون الصوت متفقاً)[1] .

(٩)إبدال الكاف :

أبدلت الكاف من الباء في قوله تعالى : (فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ) (الشعراء : ٩٤) أي كببوا في نار جهنم وقلبوا فيها ، فأصل كبكبوا (كببوا ، أبدل من الباء الوسـطى كاف ؛ استثقالاً لاجتماع الباءات)[2] .

(١٠)إبدال اللام :

بين القرطبي إبدال اللام من النون في معرض حديثه عن قوله سبحانه : (بِالْغُـدُوِّ وَالْآصَالِ) (الأعراف : ٢٠٥) فقد ذكر جموعاً للأصيل وهي : أصل ، وآصال ، وأصائل ، وكذا أصلان مثل بعير وبعران، فإذا صغر هذا الجمع قيل : أصيلان ، على وزن فعيلان ، ثم أبدلوا من النون لاماً فقالوا : أصيلال[3] ، ومنه قول النابغة :

وقفت بها أصيلالاً أسائلها عيت جواباً وما بالربع من أحد

وحكى اللحياني : لقيته أصيلالاً [4].

وقد يحدث العكس فتبدل النون من اللام ، نحو (سجين) في قوله تعالى : (إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ) (المطففين: ٧) ، فقد أورد القرطبي أقوالاً في معنى (سجين) منها إن (أصله سجيل فأبدلت اللام نوناً)[5].

(١١)إبدال الهاء :

([1]) سر صناعة الإعراب ٢١٧/١، ٢١٨ ، وينظر دقائق التصريف ، ١٦٩، وشرح التعريف بضروري التصريف ، ٢١٦.

([2]) الجامع ، ١٢٤/١٣ وينظر : الانصاف في مسائل الخلاف : ٧٨٨/٢ المسالة (١١٣).

([3]) ينظر هذا الإبدال في : كتاب سيبويه ٤٤٠/٤ ، والإبدال لابن السكيت ٦٤، وسر صناعة الإعراب ٣٢١/١، والممتع في التصريف ٤٠٣/١، ووفاق المفهوم في اختلاف المقول والمرسوم ٢٥٧.

([4]) ينظر الجامع ٣٣٩/٧، ٣٤٠،

([5]) نفسه ٢٤٧/١٩.

أبدلت الهاء من الهمزة في (إياك) فقيل: هياك[1] ، وكذا (مهيمن) في الآية (٤٨) من سورة المائدة، أصلها : مؤيمن، أبدل من الهمزة هاء ، كما قيل في أرقت الماء ، هرقت[2]؛ ولعل هذا الإبدال ناتج عن قرب مخرجيهما ، فالهمزة والهاء يخرجان من أقصى الحلق ، بيد أن الهمزة ثقيلة على اللسان لما فيها من نبرة كريهة[3] ، فأبدلت بالهاء ؛ لأنها أخف منها نطقاً .

(١٢)إبدال الواو :

تبدل الواو من السين في جمع قسيس مكسراً ، فيقال : قساوسة(والأصل قساسسة ، فأبدلوا إحدى السينات واواً لكثرتها)[4].

(١٣)إبدال الياء :

تبدل الياء من أحد حرفي المضاعف إذا اجتمعا في كلمة ، مع امتناع الإدغام لسكون الثاني ،وذلك نحو : أمليت ، أصلها : أمللت ؛ أبدل من اللام ياء لأنه أخف ، وقد جاء القرآن بهما ، قال تعالى : (وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ) (البقرة : ٢٨٢) بالتضعيف ، وقال سبحانه : (فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (الفرقان: ٥) بالتخفيف بإبدال اللام ياء[5] ؛ وكذا قوله جل وعلا : (وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (الشمس: ١٠) (الأصل : دسسها من التدسيس ، وهو إخفاء الشيء في الشيء ، فأبدلت سينه ياء ، كما يقال : قصيت أظفاري ، وأصلها قصصت أظفاري ، ومثله قولهم في تقضض: تقضى)[6].

ومنه (يتمطى) في قوله عز وعلا : (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) (القيامة : ٣٣) (أصله : يتمطط ، وهو التمدد من التكسل والتثاقل ، فهو يتثاقل عن الداعي إلى الحق ، فأبدله من الطاء ياء كراهة التضعيف)[7] .

([1]) نفسه ١٦٣/١.

([2]) نفسه ٢٠١/٦، وينظر الإبدال لابن السكيت ٨٨، ٨٩، والتصريف الملوكي ، ٣٧، وشرح الشافية ٢٢٢/٣، ٢٢٣.

([3]) يراجع تخفيف الهمزة في ص (٩٦) من هذا البحث .

([4]) الجامع ٢٤٤/٦، وينظر القاموس المحيط(قسس).

([5]) ينظر الجامع ٣٨٣/٣.

([6]) نفسه ٨٧/٢٠ وينظر : المخلى لابن شقير حيث ذكر فيه أن العرب إذا اجتمع حرفان من جنس واحد جعلوا مكانه حرفاً من غير ذلك الجنس ، ٢٥٩.

([7]) الجامع ١١١/١٩.

وكذا (يتسنى) أصله : يتسنن[1] ؛ والتصدية أصلها : تصددة[2] ، فأبدل من الحرف المضاعف ياء سعياً للتخفيف ، وهروباً من استثقال التضعيف .

وهذا النوع من الإبدال[3] ، إما أن يكون في الكلمة التي اجتمع فيها مثلان ، نحو (مللت) ، أو ثلاثة أمثال ، نحو (دسست) ؛ مع امتناع الإدغام لعلة ما ، فيكون اللجوء إلى تخفيف هذا الثقل الذي أحدثه التضعيف ، بقلب أحد حروف المضاعف ياء[4] .

ويشترط في هذا الإبدال تجانس الحرفين اللذين يقلب أحدهما ياء ، وهذا ما بينه القرطبي في سياق تفسيره لقوله جل وعلا : (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ) (البقرة : ٣٧) حيث قال[5] : ((قيل : معنى تلقى : تلقن ، وهذا المعنى صحيح ، ولكن لا يجوز أن يكون التلقي من التلقن في الأصل ؛ لأن أحد الحرفين إنما يقلب ياء إذا تجانسا ، مثل : تظنى من تظنن ، وتقصى من تقصص ؛ ومثله : تسريت من تسررت ، وأمليت من أمللت وشبه ذلك؛ ولهذا لا يقال: تقبى من تقبل ، ولا تلقى من تلقن ، فاعلم)) .

وتبدل الياء من أول حرفي التضعيف إبدالاً قياسيا فيما كان وزنه (فعال) إذا كان اسماً، لا مصدراً نحو : ديباج وقيراط ، أصلهما : دبّاج وقرّاط ، ولا يأتي فعال في غير المصدر إلا وأول حرفي تضعيفه قد أبدل ياء ، فرقاً بين الاسم والمصدر ، ولا يبدل في المصدر نحو : كذب كذاباً[6] .

ومن الأسماء التي جاءت في القرآن على هذا الوزن ، لفظة (دينار) في قوله سبحانه: (وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ) (آل عمران : ٧٥) ، وأصل

([1]) نفسه ٢٩٣/٣.

([2]) نفسه ٣٨٣/٧.

([3]) ينظر إبدال الياء من أحد حروف المضاعف، في : كتاب سيبويه ٤٢٤/٤، والإبدال لابن السكيت ، ١٣٣ وما بعدها ، وسر صناعة الإعراب ٧٥٧/٢، ٧٥٨، والممتع في التصريف ٣٧٢/١ وما بعدها .

([4]) ينظر ، شرح الشافية ٢١٠/٣.

([5]) الجامع ٣٣٥/١.

([6]) ينظر شرح الشافية ٢١٠/٣، ٢١١ .

الدينار (دنار ، فعوضت من إحدى النونين ياء طلباً للتخفيف لكثرة استعماله ؛ يدل عليه أنه يجمع دنانير ويصغر دنينير)[1].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

([1]) الجامع ١٢٥/٤، وينظر : كتاب سيبويه ٢٣٩/٤، والأصول في النحو ٢٦٣/٣، والتصريف الملوكي ٣١، واللباب في علل البناء والإعراب ٣١٧/٢، والممتع في التصريف ٣٧١/١، ووفاق المفهوم في اختلاف المقول والمرسوم ، ١٨٦.

رابعاً: الإدغام:

يعرف الإدغام اصطلاحاً بأنه وصل حرف ساكن بحرف مثله من موضعه ، من غير حركة تفصل بينهما ولا وقف ، فيصيران بتداخلهما كحرف واحد ، فيرتفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة ، ويشتد الحرف[1] .

وللإدغام (فائدة صوتية محضة ، إذ أن الغرض منه طلب التخفيف الحاصل من لفظ الحرفين المتجانسين أو المتقاربين ؛ لأنه يثقل على المتكلم النطق بالحرف الواحد والعود إليه ثانية ؛ لهذا حاولوا أن يدغموا الحرفين فيضعوا اللسان على مخرج الحرف المكرر وضعة مرة واحدة ، ويرفعوها بالحرفين رفعة واحدة ؛ لئلا ينطقوا بالحرف ثم يعودوا إليه، ولهذا أسكنوا الأول من الحرفين وأدغموه في الثاني)[2] .

والإدغام إما أن يكون في الحرفين المتماثلين – المتجانسين – ، أو المتقاربين في المخرج ؛ وقد بين القرطبي صوراً منهما ، نوضحها فيما يأتي :

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

(١)إدغام المتماثلين (المتجانسين) :

أن يكون المتماثلان متحركين في كلمة واحدة نحو : (يود) الأصل فيه (يودد ، أدغمت لئلا يجمع بين حرفين من جنس واحد متحركين ، وقلبت حركة الدال على الواو)[3] ؛ لأن اجتماع الحرفين المتحركين من جنس واحد فيه ثقل ، فخفف بأن أسكن أولهما ثم أدغم في الثاني ؛ (لأن الأصل في الإدغام أن يتبع الأول الآخر)[4] .

فإذا اجتمع المثلان ، فتحرك أولهما وسكن الثاني ، امتنع الإدغام ، نحو (مللت) ، وقد بين القرطبي هاتين الصورتين (الإدغام وفكه) في سياق حديثه عن قوله تعالى : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ... وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ) (النور : ٣٠، ٣١) قائلاً[5] : ((وظهر التضعيف في (يغضضن) ولم يظهر في (يغضوا) ؛ لأن لام الفعل من الثاني ساكنة ومن الأول متحركة)).

([1]) ينظر : الأصول في النحو ٤٠٥/٣، والتكملة ٦١٤.

([2]) الصرف الوافي ، ٢٦٤.

([3]) الجامع ٣٩/٢.

([4]) كتاب سيبويه ٤٦٩/٤.

([5]) الجامع ٢٢٩/١٢.

إن مراد القرطبي بظهور التضعيف ، هو فك الإدغام ، وظهور المثلين ؛ لأن (يغضضن) قد سكنت لامها وتحركت عينها، فامتنع الإدغام ، بينما (يغضوا) الأصل فيها : يغضضوا ، على وزن (يفعلوا) ، فاجتمع حرفان متحركان من جنس واحد بحركة ثقيلة وهي الضمة ، فأسكن أولهما بأن نقلت حركته إلى الحرف الذي قبله ، ثم أدغم في الثاني.

(٢)إدغام المتقاربين :

-إدغام تاء التفعل في فاء الفعل وما يتصرف منه ، إذا تقاربا في المخرج ، نحو : يطوعون ويذكرون ، وأصلهما : يتطوعون ، ويتذكرون[١] ، ومنه قوله سبحانه : (لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى) (الصافات : ٨) (أصل يسمعون: يتسمعون ، فأدغمت التاء في السين لقربها منها)[٢] ، وكذا يشقق في يتشقق ، أدغمت التاء في الشين[٣] ، ويطير في يتطير[٤] ، ويدبر في يتدبر[٥] . ومنه المدثر (أصله : المتدثر ، فأدغمت التاء في الدال لتجانسهما)[٦] .

-إدغام تاء افتعل وما يتصرف منه في فاء الكلمة ، إذا كانت الفاء دالاً ، أو ذالاً ، أو زياً ، وذلك بعد قلب التاء دالاً؛ نحو (ادكر) أصلها (اذتكر ، والذال قريبة المخرج من التاء ، ولم يجز إدغامها فيها ؛ لأن الذال مجهورة والتاء مهموسة فلو أدغموا ذهب الجهر ، فأبدلوا من موضع التاء حرفاً مجهوراً وهو الدال ، وكان أولى من الطاء ؛ لأن الطاء مطبقة ، فصار (اذدكر) فأدغموا الذال في الدال لرخاوة الدال ولينها)[٧].

([1]) ينظر ، كتاب سيبويه ٤/٤٧٤، ٤٧٥ .

([2]) الجامع ١٥/٦٨.

([3]) نفسه ١/٤٦٦ .

([4]) نفسه ٧/٢٥٤ .

([5]) نفسه ١٥/١٨٣ .

([6]) نفسه ١٩/٥٩.

([7]) نفسه ٩/٢٠٨، وينظر : كتاب سيبويه ٤/٤٦٩، ٤٧٠، ودقائق التصريف ١٦٨.

وكذا (مدكر) في قوله جل وعلا : (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) (القمر : ١٥) (أصله مذتكر (مفتعل) من الذكر ، فثقلت على الألسنة فقلبت التاء دالاً لتوافق الذال في الجهر ، وأدغمت الذال فيها)[١].

-امتناع إدغام حروف الصفير (الصاد والسين والزاي) فيما جاورها إذا كان المجاور لها من أحد الحروف الستة : الطاء ، والتاء، والدال ، والظاء، والثاء، والذال ؛ لكي لايذهب الإدغام ما فيها من امتداد الصفير ، ويجوز أن تدغم حروف الصفير بعضها في بعض ، أو تدغم هذه الأحرف الستة فيها[٢] .

وقد ألمح القرطبي إلى ذلك عند قوله سبحانه : (فَلا جُنَاحَ عَلَيهِمَا أَنْ يُصلِحَا بَيْنَهُمَا) (النساء : ١٢٨) بعد أن ذكر قراءة الجحدري (يصلحا) معلقاً عليها بقوله[٣] : ((ومن قرأ (يصلحا) فالأصل : يصتلحا ، ثم صار يصطلحا ، ثم أبدلت الطاء صاداً وأدغمت فيها الصاد ، ولم تبدل الصاد طاءً لما فيها من امتداد الزفير)) ، فامتنع (يطلحا) لئلا يسلب الإدغام الصاد ما فيها من الصفير[٤].

-إدغام تاء تفعل وتفاعل في فاء الفعل إذا كانت الفاء أحد الحروف الآتية : التاء ، والطاء ، والدال والظاء ، والذال ، والثاء ،والصاد ، والزاي ، والسين ، والضاد ، والشين، والجيم[٥]؛ ثم تجلب همزة الوصل ؛ لسكون التاء بعد إدغامها بأحد الحروف المذكورة ،وقد كانت في أول الكلمة ، ولا يمكن الابتداء بالساكن[٦] .

من ذلك (ازينت) الأصل فيها (تزينت، أدغمت التاء في الزاي وجيء بألف الوصل ؛ لأن الحرف المدغم مقام حرفين ، الأول منهما ساكن ، والساكن لا يمكن الابتداء به)[٧].

([1]) الجامع ١٣٠/١٧.

([2]) ينظر : المقتضب ١٧٣/١، ١٧٤، والتكملة ٦٢٦، ٦٢٧، والمحتسب ٣٠٦/١، وشرح التعريف بضروري التصريف ٢١٨.

([3])الجامع ٤٠٤/٥.

([4])ينظر : شرح المفصل للخوارزمي ٤٧٥/٤.

([5]) ينظر : شرح الشافية ٢٩١/٣.

([6]) ينظر ، معرض الأبريز من الكلام الوجيز عن القرآن العزيز ، للدكتور عبد الكريم محمد الأسعد ، ٣٧٠/٢.

([7]) الجامع ٣٠٤/٨.

وكذا الأمر في (اثاقلتم) أصلها (تثاقلتم ، فأدغمت التاء في الثاء لقربها منها ، واحتاجت إلى الوصل لتصل إلى النطق بالساكن)[1] ، ونحو ذلك: ادارأتم ، أصله تدارأتم[2] ؛ وادارك أصله تدارك[3] .

-الإدغام الشاذ في (ستة) إذ (الأصل سدسة ، فأرادوا إدغام الدال في السين فالتقيا عند مخرج التاء ، فغلبت عليها ؛ وإن شئت قلت : أبدل من إحدى السينين تاء وأدغم في الدال)[4].

والذي دعاهم إلى هذا الإدغام أن لفظة (سدسة) كانت مما كثر استعماله في كلامهم ، فأرادوا التخفيف ؛ لأن (السين مضاعفة ، وليس بينهما حاجز قوي ، والحاجز أيضاً مخرجه أقرب المخارج إلى مخرج السين ، فكرهوا إدغام الدال فيزداد الحرف سيناً ، فتلتقي السينات ، ولم تكن السين لتدغم في الدال لما ذكرت لك[5] ، فأبدلوا مكان السين أشبه الحروف بها من موضع الدال ؛ لئلا يصيروا إلى أثقل مما فروا منه إذا أدغموا ، وذلك الحرف التاء ، كأنه قال : سدت ، ثم أدغم الدال في التاء)[6] .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

خامساً: القلب المكاني :

يعد القلب المكاني ظاهرة واضحة في اللغة العربية[7] ، تقوم على أساس تقديم بعض حروف الكلمة على بعض[8] ، فيتقدم حرف ويتأخر آخر ؛ وهي تعتمد على السماع وليس

([1]) الجامع ١٣٢/٨.

([2]) نفسه ٤٥٩/١.

([3]) نفسه ٢٣٦/١٣.

([4]) نفسه ٢١٢/٧.

([5]) امتنع إدغام السين في الدال ؛ لئلا يذهب الإدغام مافي السين من الصفير.

([6]) كتاب سيبويه ٤٨١/٤، ٤٨٢، وينظر شرح الشافية ٢٦٦/٣.

([7]) ينظر نماذج من هذه الظاهرة في : الجمهرة لابن دريد ، باب : الحروف التي قلبت وزعم قوم من النحويين أنها لغات ، ١٢٥٤/٣ وما بعدها ، والخصائص ، باب : في الأصلين يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير ، ٦٩/٢ وما بعدها ، والمزهر ١ /٣٦٧ وما بعدها.

([8]) ينظر شرح الشافية ٢١/١.

فيها قياس[1] ، وقد أورد القرطبي في تفسيره ألفاظاً احتملت القلب المكاني ، نستقي منها ما يأتي:

-لفظة (استيأسوا) في الآية (٨٠) من سورة يوسف؛ فقد قرأ ابن كثير (استايسوا) وكذا (لاتايسوا) و (إنه لا يايس) (يوسف : ٨٧)، و (أفلم يايس) (الرعد : ٣١) ؛ بألف من غير همز على القلب ، والأصل في : (استايسوا، ولا تايسوا، وإنه لا يايس، وأفلم يايس) ؛ الأصل فيها : (استيأسوا ، ولا تيأسوا ، وإنه لا ييأس ، وأفلم ييأس) ، قدمت الهمزة ، وأخرت الياء ، ثم قلبت الهمزة ألفاً ؛ لأنها ساكنة قبلها فتحة[2] .

-قلب العين إلى موضع اللام في بعض أسماء الفاعلين من الفعل الأجوف[3] ، فيعل إعلال (قاض) بالحذف[4] ، نحو : (شاك) الأصل فيه (شائك) ، فيقال : (رجل شائك السلاح؛ أي حديد السلاح ، ثم يقلب ، فيقال : شاكي السلاح)[5] ، وكذا (هار) في قوله تعالى : (عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ) (التوبة : ١٠٩) ، قال القرطبي[6] : ((هار : ساقط ، يقال : تهور البناء إذا سقط ، وأصله : هائر ، فهو من المقلوب ، يقلب ويؤخر ياؤها ، فيقال : هار وهائر ، قاله الزجاج ؛ ومثله : لاث الشيء به ، إذا دار ، فهو لاث ؛ أي لائث ، وكما قالوا : شاكي السلاح وشائك)) ، ونحو ذلك (عاد) أصله : عائد ، فهو من المقلوب[7] .

-لفظة (تقفو) في قوله سبحانه : (وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) (الإسراء:٣٦) قال القرطبي[8] : ((يقال : قفوته أقفوه ، وقفته أقوفه ، وقفيته إذا اتبعت أثره، ومنه القافة لتتبعهم الآثار ، وقافية كل شيء آخره ، ومنه قافية الشعر ؛ لأنها تقفو البيت ، ومنه اسم النبي صلى الله عليه وسلم المقفي ؛ لأنه جاء آخر الأنبياء ، ومنه القائف ؛ وهو الذي يتبع

---

(1) نفسه ٢٤/١.

(2) ينظر الجامع ٢٤٦/٩، والممتع في التصريف ٦١٨/٢.

(3) ينظر ،كتاب سيبويه ٤٦٦/٣، والتكملة ٦٠٣، والممتع في التصريف ٦١٦/٢، وشرح التعريف بضروري التعريف ١٢٧.

(4) ينظر ، شرح المفصل للخوارزمي ٣٩١/٤، وشرح الشافية ١٢٨/٣، ١٢٩.

(5) الجامع ٣٥٣/٧، وشرح المفصل للخوارزمي ٣٩٠/٤.

(6) الجامع ٢٤٥/٨.

(7) نفسه : ٢٣٦/٢.

(8) نفسه ٢٦٣/١٠.

أثر الشبه . يقال : قاف القائف يقوف ، إذا فعل ذلك ، وتقول : فقوت الأثر ، بتقديم الفـــاء على القاف)) .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فهنا يوضح القرطبي ما يحدث لهذه اللفظة من تقلبات ، فتارة تتقدم لامها على عينها، نحو قوله : (أقوفه) ،أصلها (أققوه) ؛ لأنه من قفا الأثر ؛ وقوله : (قاف القائف يقوف) والأصل : (قفا القافي يقفو) ، وتارة تتقدم عينها على فائها ، نحو قوله : (فقوت الأثر) والأصل (قفوت الأثر) .

-لفظة (أولى) في قوله تعالى : (فَأَوْلَى لَهُمْ) (محمد : ٢٠) فقد نقل القرطبي في معناه أقوالاً منها إنه مأخوذ من الويل ؛ فهو (أفعل) ولكن فيه قلب ، وهو أن عين الكلمة وقعت موقع اللام[١] ، فصار على وزن (أفلع) .

أما لفظة (أول) في قوله جل وعلا : (وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ) (البقرة : ٤١) ، مما قيل في تصريفه إنه في الأصل على وزن (أفعل) من آل يؤول ، فأصله (أأول) ، قلب فجاء (أعفل)[٢] ، مقلوباً من أفعل ، فسهل وأبدل وأدغم[٣] .

-لفظة (عسعس) في قوله سبحانه : (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) (التكوير : ١٧) يقال فيها : عسعس وسعسع إذا لم يبق من الليل إلا اليسير[٤] .

-لفظة (نطمس) في قوله عز من قائل:(مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً) (النساء:٤٧) يقال : (نطمس ونطمس بكسر الميم وضمها في المستقبل لغتان ، ويقال في الكلام : طمس يطمس ويطمس بمعنى طمس ؛ يقال : طمس الأثر وطمس ؛ أي امحى)[٥] .

-لفظة (البطيخ) يقال فيها (الطبيخ) وهي من المقلوب[٦] .

-لفظة (نأى) في قوله تعالى : (أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ) (الإسراء : ٨٣) معناه (تكبر وتباعد ، وناء مقلوب منه ... وقرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان (ناء) مثل : باع، الهمزة مؤخرة ،وهو على طريقة القلب)[٧]، وكذا (رأى) يقال فيها (راء)[٨].

([1]) ينظر: الجامع ٢٣٥/١٦ ، والصاحبي في فقه اللغة ، ١٨٢.

([2]) قدمت الواو ، فصار (أوأل) ثم سهلت الهمزة التي هي فاء الكلمة وأبدلت واواً فصارت (أوول) ثم أدغمت فيها الواو التي هي عين الكلمة ، فصارت (أول).

([3]) ينظر الجامع ٣٤٤/١.

([4])نفسه ٢٢٧/١٩.

([5]) نفسه: ٢٤٦/٥.

([6]) نفسه ١٩٣/٧.

([7]) نفسه ٣٢٧/١٠، ٣٢٨.

([8]) نفسه ١٤٩/١١، وينظر ، شرح الشافية ٢١/١.

-لفظة (ضياء) في قوله سبحانه : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً) (يونس : ٥) قرئت (ضئاء) فعلق عليها القرطبي قائلاً[١] : ((ولا وجه له ؛ لأن ياءه كانت واواً مفتوحة وهي عين الفعل ، أصلها (ضواء) فقلبت وجعلت ياء كما جعلت في الصيام والقيام)).

بيد أنه التمس لهذه القراءة مخرجاً لغوياً ، قائلاً[٢] : ((ومن قرأ (ضئاء) فهو مقلوب، قدمت الهمزة التي بعد الألف فصارت قبل الألف ، فصار (ضئايا) ثم قلبت الياء همزة لوقوعها بعد ألف زائدة ، وكذلك إن قدرت أن الياء حين تأخرت رجعت إلى الواو التي انقلبت عنها ؛ فإنها تقلب همزة أيضاً ؛ فوزنه (فلاع) مقلوب من فعال)) .

-لفظة (الناس) ، قيل : أصلها من (نسي) ، قلب فصار (نيس) تحركت الياء فانفتح ما قبلها ، فانقلبت ألفاً ، ثم أدخلت الألف واللام ؛ فقيل : الناس[٣] .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

(1) الجامع ٢٨٨/٨ .

(2) نفسه ٢٨٨/٨.

(3) نفسه ٢١٠/١، ٢١١.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

الفصل الثالث

النيابة الصرفية في الجامع

توطئـة :

تعد النيابة ظاهرة من ظواهر اللغة العربية الكبرى ، وهي تبرز من خـلال الـسياق اللغوي في إطار تركيب معين يظهر ملامحها ويبين مدلولاتها ، وقد اصـطلح علـى هـذه الظاهرة بأنها (إسقاط أحد عناصر التركيب الجملي الذي يستدل عليه من الأصل المفترض لهذا التركيب المستخدم الذي تقتضيه قواعد التركيب في العربية ، وإحلال عنصر آخر محله في الاستعمال ، فيأخذ عنه شيئاً من خصائصه لا كلها ؛ لأنه ليس إياه)[1] .

وتوضيحاً لهذا الاصطلاح ، ننظر إلى قول الله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ نَحْـنُ جَمِيـعٌ مُنْتَصِرٌ) (القمر : ٤٤) حيث نرى أن لفظة (جميع) أتت بمعنى (مجمـوع) ، وصـيغة (فعيل) لا تكون بمعنى (مفعول) من حيث هي صيغة صرفية مجردة ، إذ أن لها استعمالات متعددة ؛ فهي تحتمل عند إفرادها معنى الصفة المشبهة ؛ نحو : كريم وفصيح ، ومعنـى المبالغة ؛ نحو : عظيم وقدير ، ومعنى المصدر ؛ نحو: صهيل وزئير وشهيق ، ومعنى اسم الفاعل من غير الثلاثي ؛ نحو : أليم وجليس بمعنى مؤلم ومجالس ، ومعنى اسم المفعول ؛ نحو : قتيل وجريح بمعنى مقتول ومجروح ... إلى غير ذلك ؛ ولا يظهر المعنى هذا أو ذاك إلا في التركيب الجملي المعين .

فالأصل المفترض في السياق السابق أن يكون المعنى (نحن مجموع منتـصر) ؛ أي بكثرتنا متفقون فلنا الانتصار ؛ إلا أن هذا العنصر المفترض (مجموع) سقط من التركيـب الجملي ، وحل محله عنصر آخر (جميع) ، فأخذ عنه شيئاً من خصائصه ، وهو دلالتـه على معنى اسم المفعول ، لكنه لم يأخذ خصائصه كلها ؛ لأن لفظة (جميع) وإن كانت فـي هذا التركيب (بمعنى اسم المفعول ، إلا أن مجيئها على صيغة من صيغ المبالغة قد أفـاد معنى المبالغة مع معنى المفعولية)[2] ، ولأن (جميعاً) ليس هو (مجموعاً) في أصل وضعه ، فهو على صيغة (فعيل) وذاك على (مفعول) .

إن نيابة صيغة عن صيغة أخرى في سياق مالا يدل على عبث أو ترف فـي اللغـة العربية ، أو رغبة في زيادة الألفاظ والمشتقات (فالواقع اللغوي يؤكد أن لكل صيغة دلالة

([1]) ظاهرة النيابة في العربية للدكتور عبد الله صالح عمر بابعير ، ١٤.

([2]) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، للدكتور عبد الحميد هنداوي : ١٠٦.

مختلفة لا تؤديها غيرها ، وأن كل صيغة تستعمل في سياق معين يقتضيها ، ولا يستقيم المعنى على الوجه الأكمل إلا بها)[1] . وهذا يؤكد لنا أن ظاهرة النيابة في اللغة العربية – بمستوياتها المختلفة – تدل (على مرونة اللغة العربية الحية ، وسعة أساليبها في التعبير ، وتعدد أنماطها ، وتلون تراكيبها على وفق مايراد من كل تركيب أو نمط من دلالة تمتاز بالغرض عن دلالة نمط أو تركيب آخر)[2] .

وفي هذا الفصل سيحاول البحث تتبع صور هذه الظاهرة في تفسير القرطبي وإبراز مدلولاتها ؛ حيث إن القرطبي قد أورد نماذج كثيرة لها ، موظفاً إياها – غالباً – في سياق تفسيره للآيات القرآنية ، وسيقتصر البحث على مستوى من مستويات النيابة ، ألا وهو المستوى الصرفي ؛ لأن القصد من هذا البحث هو بيان الدرس الصرفي عند القرطبي من خلال تفسيره الجامع لأحكام القرآن .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

([1]) دلالة السياق في القصص القرآني ، للدكتور محمد عبد الله سيف : ٣٢.

([2]) النيابة النحوية من خلال القرآن الكريم ، للدكتور هادي نهر : ٩.

المبحث الأول

الصيغ النائبة عن اسم المفعول واسم الفاعل

أولاً: النيابة عن اسم المفعول :

اسم المفعول يدل على الحدث والحدوث وذات المفعول[1] – أي من وقع عليه الحدث– ؛ ويصاغ من الفعل الثلاثي على وزن واحد ، هو (مفعول) ، ومن فوق الثلاثي على وزن مضارعه المبني للمجهول مع جعل الميم بدل حرف المضارعة .

فإذا جاءت صيغة على خلاف وزن اسم المفعول – من الثلاثي وغيره – في سياق ما، حاملة دلالة اسم المفعول ، فإنها تنوب عنه في هذا السياق ، لا في أصل وضعها وتركيبها .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن الصيغ التي جاءت أمثلة منها نائبة عن اسم المفعول ، وأوردها القرطبي في تفسيره، منها :

١–فعيل :

تأتي هذه الصيغة في سياقات مخصوصة بمعنى (مفعول) ، من ذلك (حميم) في قوله سبحانه : (لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ) (يونس : ٤) يقول القرطبي[2] : ((أي ماء حار قد انتهى حره ، والحميمة مثله ؛ يقال : حممت الماء أحمه فهو حميم ؛ أي محموم ، فعيل بمعنى مفعول)) .

وكذا قوله تعالى : (قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا) (مريم : ١٨) فتقي في هذه الآية جاء على صيغة (فعيل بمعنى مفعول ؛ أي كنت ممن يتقى منه)[3] ، ونحو ذلك : معين ، وقتيل ، وظهير ، وحصيد[4] .

---

(1) ينظر معاني الأبنية في العربية : ٥٩.

(2) الجامع : ٢٨٨/٨.

(3) نفسه : ٩٧/١١.

(4) ينظر على التوالي الآيات : المؤمنون : ٥٠، النساء : ٤٩، الفرقان : ٥٥، يونس : ٢٤؛ وينظر في الجامع على التوالي : ١٣٤/١٢، ٢٤٩/٥–٢٥٠، ٦٦/١٣، ٣٠٤/٨.

وقد تلحق التاء فعيلاً الذي ينوب عن مفعول ؛ لتدل هذه الإضافة على نقل صيغة فعيل (من الوصفية إلى الاسمية المحددة ، فالذبيحة هي اسم لما يذبح ، وليست وصفاً ؛ لذا تبقى فيها دلالتها على المفعولية التي اكتسبتها من نيابتها عن (مفعول) ، ولكنها لا تعمل عملاً نحوياً إن وقعت في السياق متوافرة فيها شروط الإعمال النحوي لاسم المفعول)[1] .

من ذلك لفظة (البحيرة) في قول الله تعالى : (مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ) (المائدة : ١٠٣) فقد نقل القرطبي أقوالاً في معنى (بحيرة)منها[2] :

-إنها هي التي يمنع درها للطواغيت ، فلا يحتلبها أحد من الناس .

-إنها الناقة المشقوقة الأذن ، من قولهم : بحرت أذن الناقة أي شققتها شقاً واسعاً ، فهي بحيرة ومبحورة .

-إنها هي التي خليت بلا راع .

-إنها الناقة الغزيرة اللبن

جميع الحقوق محفوظة
الجامعة الاردنية
لايداع الرسائل الجامعية

فهي على هذه المعاني (فعيلة بمعنى مفعولة[3] وهي على وزن النطيحة والذبيحة)[4].

ومثل ذلك (الربيبة) ؛ ففي قوله سبحانه : (وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ) (النساء : ٢٣) الربائب جمع ربيبة وهي (بنت امرأة الرجل من غيره ، سميت بذلك لأنه يربيها في حجره فهي مربوبة ، فعيلة بمعنى مفعولة)[5] ؛ وكذا (فريضة)[6] ، و(حظيرة)[7].

إن صيغة (فعيل) من أشهر الصيغ النائبة عن (مفعول) ، وأكثرها استعمالاً ، والغرض الرئيس من هذه النيابة هي المبالغة ، فكف خضيب ، ورجل جريح ، أبلغ من

([1]) ظاهرة النيابة في العربية : ٣١٧.

([2])ينظر الجامع : ٣١٥/٦.

([3]) ينظر مثل هذا القول في : التبيان في إعراب القرآن : ٣٤٦/١.

([4]) الجامع : ٣١٥/٦.

([5]) نفسه : ١١٨/٥.

([6]) نفسه : ١٤٠/٥-١٤١

([7]) نفسه : ١٣٨/١٧.

قولك : كف مخضوب ، ورجل مجروح[1] ؛ لأن فعيلاً بمعنى مفعول يدل (على أن الوصف قد وقع على صاحبه بحيث أصبح سجية له أو كالسجية ، ثابتاً أو كالثابت ، فتقول : (هو محمود) و (هو حميد) فـ(حميد) أبلغ من (محمود) ؛ لأن حميداً يدل على أن صفة الحمد له ثابتة ، وكذا (الرجيم) ؛ أي الذي يستحق أن يرجم على وجه الثبوت ، وتقول : (طرف مكحول) و (طرف كحيل) فكحيل أبلغ من مكحول ؛ لأن معناه أن الكحل أصبح في صاحبه كأنه خلقة ، وتقول : (كف خضيب) و (كف مخضوب) فخضيب أبلغ من مخضوب ؛ لأن خضيباً يدل على أن الخضاب أصبح في صاحبه كأنه خلقة بخلاف مخضوب الدال على التجدد ؛ فصيغة (فعيل) بمعنى (مفعول) تدل على الثبوت ، أو على معنى قريب من الثبوت، بخلاف صيغة مفعول الدالة على الحدوث)[2] ؛ ولذا (فإنه يقال لمن جرح في أنملته : مجروح ، ولايقال : جريح)[3].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز الإيداع الرسائل الجامعية

٢-فعل – بكسر الفاء وسكون العين –:

من ذلك : علم ، وشرب ، وذبح ، ونقض ؛ وهذه الألفاظ بمعنى : معلوم ، ومشروب، ومذبوح ، ومنقوض . ففي قوله تعالى : (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ) (البقرة : ٢٥٥) يبين القرطبي دلالة نيابة (علم) عن (معلوم) بما هو موافق لسياق الآية ؛ قائلاً[4] :((العلم هنا بمعنى المعلوم[5] ؛ أي لا يحيطون بشيء من معلوماته ؛ وهذا كقول الخضر لموسى عليه السلام حين نقر العصفور في البحر : ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر . فهذا وما شاكله راجع إلى المعلومات ؛ لأن علم الله سبحانه وتعالى الذي هو صفة ذاته لا يتبعض . ومعنى الآية : لا معلوم لأحد إلا ماشاء الله أن يعلمه)).

([1]) ينظر : ظاهرة النيابة في العربية : ٣١٧.

([2]) معاني الأبنية في العربية : ٦١.

([3]) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : ١٠٦.

([4]) الجامع : ٢٧٤/٣.

([5]) ينظر البرهان في علوم القرآن : ٣٠٢/٢، والاتقان في علوم القرآن : ١١٦/٣.

وعند قوله جل وعلا: (فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ) (الواقعة : ٥٥) يشير القرطبي إلى اختلاف الدلالة في لفظة (شرب) بفتح الشين وضمها وكسرها . فالفتح : هو المصدر الصريح ؛ لأن كل مصدر من ذوات الثلاثة فأصله (فعل) ؛ لأنك إذا رددته إلى المرة الواحدة تفتح الفاء ، فتقول : فعلة ؛ نحو : شربة ؛ والضم كذلك يعد مصدراً ، أما الشرب بكسر الشين فإنه بمعنى المشروب ، كالطحن بمعنى المطحون[١] .

إن نيابة (فعل) عن (مفعول) قياسية ، يقول ابن القيم[٢] : ((الشرب بالضم هو المصدر ، وأما المشروب فهو الشرب بكسر الشين ، قال تعالى في الناقة : (لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) (الشعراء : ١٥٥) ، فهذا هو المشروب ، كما تقول : قسم من الماء وحظ ونصيب تشربه في يومها ، ولكم حظ وقسم تستوفونه في يومكم ؛ وهذا هو القياس في الباب كالذبح بمعنى المذبوح ، والطحن للمطحون ، والحب للمحبوب ، والحمل للمحمول ، والقسم للمقسوم ، والعرس للزوجة التي قد عرس بها ، ونظائره كثيرة جداً)).

ومنه (الذبح) في قوله سبحانه : (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) (الصافات : ١٠٧) فهو بالكسر بمعنى المذبوح ، وبالفتح المصدر[٣] .

وقد تضاف إلى هذه الصيغة التاء ، نحو : (عدة) في قوله جل وعلا : (فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) (البقرة : ١٨٤) (والعدة فعلة من العد ، وهي بمعنى المعدود ؛ كالطحن بمعنى المطحون، تقول: أسمع جعجعة ولا أرى طحناً)[٤].

٣-فعل – بضم الفاء وسكون العين –:

من ذلك (سؤل) في قول الله تعالى : (قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى) (طه : ٣٦) ، جاء في الجامع[٥] : ((السؤل: الطلبة ، فعل بمعنى مفعول[٦] ، كقولك : خبز بمعنى مخبوز، وأكل بمعنى مأكول)) .

([1]) ينظر : الجامع : ١٧/٢٠٦-٢٠٧.

([2]) بدائع الفوائد : ٢/٢٢٨-٢٢٩.

([3]) ينظر الجامع : ١٥/١٠٦.

([4]) نفسه : ٢/٢٨٣-٢٨٤.

([5]) نفسه : ١١/٢٠٥-٢٠٦.

([6]) ينظر التبيان في إعراب القرآن : ٢/١٨٣، ومعاني الأبنية في العربية : ٦٧.

وتأتي بعض الأمثلة المصوغة على هذه الصيغة مزيداً في آخرها تاء (فعلة) فتكون بمعنى (مفعول)[1] أيضاً ؛ وهذه الصيغة كثيراً ما تكون بهذا المعنى ، كالسبة ، والضحكة ، واللعنة ؛ فإذا فتح عينها كانت بمعنى الفاعل ، وكلتاهما للمبالغة[2] . من ذلك (الهمزة واللمزة) ، ففي معرض الحديث عن قوله تبارك وتعالى : (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) (الهمزة:١) يقول القرطبي[3] : ((الهمزة : اسم وضع للمبالغة في هذا المعنى ؛ كما يقال : سخرة وضحكة : للذي يسخر ويضحك بالناس . وقرأ أبو جعفر محمد بن علي والأعرج ((همزة ولمزة)) بسكون الميم فيهما . فإن صح ذلك عنهما ، فهي في معنى مفعول ، وهو الذي يتعرض للناس حتى يهمزوه ويضحكوا منه ، ويحملهم على الاغتياب)) . وكذا (غرفة)[4] و (حجرة)[5].

٤-فعل – بفتح الفاء وسكون العين – :

من ذلك : زبر ، وأمر ، وخلق . وهي بمعنى مزبور ، ومأمور ، ومخلوق ، (وفعل صيغة منقولة من باب المصدر للنيابة عن مفعول في هذا المعنى)[6].

ففي قوله سبحانه : (وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا) (النساء : ١٦٣) يوضح القرطبي هذا المعنى ، قائلاً[7] : ((الزبور : كتاب داود .. ،والزبر : الكتابة ... وزبر بمعنى مزبور ؛ كما يقال : هذا الدرهم ضرب الأمير ؛ أي مضروبه)) .

ومنه (أمر) في قوله عز من قائل : (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً) (النساء : ٤٧) (يراد بالأمر: المأمور ؛ فهو مصدر وقع موقع المفعول[8] ؛ فالمعنى : أنه متى أراده أوجده)[9] . وكذا (خلق) في قوله تعالى : (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)

---

(1) ينظر إسفار الفصيح : ٦٩٥/٢، وظاهرة النيابة في العربية : ٣١٩.

(2) ينظر شرح الشافية ١٦٢/١.

(3) الجامع : ١٨٢/٢٠.

(4) نفسه : ٢٥٠/٣.

(5) نفسه : ٢٩٥/١٦-٢٩٦.

(6) ظاهرة النيابة في العربية : ٣١٨، وينظر كتاب سيبويه ٤٣/٤، والمخصص : ١٥٦/١٤.

(7) الجامع : ٢٠/٦.

(8) ينظر تفسير الطبري : ١٥١/٥.

(9) الجامع : ٢٤٧/٥.

(لقمان : ١١) قال القرطبي[١] : ((الخلق بمعنى المخلوق ؛ أي هذا الذي ذكرته مما تعاينون " خلق الله " ؛ أي مخلوق الله ؛ أي خلقها من غير شريك)) .

ونيابة المصدر عن صيغة المفعول – مع اختلاف صيغة المصدر – يراد به دلالة المبالغة[٢] ؛ من ذلك المصدر (كذب) في قوله سبحانه : (وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) (يوسف : ١٨) قال القرطبي[٣] : ((أي جاءوا على قميصه بدم مكذوب فيه ، فوصف الدم بالمصدر[٤] ... والفاعل والمفعول قد يسميان بالمصدر ، يقال : هذا ضرب الأمير ؛ أي مضروبه ، وماء سكب ؛ أي مسكوب ، وماء غور ؛ أي غائر ، ورجل عدل أي عادل)).

ومن المصادر التي نابت عن اسم المفعول ، المصدر (قرآن) في قوله سبحانه : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) (البقرة : ١٨٥) فقد أشار القرطبي في أثناء حديثه عن معنى هذه الآية إلى مصدرية هذه اللفظة (قرآن) وإلى نيابتها عن اسم المفعول، قائلاً[٥] : ((القرآن : اسم لكلام الله تعالى ، وهو بمعنى المقروء ، كالمشروب يسمى شراباً، والمكتوب يسمى كتاباً ؛ وعلى هذا قيل : هو مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآنا بمعنى . قال الشاعر[٦] :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

([1]) الجامع : ١٤/٦٠.

([2]) ينظر النيابة النحوية في القرآن الكريم : ٥٠.

([3]) الجامع : ٩/١٥٣.

([4]) جاء في التفسير الكبير لفخر الدين الرازي : ((قال أصحاب العربية وهم الفراء والمبرد والزجاج وابن الأنباري : (بدم كذب) ؛ أي مكذوب فيه ؛ إلا أنه وصف بالمصدر على تقدير دم ذي كذب ، ولكنه جعل نفسه كذباً للمبالغة ؛ قالوا : والمفعول والفاعل يسميان بالمصدر ، كما يقال : ماء سكب ؛ أي مسكوب ، ودرهم ضرب الأمير ، وثوب نسج اليمن . والفاعل كقوله : (إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً) ورجل عدل ، وصوم ، ونساء نوح ؛ ولما سميا بالمصدر ، سمي المصدر أيضاً بهما ، فقالوا : للعقل المعقول ، وللجلد المجلود ، ومنه قوله تعالى : (بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) وقوله : (إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ)))، ١٨/١٠٤-١٠٥، وينظر : معاني القرآن للفراء : ٢/٣٨ ، والكامل ١/١٥٦، وإسفار الفصيح : ١/٣١١، والمخصص : ١٤/١٥٦، والبرهان في علوم القرآن : ٢/٣٠٢، والإتقان في علوم القرآن : ٣/١١٦.

([5]) الجامع ٢/٢٩٩-٣٠٠.

([6]) سبق تخريجه في الهامش (٢) من ص(٤٠).

أي : قراءة ... وفي التنزيل : (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودا) (الإسراء : ٧٨) أي قراءة الفجر . ويسمى المقروء قرآناً على عادة العرب في تسميتها المفعول بالمصدر ، كتسميتهم للمعلوم علماً ، وللمضروب ضرباً، وللمشروب شرباً ، كما ذكرنا ؛ ثم اشتهر الاستعمال في هذا واقترن به العرف الشرعي ، فصار القرآن اسماً لكلام الله ، حتى إذا قيل : القرآن غير مخلوق ؛ يراد به المقروء لا القراءة لذلك . وقد يسمى المصحف الذي يكتب فيه كلام الله قرآناً توسعاً)).

ومن صيغ المصادر النائبة عن اسم المفعول ، ما كان على وزن (فعال)[1] كإله بمعنى مألوه – أي معبود–، وكتاب بمعنى مكتوب[2] ، ومنه (حساب) فهو مصدر كالمحاسبة ، وقد يسمى المحسوب حساباً[3] ؛ أي ينوب عنه .

ومن المصادر (أمانة) في قوله سبحانه : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) (النساء : ٥٨) ، والأمانة مصدر بمعنى المفعول ؛ فلذلك جمع[4] .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٥–فاعل :

قد ينوب اسم الفاعل عن اسم المفعول في سياق ما ، فيحمل النائب (اسم الفاعل) دلالة المنوب عنه (اسم المفعول) من حيث المعنى ؛ ومما جاء في القرآن من ذلك ، وتنبه إليه القرطبي ؛ قوله سبحانه : (خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ) (الطارق : ٦) جاء في الجامع[5] : ((الدفق : صب الماء ؛ دفقت الماء أدفقه دفقاً ؛ صببته ، فهو ماء دافق ؛ أي مدفوق[6] ، كما قالوا : سر كاتم ؛ أي مكتوم ؛ لأنه من قولك : دفق الماء ، على مالم يسم فاعله . ولا يقال : دفق الماء)).

---

(1) ينظر : معاني الأبنية في العربية : ٧٠، وظاهرة النيابة في العربية : ٣٢٦.

(2) ينظر : بصائر ذوي التمييز : ١٤/٢.

(3) ينظر : الجامع : ٤٢٥/٢.

(4) نفسه : ٢٥٩/٥.

(5) نفسه : ٨/٢٠.

(6) ينظر : إسفار الفصيح : ٤١٩/١، والبرهان : ٣٠٠/٢، وبصائر ذوي التمييز : ٦٠٤/٢، والاتقان : ١١٧/٣.

ومنه (سائبة) في قول الله تبارك وتعالى : (مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ) (المائدة :١٠٣) فقد أورد القرطبي معاني لها[١] ، كلها تدل على أنها بمعنى مسيبة[٢] ؛ ومن هذه المعاني أنها : (هي المخلاة لا قيد عليها ، ولا راعي لها ، فاعل بمعنى مفعول)[٣] . وكذا (راضية) في قوله تعالى : (فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) (الحاقة : ٢١) ؛ أي مرضية[٤] ، و(الحافرة) في قوله جل وعلا : (يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ) (النازعات : ١٠) (قيل : الحافرة ؛ الأرض التي تحفر فيها قبورهم ، فهي بمعنى المحفورة)[٥].

أما (المائدة) في قوله تعالى : (اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ) (المائدة : ١١٤) فقد ذكر القرطبي في معناها وجهين :

-الوجه الأول : أن تكون على أصلها بمعنى اسم الفاعل ، فهي فاعلة من قولهم : ماد عبده ؛ إذا أطعمه وأعطاه ، فالمائدة هي المطعمة والمعطية الآكلين الطعام ؛ وقد يسمى الطعام – تجوزاً – مائدة ؛ لأنه يؤكل على المائدة ، كقولهم للمطر سماء . ويرى أهل الكوفة أن المائدة سميت بذلك لحركتها بما عليها ؛ من قولهم : ماد الشيء إذا مال وتحرك[٦] ؛- فهي هنا أيضاً على معناها الأصلي – .

-الوجه الثاني : (أن المائدة كل شيء يمد ويبسط ، مثل المنديل والثوب ، وكان حقه أن تكون مادة الدال مضعفة ؛ فجعلوا إحدى الدالين ياء فقيل : مائدة[٧] ؛ والفعل واقع

([1]) ينظر الجامع : ٦/٣١٥-٣١٦.

([2]) قال العكبري في التبيان في إعراب القرآن : ((قيل : هي فاعلة بمعنى مفعولة ؛ أي مسيبة)) ١/٣٤٦.

([3]) الجامع : ٦/٣١٦.

([4]) نفسه : ١٨/٢٥٩، وينظر المخصص : ١٥/٧٠.

([5]) الجامع : ١٩/١٨٩.

([6]) نفسه : ٦/٣٤٤-٣٤٥.

([7]) يقصد بذلك أن وزن (فاعلة) من مد : (مادة) فأبدلوا إحدى الدالين ياء ، فقيل : مايدة ، ثم قلبت الياء همزة فصارت : (مائدة).

به ، فكان ينبغي أن تكون ممدودة ، ولكن خرج في اللغة مخرج فاعل[1] ، كما قالوا : سر كاتم ، وهو مكتوم ؛ وعيشة راضية ، وهي مرضية)[2].

ومثل ذلك (عاصم) في قوله جل في علاه : (لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّه) (هود: ٤٣) فإن فيه وجهين[3] :

-أن يكون اسم فاعل على أصله ، والمعنى : لامانع من أمر الله ؛ فإنه يوم حق فيه العذاب على الكفار .

-أن يكون عاصم بمعنى معصوم ، ومنه قوله تعالى : (مَاءٍ دَافِقٍ) ، وقول الشاعر:

بطيء القيام رخيم الكلا م أمسى فؤادي به فاتنا

أي : مفتوناً . وقال الآخر :

دع المكارم لا تنهض لبغيتها واقعد ؛ فإنك أنت الطاعم الكاسي

أي : المطعم[4] المكسو .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٦-فعول :

تأتي (فعول) في استعمالات معينة بمعنى (مفعول)[5] . من ذلك (ركوب) في قوله سبحانه : (فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ) (يس : ٧٢) (أي مركوبهم ، كما يقال : ناقة حلوب ؛ أي محلوب)[6] وكذا (الزبور بمعنى المزبور ؛ أي المكتوب ، كالرسول والركوب

([1]) ينظر أمثلة لذلك في : ليس في كلام العرب : ٣١٧، والخصائص : ١٥٣/١-١٥٤، وإسفار الفصيح : ٤١٩/١ ، والبرهان : ٣٠٠/٢، والإتقان : ١١٧/٣، والمزهر : ٨٩/٢.

([2]) الجامع ٣٥٠/٦.

([3]) ينظر الجامع : ٤٣/٩.

([4]) جاء في الجامع (المطعوم) ، والصواب ما أثبته ؛ لأن المطعوم يدل على الشيء الذي يطعم ، يقال : طعم الأكل ، فهو مطعوم ، والمعنى في البيت يدل على أن الممدوح شخص يطعمه الآخرون ويكسونه ، فيقال : أطعم فلان وكسي فهو المطعم المكسو .

([5]) ينظر إصلاح المنطق ٣٥٨، ودقائق التصريف ٧٥ وظاهرة النيابة في العربية : ٣٢٤-٣٢٦، ومعاني الأبنية في العربية : ٦٨-٦٩.

([6]) الجامع : ٥٨/١٥، وينظر إسفار الفصيح ٩١٣/٢.

والحلوب)[1] . وقد تضاف إليه التاء ، فيقال : الحلوبة ، والركوبة ، والحمولة[2] ، بمعنى المحلوبة والمركوبة والمحمولة[3] .

ثانياً: النيابة عن اسم الفاعل : –

اسم الفاعل وصف يدل على الحدث والمحدث على سبيل التجدد والحدوث والانقطاع[4] ، وله من الثلاثي بناء واحد ، هو (فاعل) ومن غيره يأتي على وزن مضارعه المبني للمعلوم مع جعل الميم بدل حرف المضارعة .

وصفة الحدث فيه لا تكون ملازمة لصاحبها ؛ فإذا جاءت صيغة أخرى دالة على هذا الوصف ، منقولة من باب صرفي آخر ؛ فإنها تحمل دلالة اسم الفاعل بعد تجريدها من دلالتها التي كانت عليها في بابها ، وتعد بذلك نائبة عن اسم الفاعل.

ومن الصيغ التي نابت عن اسم الفاعل ، وأشار إليها القرطبي ، منها :

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الإلكترونية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

١–فعيل : قد يؤتى بصيغة (فعيل) في سياق ما دالة على معنى اسم الفاعل ، فتتخلى عن دلالتها التي كانت عليها في الأصل ؛ لتدل على اتصاف الذات بالحدث على سبيل التجدد والحدوث والانقطاع ، فتكون بذلك نائبة عن اسم الفاعل . من ذلك (ولي) في قوله تعالى : (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا) (البقرة : ٢٥٧) (الولي: فعيل بمعنى فاعل)[5] ؛ ومنه (الأمين) في قوله جل وعلا : (وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) (التين : ٣) يقصد بالأمين مكة ، سمي هذا البلد أميناً ؛ لأنه آمن ، كقوله سبحانه : (أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً) (العنكبوت: ٦٧) فالأمين بمعنى الآمن ، ومنه قول الشاعر :

ألم تعلمي يا أسم ويحك أنني حلفت يميناً لا أخون أميني

([1]) الجامع : ٢٠/٦.

([2]) نفسه : ١١١/٧، ١١٢.

([3]) ينظر شرح الفصيح : ٢٠٢، ٢٠٣.

([4]) ينظر ظاهرة النيابة في العربية : ٣٠٣.

([5]) الجامع : ٢٨٢/٣.

أي : آمني[1] .

وقد يحمل الأمين هنا على معنى المأمون ؛ لأنه يؤمن من دخل مكة من الغوائل ، فيكون فعيلاً بمعنى مفعول[2] .

ومن نيابة فعيل عن فاعل لفظة (رقيب) في قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) (النساء : ١) ؛ أي حافظاً فهو فعيل بمعنى فاعل[3] .

وفي (فعيل) النائبة عن (فاعل) معنى المبالغة ؛ من ذلك قراءة الكسائي وحمزة (قسية) في قوله سبحانه : (وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) (المائدة : ١٣) جاء في الجامع[4] : ((قسية بمعنى قاسية إلا أن فعيلة أبلغ من فاعلة)).

وقد ينوب (فعيل) عن اسم الفاعل (مفعل) من الفعل الرباعي (أفعل)[5] ، نحو : (أليم) في قوله تعالى:(وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (البقرة : ١٠) قال القرطبي[6] : ((أليم في كلام العرب معناه مؤلم[7] ؛ أي موجع ، مثل السميع بمعنى المسمع[8] ؛ قال ذو الرمة يصف إبلاً[9] :

ونرفع من صدور شمر دلات ... يصك وجوهها وهج أليم))

وكذا (صريخ) بمعنى (مصرخ)[10] ، و (نكير) بمعنى (منكر)[11] .

وقد تأتي (فعيل) في سياق ما نائبة عن اسم الفاعل من الثلاثي أو الرباعي بحسب دلالة التركيب الجملي الذي يحتمل فيه المعنيان ؛ من ذلك لفظة (حكيم) في قوله تعالى : (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (البقرة : ٣٢) يقول القرطبي[12] : ((الحكيم معناه الحاكم [1]،

([1]) ينظر الجامع: ١١٤/٢٠.

([2]) ينظر فتح القدير : ٥٨٣/٥.

([3]) ينظر الجامع : ١٢/٥.

([4]) نفسه : ١١٦/١٦، وينظر التبيان في إعراب القرآن : ٣٢١/١.

([5]) ينظر : أمثلة لذلك في : الكامل : ٢٦٠/١، والصاحبي : ٢٣٦، وإسفار الفصيح : ٨٦٧/٢، والبرهان : ٣٠١/٢.

([6]) الجامع : ٢١٦/١.

([7]) ينظر الصحاح (ألم).

([8]) ينظر بصائر ذوي التمييز : ٢٦٠/٣.

([9]) سبق تخريجه في الهامش (٦) من ص (٤٤).

([10]) ينظر الجامع : ٣٨/١٥.

([11]) نفسه : ٤٦/١٦.

([12]) نفسه : ٣٠١/١.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

([1]) ينظر الكامل ٩٧/١.

وبينهما مزيد مبالغة . وقيل معناه المحكم[1] ، ويجيء الحكيم على هذا من صفات الفعل ، صرف عن مفعل إلى فعيل ، كما صرف عن مسمع إلى سميع ومؤلم إلى أليم)) .

وتنوب (فعيل) عن اسم الفاعل من الرباعي (فاعل) لتدل (على معنى اسم الفاعل من اتصاف الذات بالحدث على سبيل التجدد والحدوث ، وللدلالة على معنى المشاركة المستفاد من صيغة الأصل مفاعل)[2] ؛ من ذلك لفظة (وزير) في قوله تعالى : (وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي) (طه : ٢٩) (والوزير : المؤازر ، كالأكيل للمؤاكل ؛ لأنه يحمل عن السلطان وزره أي ثقله)[3].

ومنه (النجي) فهو فعيل بمعنى مفاعل ؛ أي المناجي[4] ، وكذا (خصيم) في قوله سبحانه : (وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً) (النساء : ١٠٥) فهو بمعنى مخاصم ؛ أي مجادل[5].

ومن المهم أن أشير هنا إلى أن فعيلا قد تأتي في سياق ما يحتمل فيه تقديرها بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول[6] ، وهذا ما تنبه إليه القرطبي في تفسيره ، وأشار إليه كثيراً.

من أمثلة ذلك ، قوله سبحانه وتعالى : (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ) (يونس: ١) ففي لفظة (حكيم) في هذه الآية معان ،ولكل معنى منها نيابة خاصة بينها القرطبي ؛ فالحكيم[7] :

أ-بمعنى المحكم – فعيل بمعنى مفعل – ؛ أي المحكم بالحلال والحرام والحدود والأحكام.

ب-بمعنى الحاكم – فعيل بمعنى فاعل – ؛ أي إنه حاكم بالحلال والحرام ، وحاكم بين الناس بالحق ؛ دليله قوله تعالى : (وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ) (البقرة : ٢١٣).

([1]) ينظر التبيان في إعراب القرآن : ٤٦/١.

([2])ظاهرة النيابة في العربية : ٣٢٩.

([3]) الجامع : ٢٠٣/١١.

([4]) نفسه : ٢٤٦/٩.

([5]) نفسه : ٣٧٦/٥ وينظر التبيان في إعراب القرآن : ٢٩٥/١.

([6]) ينظر كتاب : جدل اللفظ والمعنى للدكتور مهدي أسعد عرار : ٢٣٨.

([7]) ينظر الجامع : ٢٨٤/٨(بتصرف).

ج-بمعنى المحكوم – فعيل بمعنى مفعول – ؛ أي حكم الله فيه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وحكم فيه بالنهي عن الفحشاء والمنكر ، وبالجنة لمن طاعه ، والنار لمن عصاه.

د-بمعنى المحكم – فعيل بمعنى مفعل – ؛ أي المحكم من الباطل ، لا كذب فيه ولا اختلاف ، كقول الأعشى يذكر قصيدته التي قالها :

وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها

أي : محكمة .

ونحو هذا الاحتمال في صيغة (فعيل) ، لفظة (المسيح) في الآية (٤٥) من سورة آل عمران ، يقول القرطبي[1] : ((واختلف في المسيح ابن مريم مماذا أخذ ؟ فقيل : لأنه مسح الأرض ؛ أي ذهب فيها فلم يستكن بكن[2] . وروي عن ابن عباس : أنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برئ ؛ فكأنه سمي مسيحاً لذلك ؛ فهو على هذا فعيل بمعنى فاعل . وقيل : لأنه ممسوح بذهن البركة ، كانت الأنبياء تمسح به ، طيب الرائحة ؛ فإذا مسح به علم أنه نبي. وقيل : لأنه كان ممسوح الأخمصين . وقيل : لأن الجمال مسحه ، أي أصابه وظهر عليه. وقيل : إنما سمي بذلك ؛ لأنه مسح بالطهر من الذنوب[3])).

ومن ذلك لفظة (حفيظ) في قوله تعالى : (وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ) (ق : ٤) (أي بعدتهم وأسمائهم ، فهو فعيل بمعنى فاعل . وقيل اللوح المحفوظ ؛ أي محفوظ من الشياطين ، أو محفوظ فيه كل شيء)[4] ، فهو على هذا فعيل بمعنى مفعول .

إن مجيء صيغة (فعيل) في هذه الآية ، إنما ليثبت (كلا المعنيين: كونه حافظاً ، وكونه محفوظاً ؛ وذلك لأنه إذا كان المراد هو إثبات كونه حافظاً ؛ فإن مما يتم به المعنى أن يكون الكتاب محفوظاً كذلك من التغيير والتبديل ؛ إذ لا يتم الحفظ إلا بذلك . ومن ثم

([1]) الجامع : ٤/٩٥.

([2]) أي لم يستتر في مكان معين ، ويجعله مستقراً له.

([3]) فهو على هذه الأربعة الأقوال الأخيرة ، فعيل بمعنى مفعول .

([4]) الجامع : ١٧/٨.

نرى أن اختيار القرآن الكريم للصيغة ذات المعنى المتعدد على بدائلها ذات المعنى الواحد ، يعد من الأدلة الواضحة على الإعجاز البياني لهذا الكتاب الخالد)[1].

ولكي لا أطيل في هذا المقام سأذكر اللفظة المحتملة للمعنيين ثم أحيل في الهامش إلى تفصيل احتمال نيابتها عن ذينك المعنيين: اسم الفاعل أو اسم المفعول ، من ذلك :

-كظيم ، في الآية (٨٤) من سورة يوسف ؛ بمعنى كاظم أو مكظوم[2] .

-رضي ، في الآية (٦) من سورة مريم ؛ بمعنى راض أو مرضي[3] .

-صريم ، في الآية (٢٠) من سورة القلم ؛ بمعنى صارم أو مصروم[4] . وكذا : خليل ، وحسير ، وخليفة ، ونطيحة ، وحليلة[5] .

وكما جاءت (فعيل) محتملة نيابتها عن فاعل أو مفعول ، كذلك جاءت (فعول) . من ذلك (حصور) في قوله تعالى : (أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً) (آل عمران : ٣٩) ، فلفظة (حصور) التي على وزن (فعول) تحتمل معنيين في هذا السياق[6] :

-أحدهما : أن حصوراً أصله من الحصر وهو الحبس ، والحصور الذي لا يأتي النساء ؛ كأنه محجم عنهن ، فمنع مما يكون في الرجال ؛ وهو على هذا فعول بمعنى مفعول.

-الثاني: هو الذي يكف عن النساء ، ولا يقربهن مع القدرة ، أي يحصر نفسه عن الشهوات فيكون على هذا فعولاً بمعنى فاعل.

ومنه (الودود) في قوله تعالى : (وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ) (البروج : ١٤) فقد ذكر القرطبي في تأويل معناه أقوالاً منها[7] :

---

(1) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : ١٤٠.

(2) ينظر الجامع : ٩/٢٥٣-٢٥٤.

(3) نفسه : ١١/٨٧.

(4) نفسه : ١٨/٢٣٢.

(5) ينظر على التوالي الآيات : النساء : ١٢٥/ الملك : ٤/ البقرة : ٣٠/ المائدة : ٣/ النساء : ٢٣؛ وينظر على التوالي في الجامع : ٥/٣٩٩، ١٨/٢٠٠، ١/٢٧٩، ٦/٥٢، ٥/١٢٠.

(6) ينظر الجامع : ٤/٨٣-٨٤.

(7) نفسه : ١٩/٢٨٢-٢٨٣.

-إن الودود بمعنى المحب لأوليائه والمتودد إليهم ، وقيل : الواد لهم ، فهو فعــول بمعنى فاعل.

-إنه بمعنى المودود ؛ أي الذي يوده عباده الصالحون ، ويحبونه ؛ فهو فعول بمعنى مفعول ، كالركوب والحلوب .

٢-المصدر : -

ينوب المصدر عن اسم الفاعل أحياناً ، فيكون بهذه النيابة دالاً على الحدث وصاحبه، بعد أن كان في أصل وضعه يدل على مطلق الحدث .

ومن الأمثلة المحمولة على هذه النيابة[١] ، والتي وردت في تفسير القرطبي ، قوله تعالى : (أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً) (الكهف : ٤١) (أي غائراً ذاهباً ، فتكون أعــدم أرض بعد أن كانت أوجد أرض. والغور مصدر وضع موضع الاسم[٢] ؛ كما يقال : رجل صــوم وفطر ، وعدل ، ورضا ، وزور ؛ ونساء نوح)[٣].

ومنه قوله سبحانه : (فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً) (الفرقان : ٧٧) القــراءة المتواترة والمثبتة في المصحف (لزام) بالكسر ، وقرئ (لزام) بفتح اللام ، فعلق القرطبي على القراءتين بقوله[٤]: ((واللزام بالكسر مصدر لازم لزاماً ، مثل خاصم خصاماً ، واللزام بالفتح مصدر لزم مثل سلم سلاماً؛ أي سلامة ، فاللزام بالفتح اللزوم ، واللزام الملازمة ؛ والمصدر في القراءتين وقع موقع اسم الفاعل ، فاللزام وقع موقع ملازم ، واللــزام وقــع موقع لازم)) . ونحو ذلك (البر)[٥] و(الكره)[٦] .

([1]) ينظر أمثلة لذلك في : كتاب سيبويه : ٤٣/٤، والكامل : ١٥٦/١، والخصائص : ٢٠٢/٢-٢٠٧+٢٥٩/٣، والمخصص: ١٥٦/١٤، وشرح القصيح : ١١٥ ، وشرح الشافية : ١٧٦/١.

([2]) يقصد بذلك اسم الفاعل .

([3]) الجامع : ٤١٨/١٠.

([4]) نفسه : ٩٣/١٣.

([5]) نفسه : ٢٤٤/٢.

([6]) نفسه : ١٣٦/٤.

والوصف بالمصدر النائب عن اسم الفاعل إنما يأتي لدلالة المبالغة جاء في الجامع في تفسير قوله سبحانه: (إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً) (الملك : ٣٠)[١] : ((الغور : الغائر؛ وصف بالمصدر للمبالغة)) ؛ وكذا في الآية : (وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً) (الإسراء : ٣٧) أشار القرطبي إلى أن قولك : جاء زيد ركضاً ، أبلغ من قولك : جاء زيد راكضاً ؛ ومجيء المصدر (مرحاً) في الآية أبلغ من مجيء اسم الفاعل[٢] .

٣-مفعول :

مر معنا أن صيغة فاعل تنوب عن اسم المفعول ، فتحمل دلالته ، وكذلك العكس هنا ، حيث جاءت في اللغة استعمالات ناب فيها اسم المفعول عن اسم الفاعل ، فحمل النائب دلالة الصيغة المنوب عنها في السياق ؛ يقول القرطبي[٣] : ((خرج في اللغة ماهو فاعل مخرج مفعول ، فقالوا : رجل مشئوم ؛ وإنما هو شائم ، وحجاب مستور ؛ وإنما هو ساتر)).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

ومن أمثلة هذه النيابة في الجامع :

-لفظة (ميسور) في قول الله تعالى : (فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً) (الإسراء : ٢٨) (أي ليناً لطيفاً طيباً ، مفعول بمعنى فاعل ، من لفظ اليسر كالميمون ؛ أي وعداً جميلاً)[٤].

-لفظة (مأتي) في قوله سبحانه : (إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً) (مريم : ٦١) فقد ألمح القرطبي في تأويل (مأتيا) إلى دلالتين ، هما[٥] :

أ-أنه باق على أصله ، فهو اسم مفعول ؛ لأن الوعد ها هنا الموعود وهو الجنة ؛ أي يأتيها أولياؤها . وكل ما وصل إليك فقد وصلت إليه ، تقول : أتت علي ستون سنة ، وأتيت على ستين سنة .

ب-أن مأتياً بمعنى آت ، فهو مفعول بمعنى فاعل[٦].

---

(1) الجامع ٢١٣/١٨.

(2) نفسه : ٢٦٦/١٠.

(3) نفسه : ٣٥٠/٦.

(4) نفسه : ٢٥٤/١٠.

(5) نفسه : ١٣٢/١١.

(6) ينظر مثل هذا التأويل في : التبيان في إعراب القرآن : ١٧٣/٢، والبرهان في علوم القرآن : ٣٠٠/٢، والإتقان في علوم القرآن : ١١٧/٣.

وعلى هذا فإن النيابة تكون في التأويل الثاني . ونحو ذلك (مستور) في قوله جل وعلا : (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً) (الإسراء: ٤٥) فيه قولان[١] :

أحدهما : إن الحجاب مستور عنكم لا ترونه .

الثاني: إن الحجاب ساتر عنكم ماوراءه ، ويكون مستور بمعنى ساتر[٢] .

في القول الأول يكون الوصف (مستور) باقياً على أصله (فهو اسم مفعول تأصيلاً واستخداماً في هذا السياق ، فكأنه مستور عن أعين الكفار ، أو هو حجاب من دونه حجاب، فهو مستور بغيره)[٣] . أما القول الثاني ففيه نيابة مفعول عن فاعل .

-لفظة(مسحور) في قوله تعالى:(إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً) (الإسراء:١٠١) فقد نقل القرطبي عن الفراء وأبي عبيدة أن مسحوراً هنا بمعنى ساحر ؛ والمعنى : أي ساحر بغرائب أفعالك ؛ ثم علق القرطبي على هذا التأويل قائلاً [٤]: ((فوضع المفعول موضع الفاعل ، كما تقول : هذا مشئوم وميمون ؛ إي شائم ويامن)) .

-لفظة(موفور)في قوله سبحانه:(فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً) (الإسراء:٦٣)؛ أي : وافراً [٥].

٤-أفعل :

أورد القرطبي في تفسيره مجيء صيغة (أفعل) بمعنى (فاعل) فتجردت بذلك عن معناها الأصلي (التفضيل) ،واكتست معنى الصيغة التي نابت عنها ؛ بيد أنه حين أعطى أمثلة على ذلك لم يميز فيها بين نيابة أفعل عن اسم الفاعل ، ونيابتها عن الصفة المشبهة؛ من ذلك (أهون) في قوله سبحانه : (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) (الروم : ٢٧) جاء في الجامع[٦] : ((أهون بمعنى هين ؛ لأنه ليس شيء

([1]) ينظر الجامع : ٢٧٥/١٠.

([2]) ينظر مثل هذا القول في : الصاحبي : ٢٣٧، والتبيان في إعراب القرآن ١٢٩/٢.

([3]) ظاهرة النيابة في العربية : ٣١٢.

([4]) الجامع : ٣٤٢/١٠.

([5]) نفسه : ٢٩٢/١٠.

([6]) نفسه: ٢٤/١٤.

أهون على الله من شيء . قال أبو عبيدة : ومن جعل أهون يعبر عن تفضيل شيء على شيء فقوله مردود بقوله تعالى : (وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً) (النساء : ٣٠) وبقوله: (وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا) (البقرة : ٢٥٥). والعرب تحمل أفعل على فاعل ، ومنه قول الفرزدق :

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

أي : دعائمه عزيزة وطويلة . وقال الآخر :

لعمرك ما أدري وإني لأوجل على أينا تعدو المنية أول

أراد : إنى لو جل . وأنشد أبو عبيدة أيضاً :

إني لأمنحك الصدود وإنني قسماً إليك مع الصدود لأميل

أراد : لمائل . وأنشد أحمد بن يحيى :

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد

أراد : بواحد . وقال آخر :

لعمرك إن الزبرقان لباذل لمعروفه عند الستين وأفضل

أي : وفاضل . ومنه قولهم : الله أكبر ، إنما معناه الله كبير)).

وتعليقاً على هذا النص نرى أن القرطبي قد أورد هذه المقولة وهي إن (العرب تحمل أفعل على فاعل) والظاهر منها أن أفعل نابت عن فاعل في الأمثلة السابقة . وفي تقديري أن الأمثلة الواردة في نص القرطبي حملت إحدى نيابتين ؛ نيابة أفعل عن اسم الفاعل أو نيابتها عن الصفة المشبهة ، وهذا الحمل يقدر بتقديرين :

-الأول : أن تكون النيابة محمولة على نيابة أفعل عن فاعل ؛ أما الألفاظ التي جاءت على صيغة الصفة المشبهة نحو : أهون بمعنى هين ، وأعز وأطول بمعنى عزيز وطويل ... إلى غير ذلك مما جاء في النص على صورة الصفة المشبهة ، فإن هذه الصيغة (فعيل) محمولة على فاعل ؛ لأنه لم يستعمل منها على صورة (فاعل) إلا في القليل النادر ، فهين وعزيز وطويل وكبير ، لا يقال فيها : هائن وعازز وطاول وكابر للدلالة على الفاعلية ، فعدل عن صورة (فاعل) إلى صورة (فعيل) .

-الثاني: أن تكون النيابة محمولة على نيابة أفعل عن الصفة المشبهة ، وما جاء من أمثلة في النص السابق من نيابة أفعل عن فاعل ، نحو أميل بمعنى مائل ، وأوحد

بمعنى واحد ، وأفضل بمعنى فاضل ، إنما هو من نيابة أفعل عن الصفة المشبهة ؛ إذ قد تأتي صيغة (فاعل) دالة على دوام الصفة وثبوتها ، نحو قولنا : (المؤمن التقي طاهر القلب) فطاهر وإن جاءت على صورة (فاعل) إلا أنها في هذا السياق دلت على الثبوت والدوام فهي صفة مشبهة ؛ وكذا : مائل، وواحد ، وفاضل .

والذي ترجح عندي من هذين التقديرين ،التقدير الثاني ، وهو أن أفعل نائب عن الصفة المشبهة في النص السابق ؛ لأن الأمثلة التي ورد فيها دلت على دوام الصفة وثبوتها ، لا على الحدوث والتجدد والانقطاع ، كما أن نصاً آخر ورد في تفسير القرطبي دعم هذا الترجيح ، فعند قوله سبحانه : (وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى) (الليل: ١٧) قال القرطبي[1] : ((الأتقى : أي المتقي الخائف ... وقال بعض أهل المعاني : أراد بقوله (الأتقى) و (الأشقى) ؛ أي التقي والشقي ، كقول طرفة :

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد

أي : واحد ، ووحيد؛ وتوضع أفعل موضع فعيل، نحو قولهم : الله أكبر بمعنى كبير ، (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) بمعنى هين)).

ونستخلص من هذا النص الآتي :

أ-أن (الأتقى) و (الأشقى) دالان على دوام الصفة وثبوتها ، إذ لا ينجو من النار إلا من ثبتت فيه صفة التقوى ودامت ، ولم تنقطع ؛ ولن يصلاها إلا من استمر بالشقاوة وثبتت هذه الصفة فيه على الدوام ، وهذا يدل على أن أفعل هنا ناب عن الصفة المشبهة .

ب-توجيه القرطبي بأن لفظة (أوحد) الواردة في الشاهد الشعري بمعنى واحد ووحيد يدل على نيابة أفعل عن فعيل ، وينضاف إلى ذلك ما دعمه القرطبي من تأكيد لهذا المعنى بقوله : (وتوضع أفعل موضع فعيل) . وهذا يدل على نيابة أفعل عن الصفة المشبهة .

وكذا الأمر في حديث القرطبي عن قوله سبحانه : (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ) (البقرة : ٣٠)،فقد ذكر القرطبي في معنى (أعلم) تأويلين[2] :

([1]) الجامع ٨٩/٢٠.

([2]) نفسه : ٢٩٢/١.

الأول : أنه فعل مستقبل (مضارع).

الثاني : أنه اسم بمعنى فاعل ، كما يقال : الله أكبر بمعنى كبير، وكما قال الشاعر :

لعمرك ما أدري وإني لأوجل على أينا تعدو المنية أول

وفي التأويل الثاني النيابة ؛ إلا أنها نيابة (أفعل) عن الصفة المشبهة ، لا عن فاعل كما ذكر القرطبي ؛ لأن (أعلم) هنا راجح نيابتها عن (عليم) لدلالتها في هذه الآية على الدوام والثبوت ، فهي بمعنى عليم أرجح من عالم[1] . أما (أوجل) في البيت الشعري فهي بمعنى (وجل)[2] ، فتكون صيغة (أفعل) فيما مضى نائبة عن الصفة المشبهة ، أوضح وأبين وأدل من نيابتها عن اسم الفاعل .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

([1]) ينظر ظاهرة النيابة في العربية : ٣٣٦.

([2]) هذا ما بينه القرطبي عند قوله سبحانه : ((وهو أهون عليه)) حيث قال معلقاً على صيغة أفعل في هذا البيت : (أراد : إني لوجل) ، ينظر ص (١٣٨) من هذا البحث .

المبحث الثاني

الصيغ النائبة عن المصدر

يدل المصدر على مطلق الحدث مجرداً من الزمان ، فإذا جاءت صيغة من باب صرفي آخر في سياق ما دالة على الحدث المطلق حسب ؛ فإنها تنوب عنه.

ومن أمثلة الصيغ النائبة عن المصدر ، التي جاءت في تفسير القرطبي ، نورد منها ما يأتي :

١-اسم الفاعل :

إذا ناب اسم الفاعل عن المصدر فإنه يتجرد عندئذ من الدلالة على الذات المحدثة ؛ ليدل على مطلق الحدث ، وهذه الدلالة لا تكون إلا في تركيب ما – وهذا هو حال النيابة بصورة عامة – ؛ إذ أن التركيب (هو الذي يحدد المعنى المراد عن طريق القرائن السياقية والمقامية التي لا تظهر إلا في حالة التركيب ومن ثم لا نستطيع أن نتبين المعنى المقصود من صيغة ما في حالة الإفراد)[١] .

ومن أمثلة نيابة اسم الفاعل عن المصدر ، لفظة (كاذبة) في قوله سبحانه : (لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ) (الواقعة : ٢) جاء في الجامع[٢] : ((الكاذبة مصدر بمعنى الكذب ، والعرب قد تضع الفاعل والمفعول في موضع المصدر[٣] ؛ كقوله تعالى : (لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً) (الغاشية :١١) أي لغو ، والمعنى : لا يسمع لها كذب ؛ قال الكسائي : ومنه قول العامة : عائذاً بالله ؛ أي معاذ الله ، وقم قائماً ؛ أي قم قياماً [٤]. ولبعض نساء العرب ترقص ابنها:

قم قائماً ، قم قائماً أصبت عبداً نائماً)).

([1]) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : ٥٠.

([2]) الجامع : ١٨٨/١٧.

([3]) ينظر أمثلة من نيابة اسم الفاعل عن المصدر في : الكامل : ١٥٦/١، والصاحبي : ٢٣٦، وشرح الشافية ١٧٦/١، والبرهان ٣٠١/٢، والإتقان ١١٦/٣، والكليات ٢٩٤.

([4]) قال المبرد : ((جاء اسم الفاعل على المصدر ، يقال : قم قائماً ، فيوضع في موضع قولك : قم قياماً)) ، الكامل : ١٥٦/١.

إن لفظة (كاذبة) في أصل وضعها وتركيبها تدل على الفاعلية ، فلو قلنا : (هذه امرأة كاذبة) لدلت (كاذبة) على معنى الحدث والحدوث والذات المحدثة ؛ أي على معنى الفاعلية ، أما في سياق الآية الماضية فإنها قد تجردت من معنى الفاعلية لتدل على مطلق الحدث، فتنوب بذلك عن المصدر في معناه . ومن ذلك قوله سبحانه : (فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ) (الحاقة : ٨) في تأويل (باقية) وجهان[١] :

أ-أي من فرقة باقية أو نفس باقية .

ب-أي من بقاء ، فاعلة بمعنى المصدر ، نحو : العاقبة والعافية .

على التقدير الأول تبقى (باقية) على أصلها من الفاعلية ، فقد وقعت في الآية صفة لموصوف محذوف . وفي التقدير الثاني تنوب عن المصدر فتدل على مطلق الحدث حسب.

جميع الحقوق محفوظة

٢-اسم المفعول :

من أمثلة ذلك قوله سبحانه : (بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) (القلم : ٦) (أي الفتنة ، وهو مصدر على وزن مفعول ، ويكون معناه الفتون[٢] ، كما قالوا : مالفلان مجلود ولا معقول ؛ أي عقل ولا جلادة .. قال الراعي :

حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحماً ولا لفؤاده معقولاً

أي : عقلاً)[٣].

ألمح القرطبي في هذا النص إلى نيابة اسم المفعول عن المصدر بما أورد من أمثلة ، فمجلود ومعقول اسما مفعول نابا عن مصدريهما ، أما قوله : (وهو مصدر على وزن مفعول) فإن هذا قول بعض النحويين من أن (مفعول) إذا دل على المصدر بالأصالة فإنه يكون وزناً من أوزان المصدر ؛ والذي يظهر في الألفاظ التي جاءت على وزن (مفعول) في الأمثلة السابقة أنها اسم مفعول تأصيلاً ، وليس من أوزان المصدر ، وقد حلت في هذه السياقات نائبة عن المصدر في حمل معناه[٤].

([1]) ينظر الجامع : ١٨/٢٢٠.

([2]) ينظر التبيان في إعراب القرآن : ٢/٤٦٢.

([3]) الجامع : ١٨/٢٢٠.

([4]) ينظر تفصيل ذلك في : ظاهرة النيابة في العربية : ٣١٤-٣١٥.

٣-اسم المصدر :

يرى بعض الباحثين أن (المصدر كما هو معروف مدلوله الحدث ودلالته عن الحدث بنفسه ، في حين أن اسم المصدر يدل على الحدث بوساطة المصدر ؛ بمعنى أن المصدر هو معنى الحدث ومدلول اسم المصدر هو لفظ المصدر)[١] .

ويفترق – كذلك – اسم المصدر عن المصدر (بخلوه – لفظاً وتقديراً – من بعض ما في فعله دون تعويض ، كعطاء ؛ فإنه مساو لإعطاء معنى ، ومخالف له بخلوه من الهمزة الموجودة في فعله ، وهو خال منها لفظاً وتقديراً ، ولم يعوض عنها شيء)[٢].

وقد ينوب اسم المصدر عن المصدر إذا وضع في موضعه ، والشواهد على ذلك كثيرة في القرآن ؛ من ذلك قوله تعالى : (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً) (آل عمران : ٣٧) فقد ناب اسما المصدر (قبول ونبات) عن المصدرين (تقبل وإنبات)، وكذا قوله سبحانه:(وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً) (المائدة : ١٢)أي: إقراضاً ؛ ومنه قوله جل وعلا : (يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً) (النساء : ٦٠) أي : إضلالاً .

وفي قوله سبحانه : (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً) (نوح : ١٧) ذكر القرطبي ثلاثة أقوال في توجيه (نبات) في هذه الآية[٣] :

-الأول : إنه مصدر على غير المصدر[٤] ؛ لأن مصدره أنبت إنباتاً ؛ فجعل الاسم الذي هو النبات في موضع المصدر[٥] .

-الثاني : إنه مصدر محمول على المعنى ؛ أي أنبتكم من الأرض فنبتم نباتاً.

-الثالث : إنه مصدر صريح .

([1]) النيابة النحوية من خلال القرآن الكريم : ٥٨-٥٩.

([2]) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ٩٨/٣.

([3]) ينظر الجامع ٢٩٢/١٨-٢٩٣.

([4]) يقصد القرطبي بالمصدر على غير المصدر مصطلح (اسم المصدر) ، سيأتي تفصيل ذلك – بمشيئة الله سبحانه – في مبحث المصطلحات.

([5]) قال العكبري في التبيان : ((نباتاً : اسم للمصدر ، فيقع موقع إنبات)) ، ٤٦٨/٢، وينظر شرح الفصيح ١٥٥، وشرح الشافية ١٧٨/١، وبصائر ذوي التمييز ١٠/٥.

وعلى القول الأول تكون نيابة اسم المصدر عن المصدر ، والدلالة في هذه النيابة (التخفيف من عنصر الحدثية ... باستخدام اسم المصدر ، إعراضاً عن طغيان الحدثية)[1].

٤-المصدر الميمي :

من ذلك قوله تعالى : (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) (الإسراء : ٨٠) ، فالمدخل والمخرج مصدران ميميان نابا عن المصدر الصريح ، يقول القرطبي[2] : ((والمدخل والمخرج (بضم الميم) بمعنى الإدخال والإخراج ، كقوله : (وَأَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً) (المؤمنون : ٢٩) أي إنزالاً لا أرى فيه ما أكره . وهي قراءة العامة ، وقرأ الحسن وأبو العالية ونصر بن عاصم ((مدخل)) و ((مخرج)) بفتح الميمين بمعنى الدخول والخروج ، فالأول رباعي وهذا ثلاثي[3])).

ويدل استعمال المصدر الميمي نائباً عن المصدر الصريح (على الحدثية مع تحديد المكان الذي يحل فيه الحدوث)[4].

مركز إيداع الرسائل الجامعية

---

(1) النيابة النحوية من خلال القرآن الكريم ٥٩-٦٠.

(2) الجامع : ٣١٩/١٠.

(3) جاء في الكشاف : ((قرئ " مدخل ومخرج " بالضم والفتح بمعنى المصدر)) ٦٤٢/٢.

(4) النيابة النحوية من خلال القرآن الكريم : ٦٠.

المبحث الثالث

النيابة بين الإفراد والتثنية والجمع

وردت في القرآن الكريم ألفاظ مفردة استعملت في موطن المثنى أو الجمع ، وألفاظ دالة على جمع القلة في موطن الكثرة ، وأخرى من جموع الكثرة في موطن القلة ، وهذا التناوب بين الألفاظ – من حيث الإفراد والتثنية والجمع – له دلالات معينة مرتبطة بسياق الآية ؛ بل السورة كلها[1] ؛ ويمكن عد هذا التناوب من الناحية الصرفية نيابة ؛ لأن فيها وضع اللفظة في تركيب ما موضع لفظة أخرى من باب آخر ، فتحمل اللفظة النائبة دلالة المنوب عنها ؛ ومن أمثلة هذه النيابة في تفسير القرطبي :

جميع الحقوق محفوظة

١-نيابة المفرد عن الجمع :

من أمثلة ذلك ، قوله تعالى : (ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا) (الحج :٥) علل القرطبي مجيء (طفل) مفرداً في موطن الجمع ، قائلاً[2] : ((أي أطفالاً ، فهو اسم جنس . وأيضاً فإن العرب قد تسمي الجمع باسم الواحد ،

قال الشاعر :

يلحينني في حبها ويلمنني إن العواذل ليس لي بأمير

ولم يقل : أمراء . قال المبرد : هو اسم يستعمل مصدراً كالرضا ، والعدل ، فيقع على الواحد والجمع ، قال الله تعالى : (أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ) (النور : ٣١) ... ويقال : جارية طفل ، وجاريتان طفل ، وجوار طفل ؛ وغلام طفل ، وغلمان طفل. ويقال أيضاً: طفل ، وطفلة ،وطفلان ، وطفلتان ، وأطفال)).

إذاً علة مجيء (الطفل) مفرداً في الآية السابقة بما يأتي :

-أن كلمة (الطفل) اسم جنس ، فهو يشمل كل الأطفال ، ومثله قوله تعالى : (وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا) (الحاقة : ١٧) أي الملائكة فهو اسم جنس[3] .

([1]) ينظر أمثلة لذلك مع التحليل الدقيق في كتاب : بلاغة الكلمة في التعبير القرآني : ٧٨-٩٠.

([2]) الجامع : ١٦/١٢.

([3]) نفسه ٢٥٤/١٨.

-أن العرب من سننهم استعمال اللفظ المفرد في موطن الجمع[1] إذا أمن اللبس .

-أنه استعمل استعمال المصدر[2] ، والمصدر قد يأتي في سياق ما مفرداً دالاً على التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع .

ومن أمثلة نيابة المفرد عن الجمع[3] ، ما كان على وزن (فعيل) نحو ((نجي)) في قوله تعالى:(فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًا)(يوسف:٨٠)(هو واحد يؤدي عن الجمع)[4]. ومنه (ظهير) في قوله سبحانه : (وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) (التحريم :٤) ، جاء في الجامع[5] : ((ظهير : هو بمعنى الجمع ... ومعنى ظهير : أعوان ، وهو بمعنى ظهراء[6]، كقوله تعالى:(وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (النساء : ٦٩) . وقال أبو علي : قد جاء فعيل للكثرة كقوله تعالى:(وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا، يُبَصَّرُونَهُمْ..)(المعارج:١١،١٠))).

ومن ذلك (صديق) في قوله تعالى : (أَوْ صَدِيقِكُمْ) (النور : ٦١) (والصديق بمعنى الجمع ، وكذلك العدو ، قال الله تعالى : (فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي) (الشعراء : ٧٧) وقال جرير :

دعون الهوى ثم ارتمين قلوبنا ... بأسهم أعداء وهن صديق)[7] .

ونحو ذلك ، إفراد (المسكن) في قوله سبحانه : (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ) (سبأ : ١٥) ، فقد أشار القرطبي في إفراد (المسكن) إلى احتمالين[8] :

-الأول : أن يكون واحداً يؤدي عن الجمع .

-الثاني : أن يكون مصدراً لا يثنى ولا يجمع ، كما قال تعالى : (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ) (البقرة :٧) فجاء بالسمع موحداً.

وفي الاحتمال الأول النيابة ؛ وكذا (عدو) في قوله تعالى : (فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي) (الشعراء : ٧٧) قدرت في الجامع بتقديرين[1] :

([1]) ينظر : في فقه اللغة العربية : ٢٥٥.

([2]) قال الطبري في تفسيره : ((ووحد الطفل وهو صفة للجميع ؛ لأنه مصدر مثل : عدل وزور)) ، ١٣٩/١٧.

([3]) ينظر : ليس في كلام العرب : ١٤٩.

([4]) الجامع ٢٤٥/٩، وينظر التبيان في إعراب القرآن ٦٤/٢.

([5]) الجامع ١٨٣/١٨.

([6]) قال الطبري في تفسيره : ((والظهير في هذا الموضع بلفظ واحد في معنى الجمع، ولو أخرج بلفظ الجميع لقيل : الملائكة بعد ذلك ظهراء)) ١٨٣/٢٨.

([7]) الجامع ٣١٤/١٢.

([8]) نفسه ٢٧١/١٤.

-أنه واحد يؤدي عن الجمع[٢] .

-أنه محمول على النسب – أي ذوو عداوة –[٣].

ففي التقدير الأول دلالة النيابة ؛ ومنه (سامر) في قوله تعالى : (مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ) (المؤمنون : ٦٧) ففيه تأويلان[٤] :

-الأول : اسم مفرد بمعنى الجمع ؛ كالحاضر وهم القوم النازلون على الماء ، والباقر جمع البقر ، والجامل جمع الإبل ، ذكورتها وإناثها ، ومنه قوله تعالى : (ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً) ؛ أي أطفالاً .

-الثاني : وحد السامر وهو بمعنى السمار ؛ لأنه وضع موضع الوقت ؛ أي وقت سمركم .

جميع الحقوق محفوظة

٢-نيابة المفرد عن المثنى:

من أمثلة ذلك : (قعيد) في قول الله سبحانه : (إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ) (ق: ١٧) فقد نقل القرطبي آراء في إفراد قعيد مع أن الملكين المتلقيين اثنان من هذه الآراء[٥] :

أ-أن المراد : عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد ، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه.

ب-أن (قعيداً) أول ، أخر اتساعاً ، وحذف الثاني لدلالة الأول عليه.

ج-أن (قعيداً) واحد يؤدي عن الاثنين والجمع ولا حذف في الكلام.

وفي الرأي الثالث النيابة . جاء في التبيان[٦] : ((قعيد بمعنى (قعيدان) ، وأغنى الواحد عن الاثنين)) . ونحو هذه النيابة لفظة (رسول) في قوله سبحانه : (فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الشعراء : ١٦)[٧] .

([1]) نفسه ١١٧/١٣.

([2]) ينظر مثل هذا القول في تفسير الطبري ٩٩/١٩.

([3]) ينظر مثل هذا القول في التبيان في إعراب القرآن ٢٧١/٢.

([4]) ينظر الجامع ١٤٣/١٢-١٤٤.

([5]) نفسه ١٣/١٧-١٤.

([6]) التبيان في إعراب القرآن : ٤١٥/٢.

([7]) ينظر الجامع : ١٠١/١٣.

٣-النيابة في الجمع :

لجمع القلة أوزان أشهرها أربعة : أفعل نحو : أنجم وأبحر ، وأفعال ، نحو : أوصاف وأعناق ؛ وأفعلة نحو : أطعمة وأعمدة ، وفعلة نحو : فتية وصبية ؛ أما أبنية جموع الكثرة فكثيرة جداً تناهز أربعين بناءً [١].

والمراد بجمع القلة ما كان من الثلاثة إلى العشرة ، فإن زاد على ذلك فهو من جموع الكثرة[٢] ، إلا أنه قد يأتي في سياق ما جمع من جموع القلة حاملاً دلالة الكثرة ؛ من ذلك (أنفس) في قوله سبحانه:(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ) (البقرة : ٥٤) .

إن قوم موسى – بني إسرائيل – كثيرون ، إلا أنهم خوطبوا بقوله سبحانه : (إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) باستعمال جمع القلة (أنفس) في موضع الكثرة (نفوس) فحمل بذلك جمع القلة دلالة الكثرة[٣] ، يقول القرطبي[٤] : ((استغنى بالجمع القليل عن الكثير ؛ والكثير (نفوس) . وقد يوضع الجمع الكثير موضع جمع القلة ، والقليل موضع الكثرة[٥] ؛ قال الله تعالى : (ثَلاثَةَ قُرُوءٍ)[٦] (البقرة : ٢٢٨) وقال ، (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ)[٧] (الزخرف : ٧١))).

وقد ينوب الجمع عن المثنى وذلك نحو نيابة قلوب عن قلبين في قوله سبحانه : (إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) (التحريم : ٤) الخطاب موجه إلى أميي المؤمنين عائشة وحفصة رضي الله عنهما؛ فلم استعمل الجمع في موضع المثنى؟ يقول القرطبي[٨]:

---

(1) ينظر الصرف الوافي : ١٥٢-١٥٤.

(2) ينظر الجمل في النحو : ٣٧٢ ومعاني الأبنية في العربية :١٣٦.

(3) لعل مجيء جمع القلة في هذه الآية – والله أعلم – دلالة على التقليل من شأن بني إسرائيل واحتقارهم لما قاموا به من ظلم عظيم وهو الإشراك بالله تعالى ، باتخاذهم العجل .

(4) الجامع ٤٠٧/١.

(5) ينظر أمثلة لذلك في : الإتقان في علوم القرآن ١٢٠/٣.

(6) قروء على وزن (فعول) وهذا الوزن من أبنية جموع الكثرة إلا أنه وضع موضع القلة بإضافته إلى العدد ثلاثة ؛ وجمع القلة أقرؤ (أفعل) أو أقراء (أفعال) ؛ ينظر هذان الجمعان في الجامع ١١٧/٣.

(7) الأنفس على وزن (أفعل) من أبنية جموع القلة ، جاء في سياق هذه الآية ليدل على الكثرة (نفوس) ؛ لأن نفوس المؤمنين التي تشتهي ما في الجنة كثيرة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى .

(8) الجامع : ١٨٠/١٨.

((وقال : (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) ولم يقل : فقد صغى قلبا كما ، ومن شأن العرب إذا ذكروا الشيئين من اثنين جمعوهما ؛ لأنه لا يشكل)) .

وكذا وضع الأيدي موضع اليدين في قوله سبحانه : (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) (المائدة : ٣٨) ذكر القرطبي في ذلك أقوالاً هي[١] :

١-إن كل شيء موجود في خلق الإنسان إذا أضيف إلى اثنين جمع تقول : هشمت رؤوسهما وأشبعت بطونهما ومنه قوله تعالى : (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) ويجوز ذكر التثنية فيقال : فاقطعوا يديهما ، وقد جمع الشاعر بين اللغتين فقال :

ومهممين قذفين مرتين ظهراهما مثل ظهور الترسين[٢]

فقال (ظهراهما) على الأصل بالتثنية ، وقال (ظهور) على نيابة الجمع عن المثنى.

٢-إن هذا مما لا يشكل عند العرب.

٣-إن المفرد قد يجمع إذا أردت به التثنية ، فحكي عن العرب : وضعا رحالهما ، والمراد : رحلي راحلتيهما ، والمعني في هذه الآية قطع اليمين وحدها وهي مفرد فلما أريد تثنية اليمين جيء بالجمع .

٤-قيل المراد في الآية قطع الأيدي والأرجل ، فيعود قوله تعالى : ((أيديهما)) إلى أربعة وهي جمع في الاثنين ، وهما تثنية ، فيأتي الكلام على فصاحته ، ولو قال : فاقطعوا أيديهم لكان وجهاً ؛ لأن السارق والسارقة لم يرد بهما شخصين خاصة ، وإنما هما اسما جنس يعمان مالا يحصى .

إن في الأقوال الثلاثة الأولى احتمال نيابة الجمع عن المثنى ، أما القول الرابع فليس فيه دلالة النيابة لبقائه على الأصل في الدلالة على الجمع (الأيدي والأرجل) ، وإن كان هذا القول بعيداً عن معنى الآية التي جاء اللفظ فيها صريحاً بقطع اليد ، وقد ذكر القرطبي أن قطع اليد اليمنى أولاً لا خلاف فيه ؛ وإنما اختلفوا في السرقة الثانية أتقطع رجله اليسرى أم يده اليسر[٣] .

---

(1) ينظر الجامع : ٦/١٦٩ (بتصرف).

(2) سبق تخريجه في الهامش (٥) من ص (٤٢).

(3) ينظر الجامع ٦/١٦٧.

المبحث الرابع

الصيغ الفعلية المتناوبة

أشار القرطبي في تفسيره إلى مجيء بعض صيغ الأفعال دالة على صيغ أفعال أخرى، وذلك نحو مجيء صيغة (استفعل) بمعنى صيغة (فعل) ، ومنه (استيأس) في قوله سبحانه : (فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ) (يوسف : ٨٠) قال القرطبي[١] : ((أي يئسوا ، مثل عجب واستعجب ، وسخر واستخر)).

وفي تقديري أن هذا داخل في النيابة الصرفية ، إذ إن (استفعل) صيغة صرفية من باب الفعل السداسي ، نابت في سياق هذه الآية عن الفعل الثلاثي المجرد (فعل)؛ وكلا الفعلين – النائب والمنوب عنه – من أصل واحد (يأس) ؛ أما إذا جاء الفعل دالاً على معنى فعل آخر ، مع اختلاف أصلهما ، نحو (يكفر) في قول الله تعالى : (وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ) (آل عمران : ١١٥) فقد جاء الفعل (يكفر) في سياق هذه الآية بمعنى (يحرم) ؛ أي لن يحرموا ثوابه ، وكلا الفعلين : الفعل المستعمل (يكفر) ، والفعل الدال عليه المعنى (يحرم) ، من أصلين مختلفين ؛ فإن هذا ليس من النيابة في شيء ؛ إنما يدخل في ظاهرة التضمين ؛ لأن التضمين القصد منه أن تؤدي الكلمة مؤدى كلمتين هما : الكلمة المستعملة والكلمة المتضمن معناها[٢] .

١-الصيغ النائبة عن الفعل الثلاثي المجرد :

-أفعل :

إن دخول الهمزة على الفعل الثلاثي المجرد يكون لمعان خاصة أو قياسية[٣] ؛ ومن هذه المعاني أن يكون (أفعل) بمعنى (فعل) ، وهذا المعنى أورده المتقدمون في مؤلفاتهم ،

---

(1) الجامع : ٩/٢٤٥.

(2) ينظر أمثلة لظاهرة التضمين في : الخصائص ٣/٣٠٨-٣١٠، ٤٣٥ ومغني اللبيب ٢/٦٨٥-٦٨٦، والأشباه والنظائر : ١/١٣٣وما بعدها.

(3) ينظر بعض هذه المعاني في هذا البحث ، ص (٨٠) وما بعدها .

وتبعهم في ذلك المتأخرون[1] ، وسار على سيرهم القرطبي في تفسيره ؛ حيث أشار إلى مجيء (أفعل) بمعنى (فعل) . من ذلك قوله[2] : ((سحت وأسحت بمعنى)) ، و : ((تبعه وأتبعه ، ولحقه وألحقه بمعنى [3])) وكذا : ((صد وأصد ؛ مثل صل اللحم وأصل إذا نتن ، وخم وأخم أيضاً إذا تغير))[4].

إن مجيء أفعل بمعنى فعل ؛ أي نيابتها عنها ، يحمل على محملين :

-الأول : أن زيادة الهمزة ناتج عن تعدد اللهجات ، إذ إنه قد غلب على التميميين وبعض اللهجات استعمال (أفعل) بمعنى (فعل)؛ أي إنهم يزيدون الهمزة دون زيادة في المعنى[5].

-الثاني : أن زيادة الهمزة دال على زيادة في معنى الفعل ؛ إذ إنه (لابد للزيادة من معنى ، وإن لم يكن إلا التأكيد)[6]، فقولك : (سقيت الضيف وأسقيته بمعنى واحد ، إلا أن أسقيته فيه مبالغة وتوكيد . وكذلك وقفت الهارب وأوقفته . ومثل ذلك ما ترى بين : وفى وأوفى ، وحب وأحب ، ووعد وأوعد ، وحس وأحس ... [7]).

-فاعل :

تنوب (فاعل) عن (فعل) ، فتتجرد بذلك عن دلالة المشاركة لتدل في سياق ما على الفعل الثلاثي المجرد ؛ من ذلك (عاقد) بمعنى (عقد) . ففي تفسير قوله تعالى : (وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ) (المائدة : ٨٩) أشار القرطبي إلى قراءة (عاقدتم) وذكر لها وجوهاً منها ، أن (يكون فاعل بمعنى فعل ، كما قال تعالى : (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ) (التوبة:٣٠)؛

([1]) ينظر على سبيل المثال في : كتاب سيبويه ٦١/٤، وأدب الكاتب ٢٨٣، والأصول في النحو : ١١٧/٣، والتكملة : ٥٢٦، ودقائق التصريف : ١٥٤، وشرح الشافية ٩١/١.

([2]) الجامع : ٢٢٨/١١.

([3]) نفسه : ٢٤٣/١١.

([4]) نفسه : ١٦٢/٤.

([5]) ينظر مبحث اللهجات في هذا البحث ، ص (٣٠).

([6]) شرح الشافية : ٩١/١.

([7]) تصريف الأسماء والأفعال : ١١٣.

أي قتلهم [1]) . وكذا (يدافع) في قوله سبحانه : (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) (الحج : ٣٨) جاء في الجامع[2] : ((يدافع بمعنى يدفع)) ، وجاء أيضاً في موضع آخر منه[3] : ((دافع ودفع بمعنى واحد ، مثل طرقت النعل وطارقت ؛ أي خصفت إحداهما فوق الأخرى)).

-افتعل :

وردت في جامع القرطبي أمثلة في مجيء (افتعل) بمعنى (فعل) ، فيحمل بذلك افتعل معنى فعل ، ويتجرد عن معناه الذي اكتسبه بالزيادة ؛ من ذلك :

-اقترب بمعنى قرب ، ومنه قوله سبحانه : (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُم) (الأنبياء : ١) (أي قرب الوقت الذي يحاسبون فيه على أعمالهم[4])؛ وكذا قوله تعالى : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ) (القمر : ١) أي قربت[5].

جميع الحقوق محفوظة

-اشتكى بمعنى شكى ، ومنه قوله عز وجل: (وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) (المجادلة:١)[6].

-اصطرخ بمعنى صرخ[7] ؛ وكذا اقتدر بمعنى قدر واعتدي بمعنى عدى[8].

-استفعل :

تأتي (استفعل) في تراكيب معينة بمعنى (فعل) ؛ وبذلك (يستخدم الفعلان –استفعل وفعل – في معنى وظيفي واحد)[9]. ومن أمثلة هذه النيابة في الجامع :

-استنفر بمعنى نفر ؛ في قوله سبحانه : (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ) (المدثر: ٥٠) (أي نافرة . يقال : نفرت واستنفرت بمعنى ، مثل عجبت واستعجبت ،وسخرت واستسخرت)[1] .

([1]) الجامع : ٢٥٣/٦.

([2]) الجامع : ٧٣/١٢.

([3]) نفسه : ٢٥٦/٣.

([4]) نفسه : ٢٨٤/١١.

([5]) نفسه : ١٢٢/١٧.

([6]) نفسه : ٢٦٠/١٧-٢٦١.

([7]) نفسه : ٣٦٩/٩.

([8]) نفسه : ٢١١/١٨-٢١٢.

([9]) أبنية الفعل ، دلالاتها وعلاقاتها ، لإبراهيم شمسان : ٨١.

-استيأس بمعنى يأس ، نحو قوله تعالى : (فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ) (يوسف : ٨٠) أي يئسوا[٢] .

-استسخر بمعنى سخر ، في قوله جل وعلا : (وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ) (الصافات : ١٤) أي يسخرون[٣] .

وقد يحدث العكس ، فيأتي الفعل الثلاثي المجرد نائباً عن (استفعل) في سياق ما. من ذلك قوله عز من قائل : (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ) (يونس : ١٢) فالفعل الثلاثي المجرد (مر) جاء في سياق هذه الآية بمعنى (استمر) ، قال القرطبي[٤] : ((أي استمر على كفره ولم يشكر ولم يتعظ)) . وكذا قوله تعالى : (فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ) (الأعراف : ١٨٩) (أي استمرت بذلك الحمل الخفيف ... وقيل المعنى : فاستمر بها الحمل[٥]) ففي كلا المعنيين حمل نيابة (فعل) عن (استفعل) .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
ايداع الرسائل الجامعية

٢-الصيغ النائبة عن (أفعل) :

ينوب عن الفعل الثلاثي المزيد بهمزة (أفعل) بعض الصيغ الفعلية ؛ أذكر بعضاً منها مما ألمح إليه القرطبي في تفسيره .

-فعل :

يفترق (فعل) عن (أفعل) من حيث المبنى والمعنى ؛ أما من حيث المبنى ففعل مضعف العين ، وأفعل مزيد بهمزة . وأما من حيث المعنى فيختلفان بما يأتي[٦] :

أ-اختلاف معجمي ، نحو : آذنت وأذنت ؛ فالأول بمعنى أعلمت ، والثاني بمعنى النداء والتصويت بإعلان[٧] .

---

(1) الجامع : ٨٦/١٩.

(2) ينظر الجامع : ٢٤٥/٩.

(3) نفسه : ٧٤/١٥.

(4) نفسه : ٢٩٥/٨.

(5) نفسه : ٣٢١/٧.

(6) ينظر : أبنية الفعل ، دلالاتها وعلاقاتها : ٨٣-٨٥.

(7) ينظر : كتاب سيبويه : ٦٢/٤.

ب-اختلاف في التعدي واللزوم ؛ فأصبح وأمسى وأسحر أفعال لازمة ، وصبح ومسى وسحر متعدية .

ج-فعل لا تكون إلا للتكثير ، بخلاف أفعل . يقال : (غلق للتكثير ، ولا يقال : غلق الباب، وأغلق يقع للكثير والقليل)[1].

د-التضاد في المعنى نحو : (أمرضته أي جعلته مريضاً ، ومرضته أي قمت عليه ووليته ؛ ومثله : أقذيت عينه أي جعلتها قذية وقذيتها نظفتها [2]).

ومع هذا الاختلاف ، فإنهما يتفقان أحياناً في بعض الاستعمالات ، فيأتي (فعل) بمعنى (أفعل) ، نحو : خرب بمعنى أخرب ، وقد قرئ بكليهما في قوله تعالى : (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ) (الحشر : ٢) قرئ : يخربون ويخربون ، فذكر القرطبي أن التخريب بمعنى الإخراب ، ونقل عن سيبويه[3] أن معنى فعلت وأفعلت يتعاقبان نحو : أخربته وخربته وأفرحته وفرحته[4] .

وكذا قوله سبحانه : (ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا) (يونس : ١٠٣) قرئ (ننجي) من أنجى ، و (ننجي) من نجى ؛ جاء في الجامع[5] : ((أنجى ينجي إنجاءً ، ونجى ينجي تنجية بمعنى واحد)). ومنه مهل بمعنى أمهل[6] .

ومن ذلك (علم) بمعنى (أعلم) ؛ ففي قول الله تعالى : (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ) (البقرة : ١٠٢) يذكر القرطبي لمعنى (يعلمان) قولين[7]:

-أحدهما : إنه على بابه من التعليم .

-الثاني : إنه من الإعلام ، لا من التعليم ؛ فـ (يعلمان) بمعنى : يعلمان .

---

(1) الجامع : ١٦٧/٩، وينظر كتاب سيبويه ٦٣/٤.

(2) كتاب سيبويه : ٦٢/٤.

(3) نفسه : ٥٥/٤-٥٦.

(4) ينظر : الجامع : ٧/١٨-٨.

(5) نفسه : ٣٥٦/٨.

(6) نفسه : ١٥/٢٠.

(7) نفسه : ٥٨/٢-٥٩.

-افتعل :

ومنه (اعتذر) في قوله جل وعلا : (لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) (التوبة : ٦٦) قال القرطبي[١] : ((اعتذر بمعنى أعذر ؛ أي صار ذا عذر . قال لبيد :

ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر)).

ويستنبط من قول القرطبي هذا ، أن صيغة افتعل جاءت في سياق هذه الآية نائبة عن صيغة أفعل الدالة على معنى الصيرورة[٢] ؛ أي إن (افتعل) إذا نابت عن (أفعل) ، فإنها لا تنوب عنها مطلقاً ، بل تنوب عنها في معنى من معانيها المتعددة .

-استفعل :

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

من أمثلة نيابة استفعل عن أفعل:

-استحب بمعنى أحب ، ومنه قوله سبحانه : (إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ) (التوبة : ٢٣) (أي أحبوا ؛ كما يقال استجاب بمعنى أجاب)[٣].

-استطاع بمعنى أطاع ، ومنه قوله تعالى : (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً) (المائدة : ١١٢) أي (هل يطيعك ربك إن سألته ((أن ينزل)) . فيستطيع بمعنى يطيع ، كما قالوا : استجاب بمعنى أجاب ، وكذلك استطاع بمعنى أطاع)[٤].

-استجاب بمعنى أجاب ؛ فعند تفسير قوله تعالى : (فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي) (البقرة : ١٨٦) نقل القرطبي عن مجاهد وغيره أن المعنى : فليجيبوا إلي فيما دعوتهم إليه من الإيمان . وفي هذا دلالة على أن (استجاب) نابت عن (أجاب) ؛ ثم أورد القرطبي قول الشاعر :

وداع دعا يامن يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

أي : لم يجبه[١] .

---

(1) الجامع : ١٨٣/٨.

(2) تقدم هذا المعنى في ص (٨٢) من هذا البحث .

(3) الجامع : ٩٠/٨.

(4) نفسه : ٣٤٢/٦.

-استعمر بمعنى أعمر ؛ ومنه قول الله سبحانه : (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (هود : ٦١) فقد ذكر القرطبي أن استعمر بمعنى أعمر ، والمعنى (أي جعلكم عمارها وسكانها)[٢] ؛ ونلحظ هنا أن صيغة استفعل (استعمر) نابت عن صيغة أفعل (أعمر) في معنى من معانيها؛ هذا المعنى هو (الجعل)[٣] نحو قولهم : أطردت السارق ؛ أي جعلته طريداً.

٣-الصيغ النائبة عن (افتعل) :

من ذلك :

-الفعل الثلاثي المجرد ؛ نحو قوله سبحانه : (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ) (البقرة : ٢١٠) أي : هل ينتظرون ؛ فنظرته بمعنى انتظرته[٤] .

ومنه قوله تعالى : (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ) (يس : ٤٩) أي ما ينتظرون[٥] . وكذا قوله سبحانه (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ) (الأعراف : ٥٣)[٦] وقوله جل في علاه : (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ) (الزخرف : ٦٦)[٧].

-تفاعل ؛ ومنه قوله تعالى : (وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (المجادلة : ٨) قرأ حمزة وخلف ورويس ((ينتجون)) على وزن يفتعلون ؛ فألمح القرطبي إلى أن القراءتين بمعنى واحد ؛ لمجيء تفاعل بمعنى افتعل نحو : تخاصم بمعنى اختصم ، وتقاتل بمعنى اقتتل[٨].

([1]) نفسه : ٣١٣/٢، وينظر : ٢٣٠/١.

([2]) الجامع : ٥٨/٩.

([3]) ينظر هذا المعنى في : أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها : ١٩-٢١.

([4]) ينظر الجامع : ٢٨/٣.

([5]) نفسه : ٤٠/١٥.

([6]) نفسه : ٢١١/٧.

([7]) نفسه : ١٠٦/١٦.

([8]) نفسه : ٢٧٨/١٧.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الطاعة الإلهية

الفصل الرابع

منهج القرطبي في الدرس الصرفي

المبحث الأول

الآراء الصرفية بين التوصيف والتوظيف

إن مما ينماز به أسلوب القرآن الكريم ، فصاحته وإعجازه في استعمال المفردة داخل سياق الآية ؛ إذ إن للمفردة القرآنية في سياق الآية دلالة خاصة وعامة ، فأما دلالتها الخاصة ، فإنها تكمن في بنائها الصرفي ، وهيئتها الحاصلة من ترتيب حروفها وحركاتها،ومعناها المعجمي ؛ وأما الدلالة العامة ، فهي تظهر من خلال ارتباط المفردة بتركيب الآية ارتباطاً وثيقاً لا انفصام فيه ؛ حيث تنسجم المفردة مع الآية انسجاماً تاماً ؛ ليتشكل بذلك بناء متكامل الأجزاء هو جزء من بناء عام للسورة ككل .

ومن هذا المنطق كان من مقدمات اهتمام كثير من الدارسين للنص القرآني الاتجاه نحو العناية بالمفردة القرآنية ، من حيث هي مفردة لغوية مستقلة بذاتها، ومن حيث هي جزء من بناء سياقي معين ؛ أي دراسة المفردة القرآنية بين الإفراد والتركيب .

وإذا تأملنا تفسير القرطبي ، وجدناه في تعامله مع الآراء الصرفية ينحو بها منحيين:

-المنحى الأول :

آراء اعتنت بالمفردة القرآنية اعتناءً مجرداً عن سياق الآية ، بعيداً عن الدلالة العامة ؛ أي تحليل المفردة تحليلاً صرفياً بحتاً ، وذلك من خلال التوسع من دائرتها ، بضرب الأمثلة والشواهد ، أو بالحديث عن أصل اشتقاقها ، إلى غير ذلك ، مما يبرز لنا صورة واضحة لتلك المفردة ، بيد أنها صورة مستقلة لا ارتباط لها بما قبلها وما بعدها ؛ وهذا المنحى في تعامله مع الآراء يمكننا أن نسميه (التوصيف) ؛ لأن فيه وصفاً للمفردة خالياً من التوظيف الدلالي العام الذي يخدم الآية ، ويساعد في إظهار معناها الكلي .

-المنحى الثاني :

آراء صرفية اتجهت نحو تقريب الدلالة اللفظية ، وتوضيح معناها في سياق الآية ، ومن ثم توظيف هذه الآراء في خدمة التفسير ، وفهم النص القراني ؛ حيث تنصب هذه

الآراء في دراسة المفردة دراسة صرفية توظيفية في إطار الآية المعينة ، والانطلاق تجاه الدلالة العامة ؛ وهذا المنحى اصطلحت على تسميته (التوظيف) .

وحتى تبدو الصورة الواضحة لهذين المنحيين اللذين نهجهما القرطبي في تفسيره ، في أثناء تعامله مع الآراء الصرفية التي ترجع إليه أو إلى غيره ، أسوق أمثلة من تفسيره لذلك.

أولاً: الآراء التوصيفية :-

من أمثلتها لفظة (أساطير) في قول الله سبحانه : (إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) (الأنعام : ٢٥) حيث اختلفت الآراء في تحديد مفرد هذا الجمع ، فقد قيل[1] :

١-إن مفردها أسطار ، كأبيات وأباييت ، قاله الزجاج .

٢-إن مفردها أسطورة ، كأحدوثة وأحاديث ؛ ذكره الأخفش .

٣-إنها جمع إسطارة ؛ وهذا رأي أبي عبيدة .

٤-إنها جمع أسطور مثل عثكول ؛ قاله النحاس .

٥-إن واحدها أسطير ؛ نقل عن القشيري .

٦-إنها جمع أسطار ، وأسطار جمع سطر – بفتح الطاء وسكونها – والسطر الشيء الممتد المؤلف كسطر الكتاب .

٧-إنها جمع لا واحد له ، مثل مذاكير وعباديد وأبابيل .

إن هذه الآراء التي عرضها القرطبي لتحديد مفرد (أساطير) يلحظ فيها الوصف الصرفي المجرد للفظة ، دون ارتباط بدلالة سياق الآية ؛ إذ إن الحديث عن مفرد هذا الجمع لا يضفي شيئاً على المعنى العام ، ولا يؤدي إلى فهم نص الآية ككل متكامل ، بل هي آراء وصفت من خلالها اللفظة وصفاً صرفياً بعيداً عن التوظيف الدلالي للمفردة في تركيب الآية .

ومن نحو ذلك الآراء التي قيلت في لفظة (الآصال) في الآية (٢٠٥) من سورة الأعراف ؛ جاء في الجامع[1] : ((الآصال : جمع أصل مثل طنب وأطناب ؛ فهو جمع الجمع ، والواحد أصيل ، مثل يمين وأيمان.

([1]) ينظر الجامع (بتصرف) : ٦/٣٧٩-٣٨٠.

الفراء : أصل جمع أصيل ، وقد يكون أصل واحداً ، كما قال الشاعر :

ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل.

الجوهري : الأصيل الوقت بعد العصر إلى المغرب ، وجمعه أصل وآصال وأصائل ، كأنه جمع أصيلة ، قال الشاعر :

لعمري أنت البيت أكرم أهله وأقعد في أفيائه بالأصائل

ويجمع أيضاً على أصلان مثل بعير وبعران ، ثم صغروا الجمع فقالوا : أصيلان ، ثم أبدلوا من النون لاماً ، فقالوا : أصيلال ، ومنه قول النابغة :

وقفت فيها أصيلا لاً أسائلها عيت جواباً وما بالربع من أحد)).

وهكذا نجد الآراء التي قيلت في هذه اللفظة القرآنية مثل سابقتها عني من خلالها بوصف اللفظة مفرداً وجمعاً دون توظيف لذلك . ومن الآراء التوصيفية الحديث عن لفظة (السلوى) في قوله تعالى : (وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى) (البقرة : ٥٧) فقد كانت الآراء الصرفية فيها على النحو الآتي[٢] :

١-أنها جمع لا واحد له من لفظه ، مثل الخير والشر ، ويشبه أن يكون واحده سلوى مثل جماعته ؛ كما قالوا : دفلى[٣] للواحد والجماعة ، وسمانى[٤] ، وشكاعى[٥] ؛ في الواحد والجميع ، قاله الأخفش .

٢-أنه جمع وواحده سلواة ؛ قاله الخليل ، وأنشد :

وإني لتعروني لذكرك هزة كما انتفض السلواة من بلل القطر .

٣-أنه مفرد وجمعه سلاوى ؛ قاله الكسائي .

وعلى هذا النهج كان التعامل مع لفظة (أشد) في قوله عز من قائل : (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) (يوسف : ٢٢) قال القرطبي[٦] : ((أشده عند سيبويه جمع واحده شدة . وقال الكسائي : واحده شد ، كما قال الشاعر :

([1]) نفسه : ٣٣٩/٧.

([2]) ينظر الجامع : ٤١٤/١.

([3]) نبت مر . ينظر الصحاح : (دفل).

([4]) طائر . المصدر نفسه : (سمن).

([5]) نبت عيادنه دقيقة ، يتداوى به . ينظر اللسان : (شكع) .

([6]) الجامع : ١٦٦/٩.

عهدي بها شد النهار ، كأنما خضب اللبان ورأسه بالعظلم

وزعم أبو عبيد أنه لا واحد له من لفظه عند العرب))

إن هذه الآراء وغيرها[1] مما ورد في تفسير القرطبي على النسق ذاته ؛ تبين لنا اهتمامها بالمفردة القرآنية المجردة عن سياق الآية ، واعتبارها صيغة مستقلة لا ارتباط لها بالآية ارتباطاً دلالياً .

ثانياً: الآراء التوظيفية :

لقد آثرت أن أعرض – أولاً – الآراء التوصيفية ، ثم أعرج بعد ذلك تجاه الآراء التوظيفية ؛ لأبين الاختلاف الواضح بين كلا المنحيين ، التوصيفي والتوظيفي ، في منهج القرطبي حين تعامله مع الآراء الصرفية .

فمن الآراء التي وظفت في إبراز دلالة اللفظة في سياق الآية ، ماقيل في لفظة (قيام) في قوله جل وعلا :(وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً) (النساء:٥) يقول القرطبي[2] : ((القيام والقوام ما يقيمك بمعنى . يقال : فلان قيام أهله وقوام بيته ، وهو الذي يقيم شأنه ؛ أي يصلحه ولما انكسرت القاف من قوام ، أبدلوا الواو ياء؛ وقراءة أهل المدينة (قيماً) بغير ألف .

قال الكسائي والفراء : قيماً وقواماً بمعنى (قياماً) ، وانتصب عندهما على المصدر ؛ أي لا تؤتوا السفهاء أموالكم التي تصلح بها أموركم ، فيقوموا بها قياماً . وقال الأخفش : المعنى قائمة بأموركم ؛ يذهب إلى أنها جمع . وقال البصريون : قيماً جمع قيمة ، كديمة وديم ؛ أي جعلها الله قيمة للأشياء .

وخطأ أبو علي هذا القول ، وقال : هي مصدر كقيام وقوام ، واصلها قوم ؛ ولكن شذت في الرد إلى الياء ، كما شذ قولهم : جياد في جمع جواد ، ونحوه . وقوماً وقواماً وقياماً ، معناها : ثباتاً في صلاح الحال ، ودواماً في ذلك)).

([1]) من أمثلة التوصيف في الجامع : سقف (الزخرف : ٣٣) : ٨٣/١٦ ، وأبابيل (الفيل: ٣) : ١٩٥/٢٠-١٩٦، وعمد (الهمزة : ٩) : ١٨٥/٢٠-١٨٦.

([2]) نفسه : ٣٧/٥.

لقد استطاع القرطبي في هذا النص من تفسيره أن يوظف آراء اللغويين الصرفية في تقريب الدلالة ؛ إذ إنه يقرر في مطلع هذا النص أن القيام مصدر أصله القوام ، فيكون المعنى على ذلك واحداً ؛ حدث في الأصل إعلال ، فقلبت الواو ياءً ، ثم أشار إلى قراءة أهل المدينة (قيماً) بغير ألف، فأورد عقبها آراءً ، قصد بها ربط دلالة اللفظة بسياق الآية . ويمكن توضيح ذلك بالآتي :

١-رأي الفراء والكسائي أن قيماً مصدر كالقوام والقيام ، انتصب على المصدرية بفعل مقدر. وبهذا التوجيه يكون معنى الآية : لا تؤتوا السفهاء أموالكم التي تصلح بها أموركم ؛ فيقوموا بها قياماً.

٢-رأي الأخفش أن قيماً جمع قائمة ، وبهذا التوجيه الصرفي يكون التقدير : لا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعلها الله لكم قائمة بأموركم.

٣-رأي البصريين أنها جمع قيمة ، ويكون التأويل على هذا الرأي ؛ أي جعلها الله قيمة للأشياء.

٤-رأي أبي علي الفارسي المخطئ للبصريين ، والموافق لرأي الكسائي والفراء بمصدرية هذه اللفظة ، ويكون معناها في سياق الآية : ثباتاً في صلاح الحال ودواماً في ذلك .

وقد نرى القرطبي يوظف الآراء الصرفية في توجيه قراءات معينة للفظة ما ، تعددت فيها القراءات ؛ ذلك نحو ما قرئ به لفظة (دري) في قوله تعالى : (كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ) (النور : ٣٥) ، فهو يذكر القراءات ثم يوجهها توجيهاً دلالياً ، منطلقاً في ذلك من الناحية الصرفية ، إذ يذكر القراءة ، ثم يأتي بزنتها الصرفية ، وأصل اشتقاقها ، وعلى ضوء هذا يسلط الآراء التي لا جرم أنها في كشف دلالة النص القرآني .

ففي قراءة ابن عامر وحفص عن عاصم ((دري) بضم الدال وشد الياء ، يقول القرطبي[1] : ((لهذه القراءة وجهان : إما أن ينسب الكوكب إلى الدر[2] لبياضه وصفائه ، وإما أن يكون أصله دريء مهموز ، فعيل من الدرء وهو الدفع ، وخففت الهمزة . ويقال للنجوم العظام التي لا تعرف أسماؤها : الدراري ، بغير همز ؛ فلعلهم خففوا الهمزة والأصل من الدرء الذي هو الدفع)).

([1]) الجامع : ٢٦٢/١٢.

([2]) الدر جمع درة ، وهي اللؤلؤة . والكوكب الدري : الثاقب المضيء ، نسب إلى الدر لبياضه . ينظر الصحاح (درر).

وفي قراءة حمزة وأبي بكر عن عاصم ((دريء)) بالهمز والمد، يرى القرطبي أنها على زنة فعيل من الدرء ؛ وهذا التوجيه نفسه الذي ذكره في الوجه الثاني من قراءة ابن عامر وحفص آنفة الذكر . ومعنى كوكب دريء ؛ أي يدفع بعضها بعضاً [1].

بيد أن القرطبي لم يكتف برأيه في هذه القراءة ، بل يقدم آراء أخرى ؛ جاء في الجامع[2] : ((قال النحاس : فأما قراءة حمزة ، فأهل اللغة جميعاً قالوا : هي لحن لا تجوز ؛ لأنه ليس في كلام العرب اسم على فعيل .

وقد اعترض أبو عبيد في هذا ، فاحتج لحمزة ، فقال : ليس هو فعيل، وإنما هو فعول ، مثل سبوح ، أبدل من الواو ياء ؛ كما قالوا : عتي.

قال أبو جعفر النحاس : وهذا الاعتراض والاحتجاج من أعظم الغلط وأشده ؛ لأن هذا لايجوز ألبتة ، ولو جاز ما قال لقيل في سبوح سبيح ، وهذا لا يقوله أحد ، وليس عتي من هذا ، والفرق بينهما واضح بين ؛ لأنه ليس يخلو عتي من إحدى جهتين : إما أن يكون جمع عات فيكون البدل فيه لازما ؛ لأن الجمع باب تغيير ، والواو لا تكون طرفاً في الأسماء وقبلها ضمة ، فلما كان قبل هذه ساكن وقبل الساكن ضمة ، والساكن ليس بحاجز حصين أبدل من الضمة كسرة ، فقلبت الواو ياء . وإن كان عتي واحداً كان بالواو أولى ، وجاز قلبها لأنها طرف ، والواو في فعول ليست طرفاً فلا يجوز قلبها .

قال الجوهري : قال أبو عبيد إن ضممت الدال قلت دري ، يكون منسوباً إلى الدر ، على فعلي ولم تهمزه ؛ لأنه ليس في كلام العرب على فعيل . ومن همزه من القراء ، فإنما أراد فعولاً مثل سبوح فاستثقل فرد بعضه إلى الكسر)).

إن هذه الآراء المتناقضة التي عرضها القرطبي بين أبي عبيد والنحاس ؛ إنما القصد منها بسط القول في أصل اشتقاق هذه اللفظة ، ومن ثم المعنى المستنبط من هذا الاشتقاق ؛ وفي تقديري أن رأي أبي عبيد هو الصواب ؛ لأن قراءة حمزة متواترة ، ولا يجوز وصف المتواتر من القراءات باللحن ، ولأن لها وجهاً في العربية ذكره أبو عبيد وأثبته الجوهري في صحاحه، مع الإشارة إلى أن وزن (فعيل) الذي نسب فيه النحاس إلى أهل اللغة جميعاً أنه لحن ولا يجوز ؛ لأنه ليس في كلام العرب اسم على وزن (فعيل) . أقول إن

([1]) ينظر الجامع : ٢٦٢/١٢.

([2]) نفسه : ٢٦٣/١٢.

قول النحاس هذا ، مخالف لما جاء عند سيبويه الذي أثبت هذا الوزن في كلام العرب بما حكاه عن ابن الخطاب؛ جاء في الكتاب[1]: ((ويكون على (فعيل) وهو قليل في الكلام ، قالوا : المريق ، حدثنا أبو الخطاب عن العرب . وقالوا : كوكب دريء ، وهو صفة)).

فهذا الوزن مستعمل في كلام العرب ، وإن كان قليلاً ، وهذا أيضاً ما تنبه إليه القرطبي – رحمه الله – في تصريف قراءة ابن عامر وحفص الآنفة الذكر (دري) وقراءة حمزة (دريء) حيث أشار إلى أن وزنها (فعيل) من الدرء ، وقد سبق الحديث عن توجيه القرطبي هذا.

وفي قراءة الكسائي وابي عمرو بن العلا ((دريء)) بكسر الدال والهمز ، توجيه دلالي مماثل لتوجيه قراءة حمزة ، فهي مشتقة من الدرء ؛ أي الدفع ، غير أنها جاءت على وزن فعيل مثل السكير والفسيق ، وقد قيل في هذا التوجيه آراء توظيفية . جاء في الجامع[2] : ((قال سيبويه: أي يدفع بعض ضوئه بعضاً من لمعانه . قال النحاس : وضعف أبو عبيد قراءة أبي عمرو والكسائي تضعيفاً شديداً ؛ لأنه تأولها من درأت أي دفعت ؛ أي كوكب يجري من الأفق إلى الأفق . وإذا كان التأويل على ما تأوله ، لم يكن في الكلام فائدة ، ولا كان لهذا الكوكب مزية على أكثر الكواكب ؛ ألا ترى أنه لا يقال جاءني إنسان من بني آدم . ولا ينبغي أن يتأول لمثل أبي عمرو والكسائي مع علمهما وجلالتهما هذا التأويل البعيد ، ولكن التأويل لهما على ما روي عن محمد بن يزيد أن معناهما في ذلك : كوكب مندفع بالنور؛ كما يقال : اندرأ الحريق أي اندفع. وهذا تأويل صحيح لهذه القراءة .

وحكى سعيد بن مسعدة أنه يقال : درأ الكوكب بضوئه إذا امتد ضوءه وعلا .

وقال الجوهري في الصحاح : ودرأ علينا فلان يدرأ دروءاً ؛ أي طلع مفاجأة . ومنه كوكب دريء ، على فعيل ، مثل سكير وخمير ؛ لشدة توقده وتلألئه . وقد درأ الكوكب دروءاً.

قال أبو عمرو بن العلاء : سألت رجلاً من سعد بن بكر من أهل ذات عرق ، فقلت : هذا الكوكب الضخم ما تسمونه ؟ قال : الدريء ؛ وكان من أفصح الناس)).

([1])كتاب سيبويه : ٢٦٨/٤.

([2]) الجامع : ٢٦٢/١٢– ٢٦٣.

إن مما يلحظ في الآراء التي قيلت في قراءة أبي عمرو والكسائي ، أن القرطبي أراد بها ما يأتي:

١-التوصل إلى أصل اشتقاق هذه اللفظة .

٢-بيان التوظيف الدلالي لهذه اللفظة ، وهذا يظهر مما نقله النحاس عن محمد بن يزيد المبرد ، في قوله : ((كوكب مندفع بالنور)) ، وكذا قول سعيد بن مسعدة الأخفش : ((درأ الكوكب بضونه إذا امتد ضوءه وعلا)) ، وما قاله الجوهري في الصحاح بأن دريء زنته فعيل مثل سكير وخمير ، فيدل هذا الوزن على شدة توقد الكوكب وتلألئه.

٣-إظهار فصاحة هذه اللفظة ، وذلك مما نقل عن أبي عمرو بن العلاء أن هذه اللفظة قد قيلت على لسان رجل من سعد بن بكر عرف بفصاحته .

ومن قراءات هذه المفردة ، قراءة سعيد بن المسيب وأبي رجاء (دريء) بفتح الدال وتشديد الراء مهموزاً ؛ أصلها من درأته ، جاءت على وزن فعيل مفتوحة الأول ؛ والمعنى أي كوكب متلألئ[١] . وهذه القراءة شاذة ذكرها ابن جني في المحتسب حيث قال[٢] : ((الغريب من هذا (دريء) بفتح الدال ، وتشديد الراء ، والهمز ؛ وذلك لأن فعيلاً بالفتح وتشديد العين عزيز ؛ إنما حكي فيه : السكينة بفتح السين وتشديد الكاف)).

ومن الآراء الصرفية التوظيفية تلك الآراء التي دونها القرطبي للفظة (طائف) في معرض حديثه عن قوله سبحانه : (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) (الأعراف : ٢٠١) ، فقد قرأ أهل المدينة وأهل الكوفة (طائف) على وزن فاعل ، وقرأ البصريون والمكيون (طيف) على زنة فعل ، وروي عن سعيد بن جبير (طيف) بتشديد الياء على زنة فيعل ؛ فاختلفت الآراء باختلاف القراءات ، وكلها وظفت في فهم الآية وتقريب الدلالة ؛ جاء في الجامع[٣] : ((قال النحاس : كلام العرب في مثل هذا (طيف) بالتخفيف ، على أنه مصدر من طاف يطيف .

قال الكسائي : هو مخفف من (طيف) مثل ميت وميت .

([1]) ينظر الجامع : ٢٦٣/١٢.

([2]) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات : ١٥٣/٢.

([3]) الجامع : ٣٣٣/٧.

قال النحاس: ومعنى (طيف) في اللغة ما يتخيل في القلب أو يرى في النوم ، وكذا معنى (طائف).

وقال أبو حاتم : سألت الأصمعي عن (طيف) ، فقال: ليس في المصادر فيعل.

قال النحاس : ليس هو بمصدر ، ولكن يكون بمعنى طائف. والمعنى : إن الذين اتقوا المعاصي إذا لحقهم شيء تفكروا في قدرة الله عز وجل وفي إنعامه عليهم فتركوا المعصية.

وقيل : الطيف والطائف معنيان مختلفان ؛ فالأول : التخيل ،والثاني : الشيطان نفسه؛ فالأول مصدر طاف الخيال يطوف طيفاً ، ولم يقولوا من هذا طائف في اسم الفاعل .

قال السهيلي : لأنه تخيل لا حقيقة له . فأما قوله : (فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ) (القلم : ١٩) فلا يقال فيه : طيف ؛ لأنه اسم فاعل حقيقة ، ويقال : إنه جبريل)).

إن هذا التفريق بين (طيف) مخففاً ، و(طيف) مشدداً ، وكذا بينهما وبين (طائف) يبرز لنا دلالة كل منها في سياق الآية ذاتها .

ومن نحو هذا التفريق ، التفريق بين (ضيق) بفتح الضاد ، و (ضيق) بكسرها ؛ وقد قرئ بهما في قول الله سبحانه : (وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) (النحل: ١٢٧) ؛ حيث أورد القرطبي الآراء الموظفة في خدمة التفسير وهي على النحو الآتي[1] :

١-الضيق والضيق -بالكسر والفتح – كلاهما مصدر ضاق يضيق ، والمعنى: لا يضيق صدرك من كفرهم ؛ نقله عن الأخفش وكذا ابن السكيت.

٢-الضيق (بالفتح)ما ضاق عنه صدرك ، والضيق (بالكسر) ما يكون في الذي يتسع ويضيق ؛ مثل الدار والثوب . ذكره الفراء.

٣-الضيق مخفف من الضيق ؛ أي لاتكن في أمر ضيق ، مثل هين وهين ؛ قاله القتيبي.

وفي قوله تعالى : (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) (الحجر : ٩١) أشار القرطبي[2] إلى أن عضين جمع عضة ، اختلف في محذوفها ، فمن قائل إن المحذوف الواو ، والأصل (عضوة) من عضوته ؛ أي فرقته ، نحو عزين جمع عزة والأصل: عزوة ، وكذلك ثبة

([1]) ينظر الجامع : ١٠/٢٠٨-٢٠٩.

([2]) نفسه : ١٠/٦٣- ٦٤ (بتصرف).

وثبين ؛ والمعنى على هذا التوجيه : آمنوا ببعض القرآن ،وكفروا بـبعض ؛ قالـه ابـن عباس. وقيل : فرقوا أقاويلهم فيه فجعلوه كذباً ، وسحراً ، وكهانة ، وشعراً .

ومن قائل إن المحذوف الهاء ، والأصل (عضهة) ، لأن العضه والعضين في لغـة قريش السحر ، فهم يقولون للساحر : عاضه ، وللساحرة : عاضهة ؛ وقيـل : العـضيهة البهتان ، يقال : عضهه عضهاً ؛ أي رماه بالبهتان ؛ ونظير عضة في نقصان الهاء ، شفة وسنة والأصل شفهة وسنهة ؛ والمعنى على هذا : أكثروا البهت علـى القـرآن ونوعـوا الكذب فيه ، فقالوا : سحر وأساطير الأولين ، وأنه مفترى إلى غير ذلك .

وفي سياق تفسيره لقوله سبحانه:(وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً) (الفرقان:٤٨) لم يكتف القرطبي بتوظيف لفظة (طهور) في سياق الآية توظيفاً دلالياً بما عرضه من آراء، بل تعدى ذلك لاستخلاص أحكام فقهية من هذه الآراء الصرفية ؛ والنص الذي سأعرضه له من تفسيره – على طوله – سيبين لنا ذلك بوضوح ، حيث يقول[1] : ((قوله تعالى : "ماء طهوراً " يتطهر به ؛ كما يقال : وضوء للماء الذي يتوضأ به . وكل طهور طاهر وليس كل طاهر طهوراً . فالطهور (بفتح الطاء) الاسم . وكذلك الوضوء والوقود، وبالضم المصدر ، وهذا هو المعروف في اللغة؛ قاله ابن الأنباري . فبين أن الماء المنزل من السماء طـاهر في نفسه مطهر لغيره ؛ فإن الطهور بناء مبالغة في طاهر ، وهذه المبالغـة اقتـضت أن يكون طاهراً مطهراً. وإلى هذا ذهب الجمهور . وقيل : إن " طهوراً " بمعنى طاهر ؛ وهو قول أبي حنيفة ، وتعلق بقوله تعالى : (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً) (الإنسان : ٢١) يعني طاهراً.

وبقول الشاعر :

خليلي هل في نظرة بعد توبة أداوي بها قلبي علي فجور

إلى رجح الأكفال غيد من الظبا عذاب الثنايا ريقهن طهور

فوصف الريق بأنه طهور وليس بمطهر . وتقول العرب : رجل نؤوم ، وليس ذلـك بمعنى أنه منيم لغيره ، وإنما يرجع ذلك إلى فعل نفسه . ولقد أجاب علماؤنـا عـن هـذا فقالوا: وصف شراب الجنة بأنه طهور يفيد التطهير عن أوضار الذنوب وعـن خـسائس

([1]) الجامع : ١٣/٤٤-٤٦.

الصفات كالغل والحسد ، فإذا شربوا هذا الشراب يطهرهم الله من رحض الذنوب وأوضار الاعتقادات الذميمة ، فجاءوا الله بقلب سليم ، ودخلوا الجنة بصفات التسليم ، وقيل لهم حينئذ : (سَلامٌ عَلَيكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) (الزمر :٧٣) . ولما كان حكمه في الدنيا بزوال حكم الحدث بجريان الماء على الأعضاء ، كانت تلك حكمته في الآخرة . وأما قول الشاعر : (.. ريقهن طهور) ، فإنه قصد بذلك المبالغة في وصف الريق بالطهورية لعذوبته وتعلقه بالقلوب ، وطيبه في النفوس ، وسكون غليل المحب برشفه حتى كأنه الماء الطهور؛ وبالجملة فإن الأحكام الشرعية لا تثبت بالمجازاة الشعرية ؛ فإن الشعراء يتجاوزون في الاستغراق حد الصدق إلى الكذب ، ويسترسلون في القول حتى يخرجهم ذلك إلى البدعة والمعصية ، وربما وقعوا في الكفر من حيث لا يشعرون . ألا ترى إلى قول بعضهم :

ولو لم تلامس صفحة الأرض رجلها لما كنت أدري علة للتيمم

وهذا كفر صراح ، نعوذ بالله منه . قال القاضي أبوبكر بن العربي : هذا منتهى لباب كلام العلماء ، وهو بالغ في فنه ؛ إلا أني تأملت من طريق العربية فوجدت فيه مطلعاً مشرقاً ، وهو أن بناء فعول للمبالغة ، إلا أن المبالغة قد تكون في الفعل المتعدي كما قال الشاعر :

ضروب بنصل السيف سوق سمانها

وقد تكون في الفعل القاصر ، كما قال الشاعر :

نؤوم الضحا لم تنتطق عن تفضل

وإنما تؤخذ طهورية الماء لغيره من الحسن نظافة ، ومن الشرع طهارة ؛ كقوله عليه السلام[1] : ((لا يقبل الله صلاة بغير طهور)) .واجمعت الأمة لغة وشريعة على أن وصف طهور يختص بالماء فلا يتعدى إلى سائر المائعات وهي طاهرة ؛ فكان اقتصارهم بذلك على الماء أدل دليل على أن الطهور هو المطهر ، وقد يأتي (فعول) لوجه آخر ليس من هذا كله وهو العبارة به عن الآلة للفعل لا عن الفعل كقولنا : وقود وسحور بفتح الفاء، فإنها عبارة عن الحطب والطعام المتسحر به ؛ فوصف الماء بأنه طهور (بفتح

([1]) ينظر : صحيح الجامع الصغير : رقم (٧٧٤٦) ٢/ ١٢٨٠، وجاء في صحيح مسلم بشرح النووي في أول كتاب الطهارة ، ١٠٢/٣، بلفظ ((لا تقبل صلاة بغير طهور..)).

الطاء) أيضاً يكون خبراً عن الآلة التي يتطهر بها . فإذا ضمت الفاء في الوقود والسحور والطهور عاد إلى الفعل وكان خبراً عنه .

فثبت بهذا أن اسم الفعول (بفتح الفاء) يكون بناءً للمبالغة ويكون خبراً عن الآلة ، وهو الذي خطر ببال الحنفية ، ولكن قصرت أشداقها عن لوكه ؛ وبعد هذا يقف البيان عن المبالغة وعن الآلة على الدليل بقوله تعالى : (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً) . وقوله عليه السلام[1]:((جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)) يحتمل المبالغة ويحتمل العبارة به عن الآلة ؛ فلا حجة فيه لعلمائنا، لكن يبقى قوله:(لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) (الأنفال: ١١) نصاً في أن فعله يتعدى إلى غيره)).

وهكذا نرى القرطبي ساعياً في بيان الوظيفة الدلالية والاستعمالية للفظة القرآنية داخل سياق الآية ، وذلك من خلال عنايته بالآراء الصرفية وبسطها بسطاً توظيفياً متنوعاً ؛ فهو إما يورد الآراء المتناقضة للفظة القرآنية المتفق عليها ؛ كي يتوصل من خلالها إلى الدلالة المرجوة ، وإما يعرض القراءات المختلفة للمفردة الواحدة ، ومن ثم يوجه كل قراءة بتسليط الآراء الصرفية عليها ؛ لاستنباط دلالتها في الآية . والأمثلة على هذا المنحى التوظيفي الذي نحاه القرطبي في تعامله مع الآراء الصرفية كثيرة في تفسيره ، اكتفيت منها بالمعروض آنفاً ؛ اجتناباً للإطالة ، وسأذكر بعضاً منها اختصاراً ، محيلاً في الهامش إلى مظانها ؛ من ذلك:

-لفظة (أدنى) في الآية (٦١) من سورة البقرة [2].

-لفظة (ألوف) في الآية (٢٤٣) من سورة البقرة[3] .

-لفظة (يتسنه) في الآية (٢٥٩) من سورة البقرة [4].

-لفظة (ربانيين) في الآية (٧٩) من سورة آل عمران[5] .

-لفظة (تلووا) في الآية (١٣٥) من سورة النساء[6] .

---

(1) ينظر : صحيح الجامع الصغير : رقم (٣٠٩٩) ١/٥٩٤.

(2) ينظر الجامع : ١/٤٣٢.

(3) نفسه : ٣/٢٢٨.

(4) نفسه : ٣/٢٩٢-٢٩٣.

(5) نفسه : ٤/١٣٠.

(6) نفسه : ٥/٤١٢.

-لفظة (يكذبونك) في الآية (٣٣) من سورة الأنعام[١] .

-لفظة (خالصة) في الآية (١٣٩) من سورة الأنعام[٢] .

-لفظة (المعذرون) في الآية (٩٠) من سورة التوبة[٣] .

-لفظة (بطونه) في الآية (٦٦) من سورة النحل [٤].

-لفظة (قرن) في الآية (٣٣) من سورة الأحزاب[٥] .

-لفظة (منفطر) في الآية (١٨) من سورة المزمل[٦].

-لفظة (المفر) في الآية (١٠) من سورة القيامة[٧] .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

(1) ينظر الجامع : ٦/٣٩٠-٣٩١.

(2) نفسه : ٧/٩٦-٩٧.

(3) نفسه : ٨/٢٠٨-٢٠٩.

(4) نفسه : ١٠/١٣٠-١٣١.

(5) نفسه : ١٤/١٧٣-١٧٤.

(6) نفسه : ١٩/٥٠-٥١.

(7) نفسه : ١٩/٩٥.

المبحث الثاني

الآراء الصرفية بين الترجيح والاجتهاد

مر معنا فيما سبق من هذا الفصل الحديث عن تعامل القرطبي مع الآراء الصرفية المبثوتة في تفسيره من حيث التوصيف والتوظيف ، وفي هذا المبحث سيتم الحديث – بإذن الله تعالى – عن موقف القرطبي تجاه الآراء الصرفية.

لقد تبين لي من خلال استقرائي لتفسير القرطبي أن موقفه من الآراء الصرفية اتسم بثلاثة اتجاهات ، هي : التوقف ،والترجيح ، والاجتهاد . سأعرض نماذج من هذه الاتجاهات الثلاثة من أجل التمثيل والتوضيح ، لا من أجل الإحصاء والحصر .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

-الاتجاه الأول : التوقف :

وهو الأكثر في تفسيره ، حيث يشير إلى اختلاف الآراء الصرفية المتواردة على اللفظة الواحدة ، من غير أن يبدي رأياً ترجيحياً أو اجتهادياً ، بل نجده متوقفاً إزاء هذه الآراء ، مكتفياً بعرضها ؛ وحتى تتضح الصورة لهذا الاتجاه أورد المسائل الآتية التي لا نلمح فيها شخصية القرطبي اللغوية .

-المسألة الأولى : زنة (أول) وأصل حروفه :

نقل القرطبي اختلاف البصريين والكوفيين في هذه المسألة ، وذلك عند قوله تعالى : (وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ) (البقرة :٤١) ، فقد ذكر[1] أن البصريين يذهبون إلى أن (أول) على زنة أفعل ، عينه وفاؤه واو ، ولم ينطق منه بفعل ؛ لئلا يعتل من جهتين : العين والفاء[2].

([1]) ينظر الجامع : ١/٣٤٤.

([2]) ينظر رأي البصريين في : كتاب سيبويه : ٤/٣٧٠، والمقتضب : ١/١٢٦، ١٥٢، والمنصف : ٢/٢٠٤.

وأشار إلى أن الكوفيين يرون أن له فعلاً ، فهو أفعل من وأل إذا نجا ، أو من آل يؤول[1] ؛ فإن كان من وأل ، فإن أصله (أوأل) ، ثم خففت الهمزة (عين الكلمة) وأبدلت واواً وأدغمت في الواو (فاء الكلمة) فقيل (أول) ؛ وإن كان من آل يؤول ، فأصله (أأول)، قلب فجاء (أعفل) مقلوباً من أفعل ، فسهل وأبدل وأدغم[2] .

-المسألة الثانية : دلالة جمع المؤنث السالم :

وذلك عند قوله سبحانه : (وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ) (البقرة : ٢٠٣) ، جاء في الجامع[3] : ((قال الكوفيون : الألف والتاء في (معدودات) لأقل العدد ، وقال البصريون : هما للقليل والكثير ؛ بدليل قوله تعالى : (وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ) (سبأ : ٣٧) والغرفات كثيرة)).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز الإيداع لرسائل الجامعية

-المسألة الثالثة : الدلالة العددية للفظة (تبع):

نقل القرطبي في الآية : (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) (غافر :٤٧) رأي البصريين والكوفيين في كلمة (تبع) من حيث العدد ، من غير أن يبدي رأيه فيها ، قائلاً[4] : ((التبع يكون واحداً ويكون جمعاً في قول البصريين ، واحده تابع . وقال أهل الكوفة : هو جمع لا واحد له كالمصدر ؛ فلذلك لم يجمع ، ولو جمع لقيل أتباع)) .

-المسألة الرابعة : أصل اشتقاق لفظ (ناس)(٥) :

وذلك في سياق تفسير قول الله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ) (البقرة:٨) يقول القرطبي[1]: ((اختلف النحاة في لفظ ناس ؛ فقيل : هو

([1]) كلا قولي الكوفيين منسوب إلى الفراء ؛ ينظر المنصف : ٢٠٢/٢، والممتع في التصريف : ٥٦٤/٢.

([2]) أي صارت الواو التي هي عين الكلمة في (أأول) قبل الهمزة الثانية التي هي فاء الكلمة في (أفعل) ، فأصبح (أوأل) على وزن (أعفل) ، ثم سهلت الهمزة الثانية وأبدلت واواً ، فأدغمت بالواو التي هي عين الكلمة فصارت (أول).

([3]) الجامع : ٥/٣.

([4]) نفسه : ٣٠٧/١٥

([5]) ينظر: بدائع الفوائد : ٣٣٣/٢-٣٣٤ ، وفيه ذكر الأقوال في هذه المسألة وترجيح الأقوى منها.

اسم من أسماء الجموع ، جمع إنسان وإنسانة على غير اللفظ ، وتصغيره نويس[٢] . فالناس من النوس وهو الحركة ؛ يقال : ناس ينوس ؛ أي تحرك ... وقيل : أصله من نسي ، فأصل (ناس) نسي ، قلب فصار (نيس) ، تحركت الياء فانفتح ما قبلها ، فانقلبت ألفاً ، ثم دخلت الألف واللام ؛ فقيل : الناس)).

وفي الموضع ذاته تطرق القرطبي إلى اختلاف الآراء في لفظة (إنسان)[٣] ، فمنهم من قال إنه مأخوذ من النسيان ، وعلى هذا فالهمزة زائدة[٤] ، ومنهم من ذهب إلى أنه مأخوذ من الأنس ، والهمزة أصلية[٥] .

-المسألة الخامسة : الاختلاف في همز (معائش ومصائب)(٦):

أشار القرطبي إلى اختلاف العلماء في جواز همز (معائش ومصائب) بين مؤيد ومعارض ، وذلك في معرض تفسيره قوله جل وعلا : (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ) (الأعراف : ١٠) فقد قال[٧] : ((والمعايش جمع معيشة ... ومعيشة في قول الأخفش وكثير من النحويين مفعلة ؛ وقرأ الأعرج (معائش) بالهمز ، وكذا روى خارجة بن مصعب عن نافع . قال النحاس[٨] : والهمز لحن لايجوز[٩] ؛ لأن الواحدة معيشة ، وأصلها معيشة ،

([1]) الجامع : ١/٢١٠-٢١١.

([2]) ينظر الكشاف : ١/٩٣.

([3]) ينظر الجامع : ١/٢١١.

([4]) هذا قول الكوفيين ، ينظر : الإنصاف في مسائل الخلاف : المسألة (١١٧) ٢/٨٠٩.

([5]) هذا قول البصريين ، المرجع نفسه : ٢/٨١١.

([6]) ينظر : المنصف ١/٣٠٧-٣١١.

([7]) الجامع : ٧/١٦٣-١٦٤.

([8]) ينظر : إعراب القرآن له : ٢/١١٥-١١٦.

([9]) قال ابن القيم في بدائع الفوائد (٤/٦٥٨-٦٥٩) ، راداً على من قال بهذا القول : ((ومن المصائب تخطئة العرب وأهل المدينة ، ونحن إنما نجهد أنفسنا في استخراج المقاييس لتوافقهم فيما تكلموا به ، فإذا كان ما ثبت عنهم خطأ ولحنا ، وخالفناهم فيه لم نكن تابعين لهم ولا قاصدين لنهج كلامهم ، ولا ريب أن المهموز في هذا الجمع هو ما كانت حروف العلة في واحده مدة زائدة ، كصحيفة ورسالة وعجوز ، فإذا همزوا ما كان حرف العلة فيه أصلياً في بعض المواضع تشبيهاً له بما هو فيه بمدة زائدة ؛ فأي خطأ يلزمهم ، وأي غلط يسجل به عليهم ، وطالما يخرجون الشيء من كلامهم عن أصله لغرض ما من تشبيه ، أو تخفيف ، أو تنبيه ؛ على أنه كان ينبغي أن يكون كذا ، ولأغراض عديدة ؛ أفتراهم لما صحح (استحوذ) ، فصححوا ما حقه الإعلال كانوا مخطئين . وكذلك لما صححوا(استوق) ؛ فهلا قلتم : إن القوم لما ألقوا الهمزة بعد ألف مفاعل فيها حرف العلة مدة في واحده لم يستنكروها في معايش ومصايب ؛ لأن الموضع موضع همز ، فليست الهمزة بشديدة الغرابة في هذا الموضع . ويالله العجب كم في اللغة من قلب وإبدال وحذف غير مقيس ، بل هو مسموع سماعاً مجرداً ، ولو تكلم بغيره لكان غلطاً وخطأ ، وإن كان

فزيدت ألف الوصل ؛ وهي ساكنة والياء ساكنة ، فلا بد من تحريك ، إذ لا سبيل إلى الحذف؛ والألف لا تحرك ، فحركت الياء بما كان يجب لها في الواحد . ونظيره من الواو منارة ومناور ، ومقام ومقاوم ، كما قال الشاعر[1] :

وإني لقوام مقاوم لم يكن جرير ولا مولى جرير يقومها

وكذا مصيبة ومصاوب ؛ هذا الجيد ،ولغة شاذة مصائب . قال الأخفش : إنما جاز مصائب ؛ لأن الواحدة معتلة . قال الزجاج : هذا خطأ يلزمه عليه أن يقول مقائم ، ولكن القول أنه مثل وسادة وإسادة[2] . وقيل : لم يجز الهمز في معايش ؛ لأن المعيشة مفعلة ، فالياء أصلية،وإنما يهمز إذا كانت الياء زائدة[3] ، مثل مدينة ومدائن ، وصحيفة وصحائف، وكريمة وكرائم ، ووظيفة وظائف وشبهه)) .

ومن الآراء التي عرضها القرطبي وكان فيها متوقفاً مكتفياً بعرضها ؛ ما قيل في لفظ الجلالة (الله) ، وكذا : (الرحمن والرحيم)[4] ؛ و (أدلى)[5] .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

-الاتجاه الثاني : الترجيح :

في هذا الاتجاه نلمح للقرطبي صوراً متعددة تدل على ترجيحه ، فهو إما يعرض أوجه الاختلاف مرجحاً أحد الأقوال ، مدعماً ترجيحه بتوجيه صرفي ينسجم مع دلالة اللفظة

مقتضى القياس . وقد ذكر ابن جني من الأمثلة التي زعم أنها وقعت غلطا في كلامهم ، ثم قال : وإنما يجوز مثل هذا الغلط عليهم لما يستهويهم من الشبه ؛ لأنهم ليست لهم قياسات يعتصمون بها ، وإنما يخلدون إلى طبائعهم . وأين هذا من كلام الإمام المقدم سيبويه حيث يقول : وليس شيء مما يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجهاً ؛ وهذا من النحاة شبيه من رد الجهمية نصوص الصفات لمخالفتها أقيستهم ، ومن رد أحاديث الأحكام عند مخالفتها الرأي ، والمقصود بالأقيسة والاستنباطات فهم المنقول ، لاتخطئته ، والله الموفق)).

([1]) البيت للأخطل . ينظر : شعر الأخطل بصنعة السكري : ٢٢٩.

([2]) علل القرطبي همز مصائب من باب تشبيه العرب الأصلي بالزائد . ينظر : الجامع ١٨٠/٢، وهذا قول سيبويه ، ينظر : كتاب سيبويه ٣٥٦/٤، والفريد في إعراب القرآن المجيد : ٢٧٤/٢، وشرح الشافية : ١٣٤/٣. وقد ذهب الخوارزمي في شرحه لمفصل الزمخشري مذهباً لطيفاً في علة همز مصائب، فقد ذكر أن علة الهمز هي التفريق بين جمع مصية وبين جمع مصاب من الصواب ؛ لأن كليهما يجمع مصاوب؛ فأبدلت الواو همزة في جمع مصيبة للتفرقة بين الجمعين. ينظر شرح المفصل للخوارزمي : ٤١٤/٤.

([3]) ينظر : شرح التعريف بضروري التصريف : ١١٢-١١٥.

([4]) ينظر : الجامع : ١١٨/١-١٢٢ في تفسير البسملة .

([5]) نفسه : ١٥٧/٩، في تفسير الآية (١٩) من سورة يوسف .

في سياق الآية ؛ وذلك نحو ماجاء في تفسيره لقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ) (البقرة :٢٤٣) حيث استعرض أقوالاً في الدلالة العددية لكلمة(ألوف) التي هي جمع ألف (قال بعضهم : كانوا ست مئة ألف . وقيل : كانوا ثمانين ألفاً . ابن عباس : أربعين ألفاً. أبو مالك : ثلاثين ألفاً. السدي: سبعة وثلاثين ألفاً . وقيل : سبعين ألفاً ؛ قاله عطاء بن أبي رباح . وعن ابن عباس أيضاً: أربعين ألفاً وثمانية آلاف ؛ رواه ابن جريج . وعنه أيضاً : ثمانية آلاف ، وعنه أيضاً : أربعة آلاف ، وقيل : ثلاثة آلاف .

والصحيح أنهم زادوا على عشرة لقوله تعالى : (وَهُمْ أُلُوفٌ) وهو جمع الكثرة ، ولا يقال في عشرة فما دونها ألوف)[1] .

لقد رجح القرطبي زيادة عددهم على عشرة آلاف مستدلاً بذلك من لفظة (ألوف) التي جاءت على صيغة الجمع (فعول) وهي من صيغ جموع الكثرة ، فدل العدد على زيادتهم على عشرة آلاف ؛ لأن جموع الكثرة قياسها أن تزيد على عشرة ، ولو كانوا أقل من ذلك لاستعمل لفظ من جموع القلة نحو (آلاف) التي على زنة أفعال[2] .

وفي سياق تفسيره قوله سبحانه : (الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) (البقرة : ٢٢٩) تطرق القرطبي إلى مسألة فقهية خلافية نتجت من لفظة (تسريح) في الآية ، إذ إنها احتملت معنيين :

أحدهما : ترك المطلقة حتى تتم العدة من الطلقة الثانية ، فتكون أملك لنفسها ؛ هذا قول السدي والضحاك .

الثاني : تطليقها بالطلقة الثالثة ، فيكون بذلك تسريحها ؛ هذا قول مجاهد وعطاء وغيرهما .

([1]) الجامع : ٢٢٨/٣.

([2]) ينظر دلالة جموع القلة والكثرة وأوزانها في : كتاب سيبويه : ٥٦٧/٣، والصرف الوافي : ١٥٢-١٥٤ ، ومعاني الأبنية في العربية : ١٣٦.

رجح القرطبي المعنى الثاني ورأى أنه أصح لوجوه ثلاثة[1] ؛ استدل في الوجه الأول بحديث روي عن النبي صلى الله عليه وسلم يدل على أن المراد من التسريح الطلقة الثالثة، وفي الثاني ذكر أن التسريح من ألفاظ الطلاق ، وفي الوجه الثالث قال[2] : ((إن فعل تفعيلاً يعطي أنه أحدث فعلاً مكرراً على الطلقة الثانية ، وليس في الترك إحداث فعل يعبر عنه بالتفعيل)).

ولا يخفى ما في الوجه الثالث من استدلال صرفي استنبطه القرطبي من دلالة التفعيل؛ إذ إن هذه الصيغة تدل على التكرار ، فجاء (التسريح) الذي على وزان (التفعيل) دالاً على تكرار الفعل[3] ، وهذا التكرار يتضمن إحداث الطلقة الثالثة .

وفي الآية: (فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا) (آل عمران : ١٤٦) تكلم القرطبي عن أصل (استكانوا) وزنتها ، قائلاً[4] : ((أصلها : استكنوا على افتعلوا ؛ فأشبعت فتحة الكاف فتولدت منها ألف . ومن جعلها من الكون فهي (استفعلوا) ؛ والأول أشبه بمعنى الآية)).

إن ترجيح القرطبي من أن (استكانوا) على وزان (افتعلوا) حدث فيها إشباع الفتحة بالألف ، دلالة على عنايته بارتباط اللفظة بسياق الآية ؛ لأن (استكانوا) من الاستكانة أولى من كونها من الكون على استفعلوا ، لكون معنى الاستكانة الدال على الذلة والخضوع ، منسبكاً مع الوهن والضعف في الآية .

ومن أمثلة هذه الصورة الترجيحية ، ترجيحه أحد القولين اللذين قيلا في لفظة (حرج)[5] ، وهي قراءة شاذة للفظة (حجر)[6] في الآية (١٣٨) من سورة الأنعام ، وكذلك

([1]) ينظر الجامع : ١٣١/٣.

([2]) نفسه : ١٣١/٣.

([3]) من معاني (فعل) تكثير حدوث الفعل وتكراره ، وقد سبق التطرق إلى هذا المعنى في هذه الدراسة ، يراجع ص (٨٣) من هذا البحث.

([4]) الجامع : ٢٤٢/٤.

([5]) نفسه : ٩٥/٧.

([6]) ينظر : المحتسب : ٣٤١/١.

ترجيح القول الأول في لفظة (المنسك)[1] في الآية (٣٤) من سورة الحج ، وترجيح القول الثاني في لفظة (حصور)[2] في الآية (٣٩) من سورة آل عمران .

ومن صوره الترجيحية عرض الخلاف في أصل اشتقاق لفظة ما ، ثم ترجيح أحد الأقوال ، مستدلاً بأحاديث وآثار ؛ من ذلك الحديث عن أصل اشتقاق (آدم) ، جاء في الجامع[3] : ((اختلف في اشتقاقه ، فقيل : هو مشتق من أدمة الأرض وأديمها ،وهو وجهها ؛ فسمي بما خلق منه ، قاله ابن عباس . وقيل : إنه مشتق من الأدمة وهي السمرة . واختلفوا في الأدمة ، فزعم الضحاك أنها السمر ، وزعم النضير أنها البياض ، وأن آدم عليه السلام كان أبيض ، مأخوذ من قولهم : ناقة أدماء ؛ إذا كانت بيضاء . وعلى هذا الاشتقاق جمعه أدم وأوادم ، كحمر وأحامر ، ولا ينصرف بوجه . وعلى أنه مشتق من الأدمة جمعه آدمون ؛ ويلزم قائلو هذه المقالة صرفه.

قلت : الصحيح أنه مشتق من أديم الأرض ...)) ، ثم يستدل على قوله بما ورد من أحاديث وآثار عن السلف ؛ لولا خشية الإطالة لأوردتها ، فليرجع إليها في تفسيره[4] .

ومن الصور أيضاً ، أن يثبت قولاً ، ويجعله مقدماً على سائر الأقوال ، وفي تقديمه لما أثبته إقرار منه بترجيحه له ، ومن نحو ذلك كلامه في لفظة (ذرية) ؛ إذ يقول[5] : ((أصل ذرية فعلية من الذر ؛ لأن الله تعالى أخرج الخلق من صلب آدم عليه السلام كالذرحين أشهدهم على أنفسهم[6] . وقيل : هو مأخوذ من ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرءاً : خلقهم ؛ ومنه الذرية وهي نسل الثقلين، إلا أن العرب تركت همزها والجمع الذراري...)). وهكذا يستمر في عرض بقية الأقوال في أصل (ذرية).

ومن صور ترجيحه كذلك ، أن يقر قولاً واحداً في مسألة صرفية ، من غير الإشارة أو التلميح إلى القول الآخر، مع أن المسألة فيها خلاف ؛ بل إنه قد يذهب في إقراره هذا

([1]) ينظر : الجامع : ١٢/٦٣-٦٤.

([2]) نفسه : ٤/٨٣-٨٤.

([3]) نفسه : ١/٢٩٣-٢٩٤.

([4]) ينظر الجامع : ١/٢٩٤-٢٩٥.

([5]) نفسه : ٢/١١٤.

([6]) يلمح القرطبي – رحمه الله – في هذا المقام إلى قوله سبحانه : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ (الأعراف : ١٧٢) وينظر تفسيره لهذه الآية : ٧/٢٩٩-٣٠٣.

إلى خلاف ما ذهب إليه معظم الصرفيين ، من ذلك إقراره إبدال الياء المنقلبة عن الهمزة تاء وإدغامها في تاء افتعل ، في الفعل المبدوء بهمزة ، نحو (اتخذ)[1] ، أصلها (ائتخذ) من الفعل (أخذ) خففت الهمزة ، فقلبت ياء ، فصارت (ايتخذ) ثم أبدلت الياء تاء ، وأدغمت في تاء افتعل ، فقيل (اتخذ) ؛ وهذا القول جوزه بعض البغاددة[2] ، بينما ذهب كثير من العلماء إلى عدم جواز إبدال الياء المخففة من الهمزة تاء ، وإدغامها في تاء افتعل ؛ لأن الياء غير لازمة ؛ لكونها منقلبة عن الهمزة ، وإنما تقلب الياء تاء وتدغم في تاء افتعل ، إذا كانت لازمة ، نحو (اتسر) أصلها (ايتسر) من الفعل (يسر) ، فأجروها مجرى الواو ؛ لأن الواو يكثر إبدالها تاء نحو (اتعد) أصلها (او تعد) من الفعل (وعد)[3] .

وأود أن ألفت في هذا الاتجاه الترجيحي عند القرطبي النظر إلى موقفه من الآراء البصرية والكوفية ، شأنه في ذلك شأن كثير من المتأخرين الذين أخذوا من آراء المدرستين : البصرية والكوفية ، ما يرونه مناسباً ، من غير التعصب لإحداهما ؛ ويمكننا توضيح موقفه من ذينك المدرستين فيما يأتي :

أولاً: موقفه من البصريين :

مال القرطبي في تفسره كثيراً إلى آراء البصريين وأخذ بأقوالهم ، وذلك من خلال عرض آرائهم مع آراء الكوفيين ومن ثم ترجيح البصريين، أو اعتماد أقوالهم فقط من غير الإشارة إلى قول الكوفيين ، أو عرض أقوال لبعض العلماء الذين يردون على الكوفيين ، إلى غير ذلك من مظاهر الترجيح التي سيتم عرض أمثلة منها في الآتي :

١-رجح قولهم في اشتقاق الاسم من السمو ، ورد على قول الكوفيين ، قائلاً[4] :

((اختلفوا في اشتقاق الاسم على وجهين ؛ فقال البصريون : هو مشتق من السمو وهو العلو والرفعة ، فقيل : اسم لأن صاحبه بمنزلة المرتفع به . وقيل : لأن الاسم يسمو بالمسمى فيرفعه عن غيره ؛ وقيل: إنما سمي الاسم اسماً ؛ لأنه علا بقوته على قسمي الكلام: الحرف والفعل؛ والاسم أقوى منهما بالإجماع لأنه الأصل ؛ فلعلوه عليهما سمي اسماً ؛ فهذه ثلاثة أقوال.

([1]) ينظر الجامع : ١/٤٠٣.

([2]) ينظر : شرح الشافية : ٣/٨٣..

([3]) ينظر : كتاب سيبويه : ٤/٣٣٨، والتكملة : ٥٨١، وشرح المفصل للخوارزمي : ٤/٣٨٠، وشرح الشافية : ٣/٨٣، وشرح التعريف بضروري التصريف : ٢١٤.

([4]) الجامع : ١/١١٧ (المقدمة).

وقال الكوفيون : إنه مشتق من السمة وهي العلامة ؛ لأن الاسم علامة لمن وضع له؛ فأصل اسم على هذا (وسم)[1].

والأول أصح ؛ لأنه يقال في التصغير سمي[2] ، وفي الجمع أسماء[3] ؛ والجمع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها ؛ فلا يقال : وسيم ولا أوسام)).

إن القرطبي في ترجيحه للبصريين في هذه المسألة لم يكتف بما استدل به في التصغير والجمع ؛ بل تعدى ذلك ليستدل على صحة مذهب البصريين بمسألة عقائدية ، قائلاً [4]: ((ويدل على صحته[5] أيضاً فائدة الخلاف ، وهي :

... من قال الاسم مشتق من العلو ، يقول : لم يزل الله سبحانه موصوفاً قبل وجود الخلق ، وبعد وجودهم ، وعند فنائهم؛ ولا تأثير لهم في أسمائه ولا صفاته ؛ وهذا قول أهل السنة.

ومن قال الاسم مشتق من السمة ، يقول : كان الله في الأزل بلا اسم ولا صفة ، فلما خلق الخلق جعلوا له أسماء وصفات ، فإذا أفناهم بقي بلا اسم ولا صفة ؛ وهذا قول المعتزلة ،وهو خلاف ما أجمعت عليه الأمة ، وهو أعظم في الخطأ من قولهم : إن كلامه مخلوق ، تعالى الله عن ذلك)).

٢-ذهب مع البصريين في أن (صيباً) أصلها : صيوب- على زنة فيعل – (اجتمعت الياء والواو ، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء وأدغمت ؛ كما فعلوا في ميت وسيد وهين ولين)[6].

وبعد أن قال بقول البصريين من غير أن ينسبه إليهم ، تأكيداً منه بإقرار قولهم ، نقل قول بعض الكوفيين ، مع نسبة القول إليهم، ثم الرد على قولهم بما نقله عن النحاس ؛ فقد

([1]) ينظر رأي البصريين والكوفيين في هذه المسألة في : الإنصاف في مسائل الخلاف : المسألة الأولى .

([2]) ((الأصل في سمي : سميو ؛ إلا أنه لما اجتمعت الياء والواو والسابق منهما ساكن قلبوا الواو ياء ، وجعلوهما ياء مشددة ... وإنما وجب قلب الواو إلى الياء دون قلب الياء إلى الواو ؛ لأن الياء أخف من الواو ، فلما وجب قلب أحدهما إلى الآخر كان قلب الأثقل إلى الأخف أولى من قلب الأخف إلى الأثقل)) . المرجع نفسه ١٣/١-١٤.

([3]) ((الأصل في أسماء : أسماو ؛ إلا أنه لما وقعت الواو طرفاً وقبلها ألف زائدة قلبت همزة ، كما قالوا : سماء ، وكساء ، ورجاء، ونجاء ؛ والأصل فيه: سماو ، وكساو، ورجاو، ونجاو؛ لقولهم: سموت، وكسوت، ورجوت، ونجوت)).المرجع نفسه١٤/١

([4]) الجامع ١١٧/١-١١٨(المقدمة).

([5]) أي على صحة أن الاسم مشتق من السمو .

([6]) الجامع : ٢٣٤/١ ، وينظر رأي البصريين هذا في : كتاب سيبويه : ٣٦٥/٤، والمقتضب : ١٢٤/١، والإنصاف في مسائل الخلاف : المسألة (١١٥).

قال[1] : ((وقال بعض الكوفيين: أصله صويب على مثال فعيل [2] . قال النحاس[3] : لو كان كما قالوا لما جاز إدغامه ، كما لايجوز إدغام طويل)).

٣-مال إلى قول الخليل في وزان (توراة) على فوعلة والأصل : وورية[4] ، وذلك بعد أن عرض قولي الفراء بأنها على وزان تفعله أو تفعلة ، بفتح العين وكسرها ، وأصلها : تورية ؛ وقول الخليل السابق ، ثم قال[5] : ((وبناء فوعلة أكثر من تفعلة)) .

٤-الأخذ بقول البصريين في أن الفعل المعتل فاؤه بالواو ، الذي يأتي على وزن (فعل) تحذف منه الواو في صيغة مضارعة الموزون بـ (يفعل) بكسر العين ؛ لوقوع الواو بين الياء والكسرة نحو (يعد ويقي)[6] ؛ جاء ذلك بعد أن نقل قولهم الآنف الذكر ، وألحقه بقول الكوفيين في أن علة حذف الواو هي التفرقة بين اللازم والمتعدي ؛ إذ إن هذا الحذف لا يكون إلا في الأفعال المتعدية فقط[7].

والذي يبرز أخذه قول البصريين أنه بعد أن عرض القولين ، أورد تعقيب محمد بن يزيد المبرد على قول الكوفيين بأنه خطأ ؛ لأن العرب تحذف الواو في اللازم فتقول : ورم يرم[8].

كما يظهر جلياً ميل القرطبي للبصريين في هذه المسألة والأخذ بقولهم ما جاء في تفسيره قول الله سبحانه : (وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً) (آل عمران : ٨) حيث قال[9] : ((يقال : وهب يهب ، والأصل يوهب بكسر الهاء . ومن قال : الأصل يوهب بفتح الهاء

([1]) الجامع ٢٣٤/١.

([2]) هذا القول منسوب إلى الفراء الكوفي ، ينظر : المنصف : ٩٧/٢-٩٨، والإنصاف في مسائل الخلاف : المسألة (١١٥) ، والممتع في التصريف : ٥٠١/٢ ، وشرح الشافية ١٥٤/٣.

([3]) ينظر : إعراب القرآن له : ١٩٤/١.

([4]) ينظر قول الخليل في : كتاب سيبويه ٣٣٣/٤، والأصول في النحو ٢٦٩/٣، وسر صناعة الإعراب ١٤٦/١، والممتع في التصريف ٣٨٣/١، وشرح الشافية ٨١/٣-٨٢، ٢٢٠.

([5]) الجامع : ٩/٤.

([6]) ينظر : قول البصريين في : كتاب سيبويه ٥٢/٤-٥٤ ، والمقتضب : ٨٨/١+١٢٩/٢، والمسائل الحلبيات لأبي علي الفارسي : ١٢٧، والإنصاف في مسائل الخلاف : المسألة (١١٢) .

([7]) ينظر قول الكوفيين في : معاني القرآن للفراء : ١٥٠/٢، والإنصاف في مسائل الخلاف : المسألة (١١٢).

([8]) ينظر : الجامع : ٤٢٤/٢.

([9]) نفسه : ٢٥/٤.

فقد أخطأ ؛ لأنه لو كان كما قال لم تحذف الواو ، كما لم تحذف في (يوجل) . وإنما حذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة ، ثم فتح بعد حذفها ؛ لأن فيه حرفاً من حروف الحلق)).

ومع أن القرطبي قد أخذ بقولهم – في هذا النص – وهو أن علة حذف الواو ، وقوعه بين ياء وكسره ؛ إلا أنه إضافة إلى ذلك يستدل باستدلالهم ، مما يؤكد أخذه قولهم؛ فقد استدل البصريون على حذف الواو في مثل (ولغ يلغ) و(وهب يهب) مع وقوع الواو بين ياء وفتحة ، بأن الأصل في هذه الأفعال كسر العين في المضارع (يفعل) ، فهي من باب : ضرب يضرب ، وإنما فتحت العين بسبب مجيء لام الفعل أو عينه من حروف الحلق؛ لأن القياس يقتضي فتح العين منه ، نحو قرأ يقرأ ، وجمع يجمع وسأل يسأل وجهد يجهد[1] .

٥-ومن مظاهر ترجيحه للبصريين أن يثبت قولهم دون أن يشير إلى قول مخالفيهم ؛ وذلك نحو إثباته أن ماجاء على وزن فاعل مما وصف به المؤنث بغير علامة التأنيث ، إنما حذفت منه تاء التأنيث حملاً على النسب[2] .

ففي معرض الحديث عن قوله تعالى : (وامرأتي عاقر) (آل عمران : ٤٠) يقول القرطبي[3] : ((يقال : رجل عاقر وأمرأة عاقر ، بينة العقر . وقد عقرت وعقر (بضم القاف فيهما) تعقر عقراً ؛ صارت عاقراً ، مثل حسنت تحسن حسناً ؛ عن أبي زيد . وعقارة أيضاً . وأسماء الفاعلين من فعل : فعيلة ؛ يقال : عظمت فهي عظيمة، وظرفت فهي ظريفة وإنما قيل : عاقر ؛ لأنه يراد به ذات عقر على النسب ، ولو كان على الفعل ، لقال : عقرت فهي عقيرة ، كأن بها عقراً ، أي كبراً من السن يمنعها من الولد)).

وكذا إثباته أن تفعال بكسر التاء لم يأت منه مصدر غير حرفين : تلقاء وتبيان ، وبقية المصادر بالفتح مثل تيسار وتهمام وتذكار[4] ؛ وهذا قول البصريين[5] .

([1]) ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف: المسألة (١١٢) ٢/٧٨٤.

([2]) ينظر هذا القول للبصريين في : التكملة ٣٥٦-٣٥٧ ، والإنصاف في مسائل الخلاف: المسألة (١١١).

([3]) الجامع : ٤/٨٥.

([4]) نفسه : ٧/٢٠٨.

([5]) ينظر : دقائق التصريف : ٤٨-٤٩.

٦-ومن مظاهر هذا الموقف من البصريين أن يصفهم بأوصاف تدل على مكانتهم وعظيم شأنهم عنده ؛ من ذلك وصفهم بالحذاق في حديثه عن الآية : (وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّار) (الكهف: ٥٣) ، فقد قال[1] : ((رأى : أصله (رأي) فقلبت الياء ألفاً لانفتاحها وانفتاح ما قبلها ، ولهذا زعم الكوفيون أن (رأى) يكتب بالياء ، وتابعهم على هذا القول بعض البصريين . فأما البصريون الحذاق ؛ منهم محمد بن يزيد فإنهم يكتبونه بالألف . قال النحاس: سمعت علي بن سليمان يقول : سمعت محمد بن يزيد يقول : لايجوز أن يكتب مضي ورمي وكل ما كان من ذوات الياء إلا بالألف ، ولا فرق بين ذوات الياء وبين ذوات الواو في الخط ، كما أنه لا فرق بينهما في اللفظ ، ولو وجب أن يكتب ذوات الياء بالياء ، لوجب أن يكتب ذوات الواو بالواو ، وهم مع هذا يناقضون فيكتبون (رمي) بالياء و (رماه) بالألف ، فإن كانت العلة أنه من ذوات الياء وجب أن يكتبوا رماه بالياء ؛ ثم يكتبون ضحاً جمع ضحوة ، وكساً جمع كسوة ، وهما من ذوات الواو ، بالياء ؛ وهذا مالا يحصل ولا يثبت على أصل)) .

إن ترجيح القرطبي للبصريين في هذا النص يتضح بما يأتي :

أ-إقراره قلب الياء ألفاً في بداية النص .

ب-رفع شأن البصريين الذين يرون كتابة الياء بالألف ، وذلك من خلال وصفهم بالحذاق ، ومن جهة أخرى التقليل من قول الكوفيين بقوله : (زعم الكوفيون) مما يدل على إنكاره قولهم ، ويلحظ أيضاً عدم وصف البصريين الذين تابعوا الكوفيين فيما ذهبوا إليه ، بل التقليل منهم بقوله : (وتابعهم على هذا القول بعض البصريين) وذلك باستعمال (بعض) .

ج-نقله لكلام محمد بن يزيد المبرد أحد أئمة البصريين ، الذي نقله من النحاس عن علي بن سليمان الأخفش الأصغر ،في الرد على الكوفيين ، دلالة على ترجيحه قول البصريين ، إذ أنه لو كان يميل إلى قول الكوفيين لنقل عنهم ما يدعم قولهم .

([1]) الجامع : ١١/٧-٨.

وفي حديثه عن لفظة (ميت) في الآية : (فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ) (فاطر : ٩) يصفهم بالحذاق أيضاً ، قائلاً[١] : ((ميت وميت واحد، وكذا ميتة وميتة ، هذا قول الحذاق من النحويين)) ، ثم يبين أن هذا القول منسوب إلى البصريين[٢] بما نقله عن المبرد قوله[٣] : ((هذا قول البصريين)).

وقد يصف ماذهب إليه البصريون أنه موافق لما جاء به القرآن ؛ وذلك نحو كلامه عن لفظة (سلطان) في قوله تعالى : (أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ) (الروم : ٣٥) ، حيث قال[٤] : ((زعم الفراء أن العرب تؤنث السلطان ، تقول : قضت به عليك السلطان . فأما البصريون فالتذكير عندهم أفصح ، وبه جاء القرآن ، والتأنيث عندهم جائز ؛ لأنه بمعنى الحجة)).

إن هذه المظاهر الترجيحية للبصريين لا تعني إطلاقاً موافقة القرطبي التامة لهم في كل ما صدر منهم ، فإنه وإن كان يميل إليهم كثيراً ، إلا أنه كان أيضاً في الوقت ذاته يتخير لنفسه ما يراه مناسباً من آراء اللغويين السابقين له ، بصرف النظر عن كون صاحب ذلك الرأي بصرياً أو كوفياً ، وهذا ما سيبدو لنا واضحاً في الحديث عن موقفه من الكوفيين لاحقاً ، وكذا من خلال إعراضه عن أقوال بعض العلماء البصريين من ذلك :

أ-عدم ترجيح قول الخليل والزجاج في لفظة (نبات)[٥] في الآية : (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً) (نوح: ١٧) ، فقد ذهب القرطبي إلى أن نباتاً في سياق هذه الآية جاء مصدراً على غير المصدر[٦] ، ثم نقل قول الخليل والزجاج بأنه مصدر محمول على المعنى – أي على فعل مقدر – ؛ لأن معنى (أنبتكم) جعلكم تنبتون نباتاً ، ونقل كذلك

---

(1) الجامع : ١٤/٣١٤-٣١٥.

(2) وينظر أيضاً نسبة هذا القول إلى البصريين في : الإنصاف في مسائل الخلاف : المسألة (١١٥) ٢/٧٩٨.

(3) الجامع : ١٤/٣١٤-٣١٥.

(4) الجامع : ١٤/٣٦.

(5) نفسه : ١٨/٢٩٢-٢٩٣.

(6) يقصد بذلك اسم المصدر ؛ سيأتي الحديث عن ذلك في مبحث المصطلحات .

قولاً آخر غير منسوب لأحد بأنه مصدر صريح ، ثم قال مرجحاً لقوله الذي بدأ به[1] : ((والأول أظهر)) .

ب-لم يأخذ بقول سيبويه في أن (مثوبة) على وزن مفعلة وليست على وزن مفعولة ؛ لأن المصدر لا يكون على وزن مفعولة[2] ، بل ذهب على خلاف هذا القول ، وقال بما رده سيبويه ، وذلك في سياق تفسير قول الله سبحانه : (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّه) (المائدة : ٦٠) فقد ذهب القرطبي إلى أن مثوبة أصلها مفعولة – أي مثووبة – ، ألقيت حركة الواو على الثاء فسكنت الواو ، وبعدها واو ساكنة ، فحذفت إحداهما ذلك ، ومثلها : مقولة ومجوزة ومضوفة على معنى المصدر[3] .

وقد يتبادر إلى الذهن أن القرطبي ربما لم يطلع على رأي سيبويه ، والصحيح خلاف ذلك ؛ لأنه قد ذكر قول سيبويه من غير أن ينسبه إليه ، وذلك في خاتمة حديثه عن مثوبة بعد أن أقر أنها على وزان مفعولة ، إذ قال[4] : ((وقيل[5] : مفعلة كقولك مكرمة ومعقلة)).

مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولقد وددت والحديث مرتبط بسيبويه والقرطبي أن أصحح ما نسبه القرطبي إلى سيبويه خطأ من تذكيره لفظة (الطاغوت) ، فقد جاء في الجامع[6] : ((والطاغوت مؤنثة من طغى يطغى – وحكى الطبري : يطغو – ، إذا جاوز الحد بزيادة عليه . ووزنه فعلوت ، ومذهب سيبويه أنه اسم مذكر مفرد كأنه اسم جنس يقع للقليل والكثير).

بينما مذهب سيبويه تأنيث الطاغوت ، جاء في الكتاب[7] : ((فأما الطاغوت فهو اسم واحد مؤنث ، يقع على الجميع كهيئة للواحد)).

ثانياً: موقفه من الكوفيين :

---

(1) الجامع : ٢٩٣/١٨.

(2) ينظر : كتاب سيبويه : ٣٤٩/٤.

(3) ينظر : الجامع : ٢٢٣/٦.

(4) الجامع: ٢٢٣/٦.

(5) أي في وزن مثوبة .

(6) الجامع : ٢٨٠/٣.

(7) كتاب سيبويه : ٢٤٠/٣.

لقد بث القرطبي آراء الكوفيين في تفسيره إلى جانب آراء البصريين ، مقراً كليهما ، وذلك نحو ما مر معنا في منهجه التوقيفي ، مما كان يعرض فيه آراء المدرستين دون ترجيح ، وفي ذلك دليل على موافقته لهما ، بل نجده في بعض المواضع ، وإن كانت قليلة موازنة مع الآراء البصرية ، يأخذ بقول الكوفيين ، أو يستحسنها ، من ذلك :

١-أخذ بقول الفراء في عدم جواز حذف تاء التأنيث التي وضعت عوضاً عن الألف في المصادر المعتلة ، من نحو : (إقامة ،واستقامة ، وإجازة ، واستجازة) إذا لم تضف؛ فإذا أضيفت هذه المصادر جاز حذف التاء ، لأن المضاف إليه يقوم مقامها[١] ؛ قال القرطبي في حديثه عن (إقامة)[٢] : ((والأصل إقواماً ، فقلبت حركة الواو على القاف فانقلبت الواو ألفاً وبعدها ألف ساكنة ، فحذفت إحداهما ، وأثبتت الهاء لئلا تحذفها فتجحف ، فلما أضيفت قام المضاف مقام الهاء فجاز حذفها ، وإن لم تضف لم يجز حذفها ، ألا ترى أنك تقول : وعد عدة ، ووزن زنة ، فلا يجوز حذف الهاء ؛ لأنك قد حذفت واواً ؛ لأن الأصل وعد وعدة ، ووزن وزنة)) .

وقول الفراء هذا الذي أخذه القرطبي مخالف لرأي سيبويه الذي ذهب إلى جواز حذف التاء دون تقييد بالإضافة[٣] .

٢-إثبات آراء الكوفيين في مسألة صرفية دون إشارة إلى رأي البصريين، مما يدل على ترجيحه للكوفيين والإعراض عن رأي البصريين ؛ وذلك نحو ما قيل في أصل (خطايا). ففي سياق تفسيره الآية : (نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ) (البقرة : ٥٨) نقل القرطبي رأي الخليل[٤] والفراء والكسائي فقال[٥] : ((واختلف في أصل خطايا جمع خطيئة بالهمزة ، فقال الخليل : الأصل في خطايا أن يقول : خطايئ ، ثم قلب فقيل : خطائي بهمزة بعدها ياء ، ثم تبدل من الياء ألفاً بدلاً لازماً ، فتقول : خطاءا ؛ فلما اجتمعت ألفان بينهما همزة ؛ والهمزة من جنس الألف ، صرت كأنك مثل الأول (خطايئ) ، ثم وجب بهذه أن

---

(1) ينظر : شرح الشافية : ١٦٥/١.

(2) الجامع : ٢٨٠/١٢.

(3) ينظر : كتاب سيبويه : ٨٣/٤، والأصول في النحو : ١٣٢/٣، والأفعال لابن القطاع : ١٨.

(4) ذهب الكوفيون في وزن (خطايا) مذهب الخليل في ذلك ، فقالوا إن (خطايا) على وزن فعالى ؛ وخالف البصريون ذلك فذهبوا إلى أنها على وزن فعائل . ينظر : الإنصاف في مسائل الخلاف : المسألة (١١٦).

(5) الجامع : ٤١٩/١-٤٢٠.

تهمز الياء كما همزتها في مدائن ، فتقول : خطائئ ، ولا تجتمع همزتان في كلمة ، فأبدلت من الثانية ياء ، فقلت : خطائي ، ثم عملت كما عملت في الأول .

وقال الفراء : خطايا جمع خطية بلا همز ؛ كما تقول هدية وهدايا . قال الفراء : ولو جمعت خطيئة مهموزة لقلت : خطاءا . وقال الكسائي : لو جمعتها مهموزة أدغمت الهمزة في الهمزة ، كما قلت : دواب)).

ومثل ذلك ما نقله من آرائهم في وزن (أشياء) ؛ فقد ذهب الكوفيون إلى أن (أشياء) وزنه أفعاء ، والأصل أفعلاء ، ووافقهم في ذلك الأخفش ، وذهب بعضهم إلى أن وزنه أفعال[1] ؛ وهذا ما أثبته القرطبي دون التطرق لآراء البصريين ، خلا رأي للمازني في تصغيره ، ذيل القرطبي به نصه ؛ جاء في نص القرطبي[2] : ((أشياء : وزنه أفعال ، ولم يصرف ؛ لأنه مشبه بحمراء ،قاله الكسائي[3] . وقيل : وزنه أفعلاء ، كقولك : هين وأهوناء ؛ عن الفراء والأخفش[4] . ويصغر فيقال : أشياء ؛ قال المازني : يجب أن يصغر: شييآت ، كما يصغر أصدقاء في المؤنث: صديقات ، وفي المذكر : صديقون)).

٣-ومن مظاهر ترجيحه للكوفيين أن يستحسن قولهم ، وذلك نحو ماجاء في الآية : (وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ) (آل عمران : ١٥٨) يقول القرطبي[5] : ((وأهل الحجاز يقولون : متم بكسر الميم مثل نمتم ، من مات يمات ، مثل خفت يخاف . وسفلى مضر يقولون : متم، بضم الميم ، مثل : صمتم ، من مات يموت ؛ كقولك : كان يكون ، وقال يقول . هذا قول الكوفيين وهو حسن)).

٤-ومن مظاهر ترجيحه لهم ، أن يذكر الحجة لقولهم ، وذلك نحو ما رواه عنهم وعن البصريين في الاسم المشتق (ركوب) الذي على وزان (فعول) في سياق تفسيره قول الله تعالى : (فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ) (يس : ٧٢) قائلاً [6]: ((حكى النحويون الكوفيون أن العرب تقول : امرأة صبور وشكور بغير هاء ، ويقولون : شاة حلوبة

([1]) ينظر : الإنصاف في مسائل الخلاف : المسألة (١١٨).

([2])الجامع : ٣١١/٦-٣١٢.

([3]) ينظر: المنصف : ٩٥/٢-٩٦.

([4]) نفسه : ٩٦/٢.

([5]) الجامع : ٢٥٩/٤.

([6]) نفسه : ٥٩/١٥.

وناقة ركوبة ؛ لأنهم أرادوا أن يفرقوا بين ما كان له فعل ، وبين ما كان الفعل واقعاً عليه ، فحذفوا الهاء مما كان فاعلاً وأثبتوها فيما كان مفعولاً [1]؛ كما قال[2] :

فيها اثنتان وأربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الأسحم

فيجب أن يكون على هذا ركوبتهم[3] . فأما البصريون فيقولون : حذفت الهاء على النسب.

والحجة للقول الأول ، ما رواه الجرمي عن أبي عبيده قال : الركوبة تكون للواحد والجماعة ، والركوب لا يكون إلا للجماعة ؛ فعلى هذا يكون لتذكير الجمع)).

الاتجاه الثالث : الاجتهاد :

في هذا الاتجاه يبرز لنا قدر القرطبي ، وأصالة آرائه وحصافتها ؛ فهو في هذا المقام مجتهد صاحب رأي مستقل ، لايكتفي بنقل الآراء نقلاً مجرداً أو بترجيحها ، بل نجده هنا محاولاً أن تكون له آراء اجتهادية يحاول أن يقررها بوضوح محتجاً لها بالبرهان والدليل .

إن هذا الاتجاه الذي نهجه القرطبي في تفسيره لم يكن قاصراً على المسائل الصرفية، بل هو سمة بارزة المعالم في تفسيره بصورة عامة ، سواء أكان ذلك في الفقه أو اللغة أو النحو أو الصرف ، إلى غير ذلك ؛ بيد أنني سأقتصر على الجانب الصرفي انسجاماً وتوافقاً مع متطلبات هذه الدراسة الصرفية ؛ وإن كانت آراؤه في هذا الجانب قليلة ، إلا أنها تنبئ عن شخصية اجتهادية مستقلة برأيها الحصيف ، فمن أمثلة اجتهاداته :-

١-ما ذهب إليه في جمع إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ، بعد أن نقل فيها آراء العلماء الآتية[4] :

أ-رأي الخليل وسيبويه أن إبراهيم يجمع: براهيم ، وإسماعيل : سماعيل .

ب-رأي الكوفيين الموافق لرأي الخليل وسيبويه ، وحكوا : براهمة وسماعلة ، وحكوا أيضاً : براهم وسماعل . وفي جمع إسحاق حكوا أساحقة وأساحق ، وفي يعقوب : يعاقيب ويعاقبة ويعاقب .

([1]) ذكر ابن السكيت المنتسب للكوفيين أن فعولاً بمعنى مفعول ، تدخل الهاء فيه على مؤنثه ، ينظر : إصلاح المنطق : ٣٥٨.

([2]) البيت لعنترة في معلقته ؛ ينظر : دقائق التصريف : ٧٥، وشرح المعلقات السبع : ١٩٤.

([3]) قرئ (فمنها ركوبتهم) بالتأنيث ، ونسبت هذه القراءة إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي قراءة شاذة . ينظر الجامع ٥٨/١٥، والمحتسب . ٢٦٢/٢-٢٦٣.

([4]) ينظر : الجامع : ١٤٦/٢-١٤٧.

ج-رأي المبرد المخطئ لمن أسقط الهمزة في جمع إبراهيم وإسماعيل قائلاً : ((هذا غلط ؛ لأن الهمزة ليس هذا موضع زيادتها ، ولكن أقول : أبـــاره ، ،وأســـامع ، ويجوز أباريه وأساميع)).

د-رأي أحمد بن يحيى ثعلب بجواز جمع إبراهيم على براه ، كما يقال في التصغير : بريه.

يقول القرطبي بعد عرضه لهذه الآراء مجتهداً [1]: ((والباب في هذا كله أن يجمع مسلماً فيقال : إبراهيمون وإسحاقون ويعقوبون ، والمسلم لا عمل فيه)) . فهو يذهب إلى جمعها جمعاً مذكراً سالماً .

٢-اجتهاده في استنباط معنى ما بتوجيه صرفي ، يخالف فيه آراء غيره ؛ من ذلك ما قيل في معنى (مخلقة وغير مخلقة) في قوله تعالى : (فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُـــمَّ مِـــنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ) (الحـــج: ٥) حيـــث أورد أقوال العلماء في معناهما ، ثم اجتهاده في دلالتهما قائلاً[2] : ((قال الفراء : (مخلقـــة) تامة الخلق ، (وغير مخلقة) السقط . وقال ابن الأعرابي : (مخلقة) قد بدأ خلقها ، (وغير مخلقة) لم تصور بعد . ابن زيد : المخلقة : التي خلق الله فيها الرأس واليدين والرجلين ، وغير مخلقة : التي لم يخلق فيها شيء.

قال ابن العربي : إذا رجعنا إلى أصل الاشتقاق فإن النطفة والعلقة والمضغة مخلقة ؛ لأن الكل خلق الله تعالى ، وإن رجعنا إلى التصوير الذي هو منتهى الخلقة ، كما قـــال الله تعالى : (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ) (المؤمنون : ١٤) فذلك ما قال ابن زيد .

قلت[3] : التخليق من الخلق ، وفيه معنى الكثرة ، فما تتابع عليه الأطوار فقد خلق خلقاً بعد خلق ، وإذا كان نطفة فهو مخلوق ، ولهذا قال الله تعالى : (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقـــاً آخَرَ) (المؤمنون: ١٤))).

إن مما يلحظ في توجيه القرطبي التماسه المخرج الصرفي في بيان دلالة (مخلقـــة) المشتقة من التخليق ، وإذا كانت كذلك ، فإن التخليق الذي على زنة (التفعيل) قد أفاد معنى الكثرة الذي دلت عليه صيغة التفعيل ؛ فكان المعنى تتابع الأطوار عليه خلقاً بعد خلق .

---

(1) نفسه : ١٤٧/٢.

(2) الجامع : ١٣/١٢.

(3) القول للقرطبي .

وكذا التماسه المخرج الصرفي في استنباط رأي متفرد فيه عن آراء غيره ؛ في تفسيره الآية : (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً) (النبأ : ٢١) إذ يقول في المرصاد[1] : ((مفعال من الرصد ؛ والرصد : كل شيء كان أمامك . قال الحسن : إن على النار رصداً ، لايدخل أحد الجنة حتى يجتاز عليه ، فمن جاء بجواز جاز ، ومن لم يجئ بجواز حبس .. وقيل (مرصاداً) ذات أرصاد على النسب ؛ أي ترصد من يمر بها . وقال مقاتل : محبساً . وقيل : طريقاً وممراً، فلا سبيل إلى الجنة حتى يقطع جنهم . وفي الصحاح : والمرصاد : الطريق . وذكر القشيري : أن المرصاد المكان الذي يرصد فيه الواحد العدو ؛ نحو : المضمار : الموضع الذي تضمر فيه الخيل ؛ أي هي معدة لهم ؛ فالمرصاد بمعنى المحل ؛ فالملائكة يرصدون الكفار حتى ينزلوا بجهنم . وذكر الماوردي عن أبي سنان أنها بمعنى راصدة ، تجازيهم بأفعالهم . وفي الصحاح : الراصد الشيء: الراقب له ؛ تقول : رصده يرصده رصداً ورصداً ، والترصد : الترقب . والمرصد : موضع الرصد. والأصمعي : رصدته أرصده : ترقبته ، وأرصدته: أعددت له . والكسائي مثله .

قلت[2] : فجهنم معدة مترصدة ، متفعل من الرصد وهو الترقب ؛ أي هي متطلعة لمن يأتي . والمرصاد : مفعال من أبنية المبالغة كالمعطار والمغيار ، فكأنه يكثر من جهنم انتظار الكفار)).

٣-الاجتهاد بما يستدله من القرآن الكريم أو الشعر العربي في تدعيم مسألة صرفية ، وذلك نحو اعتراضه على ابن فارس والجوهري في كون (الحجارة) استعمالاً نادراً في جمع الكثرة ، حيث أورد من القرآن شواهد تدل على كثرة استعماله ، فيناقض بذلك ما ذهبا إليه ؛ جاء ذلك في معرض حديثه عن قوله سبحانه : (فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ) (البقرة : ٦٠) فقد قال[3] : ((والحجر معروف وقياس جمعه في أدنى العدد أحجار ، وفي الكثير حجار وحجارة ، والحجارة نادر ، وهو كقولنا : جمل وجمالة ، وذكر وذكارة؛ كذا قال ابن فارس والجوهري.

قلت[4] : وفي القرآن : (فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ) (وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ) (البقرة : ٧٤) (قُلْ كُونُوا حِجَارَةً) (الإسراء : ٥٠) (تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ) (الفيل : ٤) (وَأَمْطَرْنَا

([1]) الجامع : ١٩/١٧٠-١٧١.

([2]) القول للقرطبي .

([3]) الجامع : ١/٤٢٤.

([4]) القول للقرطبي .

عَلَيْهِمْ حِجَارَةٌ) (الحجر : ٧٤) فكيف يكون نادراً إلا أن يريد أنه نادر في القياس كثير في الاستعمال فصيح ، والله أعلم)).

وفي حديثه عن لفظة (واد) في الآية (١٢١) من سورة التوبة ، ذكر أن العرب تستعمل أودية في جمع واد على غير قياس ، ثم استعرض قول النحاس في أن قياس جمعه (ووادي) ، فاستثقلوا الجمع بين واوين ؛ ونقل عن الفراء أن وادياً يحكى في جمعه أوداء .

وبعد استعراضه لهذه الأقوال أضاف القرطبي – مجتهداً في ذلك – جمعاً آخر غير متداول استقاه من الشعر العربي ، قائلاً[1] : ((قلت : وقد جمع أوداه ؛ قال جرير [2]:

عرفت ببرقة الأوداه[3] رسماً محيلاً طال عهدك من رسوم))

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

([1]) الجامع : ٨/٢٧٠.

([2]) ينظر : ديوان جرير : ٣٩٨.

([3]) هكذا ورد اللفظ في لسان العرب ، مادة (ودي) ، أما في ديوانه فقد ورد لفظ (الوداء) ، وجاء في شرح ديوانه في الهامش رقم (٢) : الوداء : واد أعلاه لبني العدوية والتيم وأسفله لبني كليب وضبة ينظر : شرح ديوان جرير : ٤٩٤.

المبحث الثالث

الشواهد والمصطلحات

أولاً: الشواهد :

تعد الشواهد دعامة من الدعامات التي يستعان بها في توضيح المسائل ، وتقريب مفهومها ،والتدليل لها ؛ ومن هذا المنطلق وجدنا القرطبي قد أثرى تفسيره بالشواهد المتنوعة التي نمت عن سعة إطلاعه ، وقوة استدلاله في توضيح مسألة ما بالحجة والبرهان .

وبما أن الحديث في هذه الدراسة مرتبط بالدرس الصرفي الذي هو فرع من علوم اللغة العربية ، فإن أوليات المصادر التي استشهد بها في اللغة بمستوياتها المختلفة ، القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، والشعر الفصيح ؛ والسبب في ذلك أن هذه المصادر قد حوت في طياتها اللغة العربية الفصحى ، أكثر من احتواء غيرها على ذلك ؛ لذا نجد المفسرين واللغويين قد اعتنوا بها في مؤلفاتهم مستشهدين بها فيما يعترض لهم من مسائل اللغة .

وقد سار القرطبي سير هؤلاء في الاستشهاد بها ، متبعاً في ذلك منهجاً معيناً ، سيتم الحديث عنه في هذا المبحث ، على وفق أهمية هذه المصادر من حيث مكانتها في اللغة ، وحسب قوة الاحتجاج بها.

١-الاستشهاد بالقرآن الكريم :

لم يكن هنالك خلاف في فصاحة القرآن الكريم ، وبلاغته التي تحدى بها العرب الفصحاء ؛ فالقرآن سيد الحجج في توثيق الألفاظ ؛ لأنه كلام الله الذي هو فوق كل كلام ، فجاء بأفصح بيان . قال الله تعالى في وصفه : (وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (النحل:١٠٣) وقال سبحانه : (قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) (الزمر : ٢٨) وغيرها من الآيات الدالة على ذلك.

لذا اهتم العلماء المتقدمون والمتأخرون به ؛ وجعلوه المصدر الأول من مصادر اللغة المسموعة ، في الاحتجاج به في علوم اللغة ، وفي الاعتماد عليه في استنباط قواعد اللغة بمستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية .

وقد استعان القرطبي بالقرآن الكريم في الاستشهاد والتدليل على بعض المسائل الصرفية ؛ من ذلك ما جاء في تفسير قوله تبارك وتعالى : (وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ) (البقرة : ١٦٤) حيث استشهد بالقرآن في إثبات مجيء لفظة (الفلك) مفرداً وجمعاً ومذكراً ومؤنثاً بلفظ واحد ، فقال[1] : ((والفلك : السفن ، وإفراده وجمعه بلفظ واحد ، ويذكر ويؤنث ؛ وليست الحركات في المفرد تلك بأعيانها في الجمع ، بل كأنه بني الجمع بناءً آخر ؛ يدل على ذلك توسط التثنية في قولهم : فلكان . والفلك المفرد مذكر ؛ قال الله تعالى : (فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) (يس : ٤١) فجاء به مذكراً ، وقال : (وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ) فأنث ؛ ويحتمل واحداً وجمعاً . وقال : (حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) (يونس : ٢٢) فجمع ؛ فكأنه يذهب بها إذا كانت واحدة إلى المركب فيذكر، وإلى السفينة فيؤنث)) .

وفي تفسير قوله سبحانه : (وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) (الأنعام : ٥٥) بين القرطبي أن السبيل يذكر ويؤنث ، وأن ذلك عائد إلى اختلاف اللهجات ؛ فالتميميون يذكرونه ، والحجازيون يؤنثونه ، وقد جاء في التنزيل التذكير والتأنيث ؛ فالتذكير قوله جل وعلا : (وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً) (الأعراف : ١٤٦) والتأنيث قوله عز وجل:(لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً) (آل عمران: ٩٩)[2] .

ومن استشهاده بالقرآن ، ما استشهد به في إدغام تاء التفاعل أو التفعل في فاء الفعل ، إذا كانت الفاء قريبة المخرج منها. فقد ذكر أن (اثاقلتم) في قول الله تعلى : (إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ) (التوبة : ٣٨) أصله : (تثاقلتم) أدغمت التاء في الثاء لقربها ، واحتاجت إلى ألف الوصل لتصل إلى النطق بالساكن ؛

([1]) الجامع : ١٩٩/٢.

([2]) ينظر : المصدر نفسه : ٤١٠/٦.

ومثله: ((اداركوا)) (الأعراف : ٣٨) ، و ((ادارأتم)) (البقرة : ٧٢) ، و ((اطيرنا)) (النمل: ٤٧) ، و ((ازينت)) (يونس : ٢٤) [١].

وتجنباً للإطالة ، سأكتفي بعرض بعض الألفاظ القرآنية ، مع الإحالة في الهامش إلى الآيات ، وإلى استشهاد القرطبي فيها بالقرآن ، فيما يتعلق بها من مسائل صرفية ، من ذلك : آلهة ، والسماء ، ونجي ، والبر ، والحجر ، ويملل[٢] .

٢-الاستشهاد بالحديث :

لم، ولن تشهد اللغة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها كلاماً بعد القرآن الكريم ، أفصح وأبلغ من كلام سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فقد هيئ له ليكون أفصح العرب بلا منازع ، حيث نشأ في بيئة عرفت بنقاء لغتها ، وفصاحة أهلها ، ثم اختير ليكون بعد ذلك مبعوثاً للعالمين ، وحاملاً رسالة رب العالمين ، وخاتم النبيين الذي لا يصح بعد دينه دين ؛ فما كان له أن ينطق عن الهوى ، بل كان الفصيح بما إليه يوحى ؛ قال سبحانه : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (النجم : ٣، ٤) .

بيد أن العلماء المتقدمين من نحويين وصرفيين لم يستشهدوا كثيراً بالحديث ؛ لأنهم رأوا – إلى جانب أسباب أخرى – كثيراً من أقواله عليه الصلاة والسلام قد نقلت عنه بالمعنى لا باللفظ[٣].

أما المتأخرون من (نحاة الأندلس كالسهيلي (ت٥٨١هـ) وابن خروف (ت ٦٠٩هـ) وابن مالك (ت ٦٧٢هـ) ، ومن جاء بعدهم من نحاة الأمصار الأخرى قد توسعوا في الاحتجاج به)[٤].

والدارس لتفسير القرطبي يرى أن القرطبي لم يخرج على ما سار عليه معاصروه من الإكثار بالاستشهاد بالحديث ، سواء في المسائل الفقهية ، أو اللغوية ، أو النحوية[٥] ؛

---

(1) ينظر : الجامع ٨/١٣٢.

(2) ينظر على التوالي ، الآيات : ١٩/الأنعام ، ١٨/المزمل ٨٠/ يوسف ، ١٧٧/ البقرة ، ٦٠/ البقرة ، ٢٨٢/ البقرة . وينظر في الجامع على التوالي : ٢: ١٩/١٣٣: ٥٠-٥١/ ٩: ٢٤٥-٢/٢٤٦ : ٢٤٤/ ١: ٣/٤٢٤: ٣٨٣.

(3) ينظر : موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث ، للدكتورة خديجة الحديثي : ١٥ وما بعدها ، ٣٦٧ وما بعدها.

(4) المصدر نفسه : ٤٢٣.

(5) ينظر : القرطبي وجهوده في اللغة والنحو : ٢٩٤-٢٩٦.

غير أن احتجاجه بالحديث في القضايا الصرفية قليل جداً ، ولعله في ذلك ينحو منحى العلماء المتقدمين.

ومما استشهد فيه بالحديث ، ما جاء في تفسيره قوله سبحانه (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) (البقرة : ١٨٥) حيث بين أن (القرآن) مصدر بمعنى قراءة ، مستدلاً بما جاء في صحيح مسلم من أن في البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان عليه السلام ، يوشك أن تخرج ، فتقرأ على الناس قرآناً ؛ أي قراءة[١].

وكذا استشهاده بالحديث في دلالة اختلاف حركة عين الفعل المضارع في (طعن يطعن) ؛ فضم العين في المضارع يدل على الطعن بالرمح – أي الطعن الحسي – ، وفتح العين يدل على الطعن بالقول – أي الطعن المعنوي – ، ثم استدل على دلالة الطعن بالقول ، بقوله عليه الصلاة والسلام حين أمر أسامة بن زيد في إحدى الغزوات : ((إن تطعنوا[٢] في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل ، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة))[٣] .

ومن استشهاده بالحديث ، ما جاء في حديثه عن الألفاظ الآتية : نبي ، وحوب ، وأمرنا[٤].

مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٣-الاستشهاد بالشعر :

لقد اتسم منهج القرطبي في الاستشهاد بالشعر فيما يتعلق بالدرس الصرفي ، بشيء غير قليل من الصرامة والدقة العلمية ، حيث قصر شواهده على شعراء الطبقة الأولى (الجاهليين) ، وعلى أشعار الطبقة الثانية (الإسلاميين) الذين عاشوا في صدر الإسلام ، وفي عهد بني أمية ؛ ولم يستشهد بأشعار المولدين إلا في النزر القليل .

أما الشعراء الذين استشهد القرطبي بشعرهم صرفياً، فهم كثيرون ؛ فمن شعراء الجاهلية استشهد بشعر امرئ القيس[٥] ، وزهير بن أبي سلمى[٦] ، وعمرو بن كلثوم[٧] ، وطرفة بن العبد[٨] ، والأعشى[٩] ، وغيرهم .

([1])ينظر : الجامع : ٢٩٩/٢-٣٠٠.

([2]) هكذا جاءت الرواية في صحيح مسلم بشرح النووي (١٩٥/١٥) بفتح العين في الفعل (تطعنوا) .

([3]) ينظر : الجامع : ٨٠/٨.

([4]) ينظر على التوالي ، الآيات : ٦١/البقرة ، ٢/النساء ، ١٦/الإسراء . وينظر في الجامع على التوالي : ١: ٤٣٥/ ٥: ١٥-١٦/ ١٠: ٢٣٧-٢٣٨.

([5]) ينظر الجامع : ٧٤/٤، ٢٢٠/٧، ٩٥/١٩.

([6]) المصدر نفسه : ٥٩/٢.

([7]) المصدر نفسه : ٢٧٥/٥، ٣٩٩/٩.

([8]) المصدر نفسه : ٨٩/٢٠.

([9]) المصدر نفسه : ١٠٦/١، ٢٨٤/٨.

ومن الشعراء الإسلاميين ، خاصة المخضرمين : لبيد بن أبي ربيعة[1] ، وكعب بن مالك[2] ، وعمرو بن معد يكرب[3] ،والعباس بن مرداس[4] ،وأمية بن أبي الصلت[5] ، وأبو ذؤيب الهذلي[6] ، وغيرهم .

ومن شعراء العصر الأموي : الفرزدق [7]، وجرير[8] ، وذو الرمة[9] ، ورؤبة بن العجاج [10]، وغيرهم .

وبعض الأشعار يذكرها القرطبي ، إلا أنه لم ينسبها إلى قائليها ، مكتفياً في ذلك بعبارة : (قال الشاعر) ، أو (قول الشاعر) ، أو (قول الآخر) ، وغيرها من العبارات التي لا يظهر فيها نسبة الشعر إلى قائله . ومن أمثلة ذلك حديثه عن لفظة (أشد) في قوله سبحانه: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) (يوسف : ٢٢) فقد نقل رأي سيبويه أنه جمع ، ومفرده شدة، ورأي الكسائي أن مفرده شد ؛ ثم استدل فيما ذهب إليه الكسائي بقول الشاعر دون تسميته[11] :

عهدي به شد النهار كأنما خضب اللبان ورأسه بالعظلم[12]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وكذا استشهاده في مجيء (آمين) ممدودة على وزن فاعيل بقول الشاعر[13] :

يارب لا تسلبني حبها أبداً ويرحم الله عبداً قال آمينا

ومثل ذلك استدلاله باشتقاق لفظة (الشيطان) من شطن ، بقول الشاعر[14]:

---

(1) ينظر: الجامع ١/٢٧٨-٢٧٩.
(2) المصدر نفسه : ٢/٥٨.
(3) المصدر نفسه : ١٦/٦٥.
(4) المصدر نفسه : ١٣/١٠١.
(5) المصدر نفسه : ١/١٠٦.
(6) المصدر نفسه : ١/٣٣٩.
(7) المصدر نفسه : ٩/١٦٧.
(8) المصدر نفسه : ٦/٢٤٤، ٧/١٤٦.
(9) المصدر نفسه : ١/٢١٦.
(10) المصدر نفسه : ١٠/٦٤.
(11) المصدر نفسه : ٩/١٦٦.
(12) البيت لعنترة بن شداد من معلقته الشهيرة ؛ ينظر : شرح المعلقات السبع : ٢٠٩.
(13) ينظر الجامع : ١/١٤٤؛ والبيت لقيس بن الملوح (مجنون ليلى) . ينظر ديوانه : ٢١٨.
(14) ينظر الجامع : ١/١٠٥؛ والبيت للنابغة الذبياني . ينظر ديوانه : ١٢٦.

نأت بسعاد عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بها رهين

وكذا احتجاجه بقول الشاعر[1] :

دع المكارم لا تنهض لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

في مجيء صيغة فاعل بمعنى مفعول[2] .

ومن منهجه أيضاً في الاستشهاد بالشعر ، استعمال عبارات من نحو (أنشد) ؛ من ذلك قوله[3] : ((وأنشد ابن السكيت[4] :

بيضاء تصطاد القلوب وتستبي بالحسن قلب المسلم القراء)).

في استدلاله بمجيء صيغة (فعال) للمبالغة ، نحو : كبار ، وعجاب ، وطوال ، وحسان ، وجمال ؛ وكذلك (قراء) في شاهد ابن السكيت .

وفي استدلاله على إتيان أفعل بمعنى فاعل ، قال[5] : ((وأنشد أبو عبيدة أيضاً[6] :

إني لأمنحك الصدود وإنني قسماً إليك مع الصدود لأميل

أراد : لمائل)).

وقد يذكر الاسم الأول للشاعر مع احتمال هذا الاسم لأكثر من شاعر . ومن ذلك استشهاده بكون رهبان جمع راهب ؛ حيث قال[7] :((الرهبان جمع راهب ، كركبان وراكب . قال النابغة :

لو أنها عرضت لأشمط راهب عبد الإله ، صرورة متعبد

لرنا لرؤيتها وحسن حديثها ولخاله رشداً وإن لم يرشد)).

([1]) البيت للحطيئة ؛ ينظر ديوانه : ٥٣، إلا أنه جاء (لاترحل) بدلاً من (لاتنهض).

([2])ينظر الجامع : ٤٣/٩.

([3]) المصدر نفسه : ٢٩٤/١٨.

([4]) ينظر : إصلاح المنطق ، ١٠٩؛ وقد نسب فيه البيت إلى أبي صدقة الدبيري ، إلا أنه جاء في البيت (الغوي) بدلاً من (القلوب).

([5]) الجامع : ٢٤/١٤.

([6]) البيت للأحوص الأنصاري ؛ ينظر ديوانه : ١٥٣، إلا أنه جاء فيه ، (أصبحت أمنحك) بدلاً من (إني لأمنحك) ؛ وقد ورد الشاهد في كتاب سيبويه (٣٨٠/١) نحو ما أورده القرطبي في تفسيره.

([7]) الجامع : ٢٤٤/٦.

والنابغة اسم اشتهر لشاعرين هما : النابغة الذبياني ، والنابغة الجعدي ؛ إلا أن البيتين ينسبان إلى النابغة الذبياني [1]، ولعل القرطبي اكتفى بذكر الاسم الأول للنابغة ؛ لشهرة ذينك البيتين للنابغة الذبياني .

ومع ما مر معنا من منهج القرطبي في الشواهد الشعرية ، مع ذلك فإننا نجده في معظم شواهده الشعرية ينسبها إلى قائليها ، ونظير ذلك ما مر معنا آنفاً في هذا المبحث من استشهاده صرفياً بالشعراء الجاهليين والإسلاميين ، والأمويين ؛ وقد اكتفيت في ذلك بذكر بعض أسماء الشعراء الذين استشهد بهم في تفسيره ، وأحلت في الهامش إلى بعض مواطن استدلاله بشعرهم.

ثانياً: المصطلحات :

أورد القرطبي في تفسيره كثيرا من المصطلحات الصرفية ، ولا شك في أن هذه المصطلحات لم تكن من ابتداع القرطبي ؛ لأنه جاء في عصر وصل فيه المصطلح إلى مرحلة النضوج بفضل جهود العلماء الأولين من أمثال ابن أبي إسحاق الحضرمي ، وعيسى بن عمر ، وأبي عمرو بن العلاء ، والخليل ، والكسائي ، وسيبويه ، والفراء ، وغيرهم ممن جاء بعدهم.

لقد وجد القرطبي أمامه من جهود العلماء السابقين – بغض النظر عن مذاهبهم – أرضاً خصبة زرعت فيها المصطلحات حتى نضجت واستوت ، فأخذ منها ما استساغه ، ووجده مناسباً لمدلوله ومعناه ، متبعاً في ذلك نهج المتأخرين في عصره من استعمال المصطلحات المستساغة عندهم دون التفات إلى المدارس التي نسبت إليها هذه المصطلحات.

إن الحديث عن المصطلحات الصرفية التي استعملها القرطبي في تفسيره لن يتجه نحو الإحصاء والحصر ؛ لأن في ذلك إطالة لا جدوى منها ، وإنما سيقتصر الحديث عن منهج القرطبي في التعامل مع المصطلحات ، تماشياً مع معطيات هذا الفصل الذي خص للحديث عن منهج القرطبي .

([1]) ينظر : الشعر والشعراء : ٢٣، وديوان النابغة الذبياني : ٤١.

فمن منهجه في المصطلحات أن يورد اصطلاحات متعددة لمدلول واحد ؛ من ذلك ما أورده في اسم المصدر الذي اصطلح عليه أنه اسم يدل على ما يدل عليه المصدر ، إلا أن حروفه أقل من حروف المصدر ؛ نحو : الوضوء والعشرة ؛ فهما اسما مصدر للتوضؤ والمعاشرة . ويشترط في اسم المصدر أن تكون حروفه قد نقصت عن حروف المصدر لفظاً وتقديراً[1].

لقد تعددت اصطلاحات القرطبي لهذا المصطلح فهو تارة يطلق عليها عبارة (المصدر بخلاف المصدر) ؛ من ذلك ماجاء في تفسيره قول الله تبارك وتعالى : (وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَنًا) (المائدة : ١٢) حيث قال[2] : ((ولم يقل : إقراضاً ؛ وهذا مما جاء من المصدر بخلاف المصدر)) ؛ وتارة أخرى يطلق عليه عبارة (المصدر على غير المصدر) ؛ نحو تفسيره قوله سبحانه:(فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَنًا)(آل عمران : ٣٧) ، يقول القرطبي في اسمي المصدر (قبول ونبات)[3]: ((والقبول والنبات مصدران على غير المصدر ، والأصل : تقبلاً وإنباتاً)).

وكذا في قوله جل وعلا :(وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً) (نوح: ١٧) فقد قال[4] : ((نباتاً: مصدر على غير المصدر ؛ لأن مصدره أنبت إنباتاً ، فجعل الاسم الذي هو النبات في موضع المصدر)) ، بينما صرح أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) في إعرابه لهذه الآية أن (نباتاً) اسم للمصدر[5] ؛ واصطلاح القرطبي لاسم المصدر ، مصطلح : المصدر على غير المصدر ، هو أقرب لاصطلاح سيبويه له ؛ فقد بوب في كتابه[6] : (باب ما جاء المصدر فيه على غير الفعل ؛ لأن المعنى واحد) ذكر فيه أمثلة ، هي لاسم المصدر ؛ منها

([1]) ينظر : معجم المصطلحات النحوية والصرفية : ١٢٣.

([2]) الجامع : ١١٤/٦.

([3]) المصدر نفسه : ٧٤/٤.

([4]) المصدر نفسه : ٢٩٢/١٨.

([5]) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ٤٦٨/٢.

([6]) كتاب سيبويه : ٨١/٤.

(نبات) في الآية السابقة ؛ ولم يطلق سيبويه مصطلح اسم المصدر إلا في حديثه عن الأسماء المعدولة حيث قال[1] :((ومما جاء اسماً للمصدر قول الشاعر النابغة :

إنا اقتسمنا خطتينا بيننا فحملت برة واحتملت فجار

ففجار معدول عن الفجرة ...)).

وقد ورد هذا الاصطلاح (المصدر على غير المصدر) عند القرطبي أيضاً في الدلالة على النيابة عن المفعول المطلق ؛ ففي سياق حديثه عن قوله سبحانه : (وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً) (الإسراء : ٤٦) ذكر أن (نفوراً) يجوز أن تكون مصدراً على غير المصدر ، إذا كان معنى (ولوا) : نفروا ؛ فيكون المعنى : نفروا نفوراً [2].

ويطلق أحياناً على اسم المصدر اصطلاح (المصدر المحذوف الزوائد) ؛ وذلك نحو ما جاء في قوله تعالى : (فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً) (النساء : ١٢٨) فقد ذكر أن قراءة الكوفيين (يصلحا) والباقين (يصالحا) ، وقراءة الجحدري (يصلحا) ، ثم بين أوجه إعراب (صلحاً) على وفق هذه القراءات ، قائلاً[3] : ((ونصب قوله : "صلحاً" على هذه القراءة[4] ، على أنه مفعول ، وهو اسم[5] ، مثل : العطاء من أعطيت .. وكذلك هو مفعول أيضاً على قراءة من قرأ ((يصالحا)) ؛ لأن تفاعل قد جاء متعدياً ؛ ويحتمل أن يكون مصدراً حذفت زوائده)) ؛ ومثله حديثه عن لفظة (خالصة)[6] في الآية (٤٧) من سورة ص.

وقد صرح القرطبي بمصطلح اسم المصدر في بعض المواضع ؛ من ذلك ما قاله في لفظة (بور) في قوله سبحانه : (وَكَانُوا قَوْماً بُوراً) (الفرقان : ١٨) حيث قال[7] : ((وهو اسم مصدر كالزور)) ، ومثله ما قيل في (النجوى)[8] .

([1]) كتاب سيبويه : ٢٧٤/٣.

([2]) ينظر الجامع : ٢٧٦/١٠.

([3]) المصدر نفسه : ٤٠٤/٥.

([4]) أي قراءة الكوفيين .

([5]) يقصد بذلك اسم المصدر .

([6]) ينظر الجامع : ٢٠٨/١٥.

([7]) المصدر نفسه : ١٦/١٣.

([8]) المصدر نفسه : ٢٧٧/١٠.

ومن منهجه في المصطلحات أن يشير إلى مصطلح ما بألفاظ متقاربة ، من ذلك ما أشار به إلى مصطلح (التوحيد) الذي قصد به الإفراد ، باستعمال ألفاظ متقاربة ، نحو : وحد[1] ، ووحد[2] ، وموحد[3] ، والتوحيد[4] .

وكذا استعماله مصطلح العدول بلفظي المعدول والمصروف ، فقد قال في تفسير قوله سبحانه : (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) (يس : ٧٨)[5] : ((وإنما قال رميم ولم يقل رميمة ؛ لأنها معدولة عن فاعلة ... كقوله : (وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) (مريم : ٢٨) أسقط الهاء ؛ لأنها مصروفة عن باغية)) .

ومن منهجه ، تسمية مصطلح ما بمسمى لم يشع عند غالب الصرفيين ؛ وذلك نحو إطلاقه مصطلح (الجمع) على ماشاع عند الصرفيين باسم الجنس الجمعي ، الذي يفرق بينه وبين مفرده بالياء ، نحو : عرب وعربي ، أو التاء ، نحو : نخل ونخلة ؛ فقد عد القرطبي الشجر[6] ، والنخل[7] ، والموج[8] جمعاً ؛ وهذا اصطلاح الكوفيين[9] .

مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

(1) ينظر الجامع : ٢٠٧/١، ٢٠٣/٢.

(2) المصدر نفسه : ٢٣٣/٧، ٧٣/١٤.

(3) المصدر نفسه : ٢٧١/١٤.

(4) المصدر نفسه : ٢٣٢/٦، ٢٨٧/٧.

(5) المصدر نفسه : ٦١/١٥.

(6) المصدر نفسه : ٦٢/١٥.

(7) المصدر نفسه : ١٣٣/١٧.

(8) المصدر نفسه : ٤١/٩.

(9) وقد رد الرضي الاستراباذي في شرح الشافية (١٩٤/٢ وما بعدها) على فساد هذا الاصطلاح عند الكوفيين . وينظر : معجم المصطلحات النحوية والصرفية : ٥٢.

نتائج البحث :

إن الغاية التي نشدت في هذا البحث ، هي دراسة ألفاظ القرآن المبين دراسة صرفية، عبر مصنف من المصنفات التي ألمت بمثل هذه الدراسة ، وبعد تقص ودراسة تبين أن القرطبي الذي جعل من تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) وعاء صب فيه علوماً شتى لها علاقتها الوثيقة بالقرآن الكريم ، قد جمع مادة صرفية ثرية مرتبطة بمفردات القرآن ، أغنت عن كثير من المصنفات ذات العلاقة ؛ فاتجه البحث إلى هذا السفر الضخم ، لاستنطاق مادته الصرفية.

وبما أن هذه الدراسة قد اقتصرت على تفسير القرطبي ، فإن من لوازمها إظهار مكانة القرطبي الصرفية ؛ لما بذله من جهد صرفي عظيم في أثناء تفسيره لمفردات القرآن.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

وبعد أن وصل هذا البحث إلى محطته الأخيرة ، يمكننا أن نتوقف عند جملة من النتائج التي تم التوصل إليها عبر هذه الدراسة المتواضعة ، لعل من أبرزها :

أولاً: أظهر البحث مكانة القراءات في تفسير القرطبي بنوعيها المتواتر والشاذ ، فقد أكثر القرطبي من ذكرها حتى أصبح تفسيره أشبه بمصنف في القراءات ، وقد اعتمدها القرطبي مصدراً رئيساً في توجيه كثير من المسائل الصرفية ، متبعاً في اقتباسها من مصادرها المتنوعة أساليب متعددة ، فمرة ينقل النص مشيراً إلى قائله ، ومرة أخرى يتغافل عن قائله ، مخلاً في ذلك بما اشترطه على نفسه في مقدمته لتفسيره بإضافة الأقوال إلى قائليها .

ثانياً: أبرز ا لبحث مدى استغراق القرطبي جهده بدعم تفسيره باللهجات العربية المختلفة ، فجمع بذلك مادة غزيرة من لهجات العرب ، تعد بحق مرجعاً مهماً للهجات ينبغي للباحثين التصدي له ؛ وقد بين البحث استناد القرطبي إلى اللهجات في تعليل كثير من أوجه الاختلاف في استعمال بعض الأبنية ؛ من ذلك اختلافهم في استعمال بعض المصادر ، واختلافهم في الأسماء بين القصر والمد ، وكذا بين التذكير والتأنيث ، واختلافهم في استعمال بعض الجموع ، وفي استعمال بعض الأفعال الثلاثية والرباعية

لمعنى واحد ، واختلافهم في حركة حرف المضارعة ، وحركة عين الفعل ، والاختلاف في بعض الظواهر الصرفية المشتركة .

ثالثاً: سلط البحث الضوء على الشعر في تفسير القرطبي ، واعتماده عليه في إقرار كثير من المسائل الصرفية ، وعلى اقتصاره في معظم ذلك على فحول الشعر العربي في مختلف عصور الاحتجاج .

رابعاً: تتبع البحث كثيراً من أبنية الأسماء والأفعال ، صيغها وأوزانها واشتقاقاتها ، في تفسير القرطبي ؛ التي شكلت درساً صرفياً مفصلاً لكثير من ألفاظ القرآن ، وما أمدنا به القرطبي من معان لهذه الأبنية ، مما لم تألفه عند كثير من المفسرين .

وكذا انشغاله الدقيق بما يعتري بعض المفردات القرآنية من ظواهر صرفية ، وكأنه يلقي علينا تمرينات في الإعلال ، والإبدال ، والإدغام ، والقلب ، التخفيف ، جعلت من تفسيره موسوعة صرفية للقرآن ، تستحق التأمل والنظر .

خامساً: لفت البحث النظر إلى عناية القرطبي بالتناوب الدلالي للصيغ الصرفية في القرآن الكريم ، فهو كثيراً ما ينص على تناوب الأبنية الصرفية بعضها مع بعض ، وعلى الأثر الدلالي الذي يحدثه هذا التناوب للصيغ في السياق التركيبي للآيات القرآنية التي وردت فيها صور من هذه الظاهرة .

سادساً: لحظ البحث أن القرطبي قد نحا في تعامله مع الآراء الصرفية المبثوثة في تفسيره أحد منحيين ؛ الأول : قصر فيه الآراء على المفردة القرآنية ، بأن جعلها وصفاً صرفياً بحتاً للمفردة ، مجرداً من علاقتها الدلالية بسياق الآية ؛ والثاني : وظف فيه الآراء لفهم النص القرآني ، من خلال تقريب الدلالة الصرفية للألفاظ ، وتوضيح معناها في سياق آياتها.

سابعاً: وجد البحث أن موقف القرطبي من الآراء الصرفية يتسم بثلاثة اتجاهات ؛ اتجاه توقيفي اكتفى فيه بعرض الآراء من غير ترجيح أو اجتهاد ، واتجاه ثان كان يميل فيه لترجيح رأي من الآراء ؛ من ذلك ميله للبصريين كثيراً ، إلا أنه في الوقت ذاته أيضاً كان يتخير لنفسه ما يراه مناسباً من آراء السابقين له ، بصرف ا لنظر عن مذهب صاحب ذلك الرأي الذي تخيره.

واتجاه ثالث كان فيه مجتهداً ، حصيفاً ، أصيل الرأي ؛ لا يكتفي بالتوقف أو الترجيح، بل يحاول أن تكون له آراء اجتهادية يقررها بوضوح ، مدللاً لها بالحجة والبرهان .

ثامناً: بين البحث جملة من شواهد القرطبي التي أثرى بها تفسيره، واستدل بها في تقرير مسائله الصرفية ؛ وقد أظهرت هذه الشواهد المتنوعة سعة اطلاعه ، وقوة استدلاله في توضيح المسائل وتوثيق مفهومها ؛ كما وقف البحث على منهجه في عرض شواهده ومصطلحاته .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الإلكترونية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

والله ولي التوفيق

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز الإيداع الجامعية

الملخص
باللـغـة الإنجليزية

Summary

In this research I dealt with the lesson in morphology as used by AL Qurtubi in this interpretation (AL Game of the Rules of AL Quran) .

The purpose of the study is to show the accurate morphological matters contained in this interpretation and their relationship with the pronunciations of the Holy Kouran and their implications.

This study has brought about four chapters with an introduction, and followed by conclusion.

In the first chapter **I dealt with the most important sources on which AL Qurtubi depended when he decided on morphological issues . I arranged it into three researches according to the importance of the sources in terms of demonstrations. I made the first research for readings of the kouran , the second research for dialects, and the third for poetry.**

In chapter two **I discussed the morphological structures . In the first research I dealt only with noun structures, and in the second research I studied verb structure , and in the third research I highlighted the grammatical phenomenas like phonetic changes. Etc.**

In the third chapter **I dealt with the morphologic phenomena. I dissributed it into four reseaches, the first for nominative case, the second for tenses substituting the source, the third for numerical substitutes and the fourth for alternative verb tenses.**

In the fourth chapter **I dealt with Alqurtubi's approach in his study of morphology, and dealt with the opinions on the morphology , and showed in the second research his opinion on the morphology matters. I dealt in the third research with the terminologies.**

I made the conclusion to draw the most important results reached and followed an analytic and descriptive approach in this study.

Summary

In this research I dealt with the lesson in morphology as used by AL Quartubi in this interpretation (AL Game of the Rules of AL Quran) .

The purpose of the study is to show the accurate morphological matters contained in this interpretation and their relationship with the pronunciations of the Holy Kouran and their implications.

This study has brought about four chapters with an introduction, and followed by conclusion.

In the first chapter I dealt with the most important sources on which AL Qurtubi depended when he decided on morphological issues . I arranged it into three researches according to the importance of the sources in terms of demonstrations. I made the first research for readings of the kouran , the second research for dialects, and the third for poetry.

In chapter two I discussed the morphological structures . In the first research I dealt only with noun structures, and in the second research I studied verb structure , and in the third research I highlighted the grammatical phenomenas like phonetic changes. Etc.

In the third chapter I dealt with the morphologic phenomena. I dissributed it into four reseaches, the first for nominative case, the second for tenses substituting the source, the third for numerical substitutes and the fourth for alternative verb tenses.

In the fourth chapter I dealt with Alqurtubi's approach in his study of morphology, and dealt with the opinions on the morphology , and showed in the second research his opinion on the morphology matters. I dealt in the third research with the terminologies.

I made the conclusion to draw the most important results reached and followed an anlytic and descriptive approach in this study.

ثبت المصادر والمراجع :

١- الإبدال ، لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) ، قدمه وحققه الدكتور حسين محمد شرف ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م .

٢- أبنية الفعل، دلالاتها وعلاقاتها ، لأبي أوس إبراهيم الشمسان ، دار المدني ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣- أبو عبد الله القرطبي وجهوده في النحو واللغة في كتابه الجامع لأحكام القرآن ، للدكتور عبد القادر رحيم جدي الهيتي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، دار البشير ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

٤- الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي (ت ٩١١هـ) ، حققه محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

٥- أحكام القرآن ، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت ٥٤٣هـ) ، راجعه وخرجه وعلق عليه محمد عبد القادر ، دار الفكر ، بيروت (د-ت).

٦- أدب الكاتب ، لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، شرحه علي عافور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٧- أساس البلاغة ، للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، حققه عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت (د-ت).

٨- الأساس في فقه اللغة العربية وأرومتها ، للدكتور هادي نهر ، دار الفكر ، الأردن، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٩- إسفار الفصيح ، لأبي سهل محمد بن علي بن محمد الهروي (ت ٤٣٣هـ) ، درسه وحققه الدكتور أحمد بن سعيد بن محمد قشاش ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ.

١٠- الأشباه والنظائر في النحو ، للسيوطي (ت ٩١١هـ) ، راجعه وقدم له الدكتور فايز ترحيني ، دار الكتاب العربي،بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

١١- الاشتقاق ، لابن دريد (ت ٣٢١هـ) ، حققه وشرحه عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر ، الطبعة الثالثة (د- ت) .

١٢- إصلاح المنطق ، لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) ، شرحه وحققه أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٠م.

١٣- الأصمعيات ، لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٣هـ) ، حققه الدكتور قصي الحسين ، دار الهلال ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م .

١٤- الأصول في النحو ، لابن السراج (ت ٣١٦هـ) ، حققه الدكتور عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

١٥- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم (التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة) ، للدكتور عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٦- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) ، المكتبة الثقافية ، بيروت (د - ت).

١٧- إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) ، حققه الدكتور زهير غازي، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

١٨- الأفعال ، لابن القطاع (ت ٥١٥هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١٩- الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير ، (سلسلة أعلام المسلمين) ، لمشهور حسن، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢٠- الإنصاف في مسائل الخلاف ، لأبي البركات بن الأنباري (ت ٥٧٧هـ) حققه محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر (د - ت) .

٢١- البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، درسه وحققه وعلق عليه أحمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

مكتبة الجامعة الأردنية

٢٢- بدائع الفوائد ، لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، حققه الدكتور محمد الإسكندراني وعدنان درويش ، دار الكتاب العربي ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٣- البرهان في علوم القرآن ، للزركشي (ت ٧٩٤هـ) ، حققه مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٤- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، للفيروز أبادي (ت ٨١٧هـ) ، حققه محمد علي النجار وعبد العليم الطحاوي ، المكتبة العلمية ، بيروت (د- ت).

٢٥- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، للدكتور فاضل صالح السامرائي ، دار الشئون الثقافية ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠م.

٢٦- البيان في غريب إعراب القرآن ، لأبي البركات بن الأنباري (ت ٥٧٧هـ) حققه الدكتور طه عبد الحميد طه ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢٧- تأريخ آداب العرب ، لمصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

٢٨- التأنيث في اللغة العربية ، للدكتور إبراهيم إبراهيم بركات ، دار الوفاء ، المنصورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٩- تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، شرحه السيد أحمد صقر ، المكتبة العلمية (د - ت).

٣٠- التبيان في إعراب القرآن ، لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣١- تحبير التيسير في القراءات العشر ، لابن الجزري (ت ٨٣٨هـ) ، حققه الدكتور أحمد محمد مفلح ، دار الفرقان ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

٣٢- التذكرة في القراءات الثمان ، لابن غلبون (ت ٣٩٩هـ) ، حققه أيمن رشدي سويد ، سلسلة أصول النشر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

مركز ايداع الرسائل الجامعية

٣٣- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، حققه الدكتور حسن هنداوي، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٣٤- تصريف الأسماء والأفعال ، للدكتور فخر الدين قباوة ، مكتبة المعارف ، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٣٥- تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن ، للدكتور محمد سالم محيسن ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٦- التصريف الملوكي ، لابن جني (ت ٣٩٢هـ) ، حققه الدكتور ديزيره سقال ، دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

٣٧- التطبيق الصرفي ، للدكتور عبده الراجحي، دار النهضة العربية،بيروت(د -ت).

٣٨- التعريفات ، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ) ، حققه إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٣٩- تفسير البغوي ، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ) ، حققه وخرجه محمد عبد الله النمر وآخرون ، دار طيبة ، السعودية ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٤٠- تفسير الحسن البصري ، لأبي سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري (ت ١١٠هـ) ، جمعه ودرسه الدكتور محمد عبد الرحيم ، دار الحديث ، القاهرة (د-ت).

٤١- تفسر الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ، ومفاتيح الغيب) ، لفخر الدين محمد الرازي (ت ٦٠٦هـ) ،قدم له خليل محي الدين الميس ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٤٢- التكملة ، لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، حققه ودرسه الدكتور كاظم بحر المرجان ، دار عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٤٣- التلخيص في القراءات الثمان ، لأبي معشر عبد الكريم الطبري (ت ٤٧٨هـ) ، حققه محمد حسن عقيل ، سلسلة أصول النشر ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٤٤- التهذيب الوسيط في النحو ، لسابق الدين محمد بن علي بن أحمد بن يعيش الصنعاني (ت ٦٨٠هـ) ، حققه الدكتور فخر صالح سليمان قداره ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٤٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، المعروف بتفسير الطبري ، لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، ضبطه وعلق عليه محمود شاكر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.

٤٦- جامع الدروس العربية ، لمصطفى الغلاييني ، المكتبة العصرية ، بيروت ، الطبعة السابعة والعشرون ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٤٧- الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، راجعه وضبطه وعلق عليه الدكتور محمد إبراهيم الحفناوي ، خرج أحاديثه الدكتور محمود حامد عثمان ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

٤٨- جدل اللفظ والمعنى ، للدكتور مهدي أسعد عرار ، دار وائل ، عمان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢م.

٤٩- الجمل في النحو ، لأبي القاسم بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٤٠هـ) ، حققه وقدم له الدكتور علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٧هـ -١٩٩٦م.

٥٠- جمهرة أشعار العرب ، لابن أبي الخطاب القرشي ، حققه خليل شرف الدين ، دار الهلال ، بيروت ، ١٩٩٩م.

٥١- جمهرة اللغة ، لابن دريد (ت ٣٢١هـ) ، حققه الدكتور رمزي منير بعلبكي ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م.

٥٢- جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية ، للدكتور عبد المنعم سيد عبد العال ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٧م.

٥٣- حاشية الصبان على شرح الأشموني ، لمحمد بن علي الصبان (ت ١٢٠٦هـ) ، دار الفكر (د -ت).

٥٤- الحجة في القراءات ، لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) ، حققه عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٥٥- حجة القراءات ، لأبي زرعة محمد بن زنجلة (من مخضرمي المئتين الثالثة والرابعة للهجرة) ، حققه سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

٥٦- حركة حروف المضارعة ، للدكتور عبد الله بن ناصر القرني ، مجلة الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، السنة (٣٥) ، العدد (١١٩) ، ١٤٢٣هـ.

٥٧- الخصائص ، لابن جني (ت ٣٩٢هـ) ، حققه محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٣٧١هـ -١٩٥٢م.

٥٨- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، للسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) ، حققه علي محمد معوض وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

٥٩- دقائق التصريف ، لابن سعيد المؤدب (من علماء القرن الرابع الهجري) ، حققه الدكتور أحمد ناجي القيسي وآخرون ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٦٠- دلالة السياق في القصص القرآني ، للدكتور محمد عبد الله علي سيف ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٦١- ديوان الأحوص الأنصاري ، حققه وشرحه الدكتور سعدي ضناوي ، دار صادر، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م.

٦٢- ديوان الأعشى ، دار صادر ، بيروت (د -ت).

٦٣- ديوان امرئ القيس ، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثالثة (د – ت).

٦٤- ديوان جرير ، دار صادر ، ودار بيروت ، بيروت ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٦٥- ديوان الحطيئة ، رواه وشرحه ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) ، تقديم الدكتور حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥ـ ١٩٩٥م.

٦٦- ديوان ذي الرمة ، شرح أبي نصر الباهلي ، رواية أبي العباس ثعلب ، حققه وقدم له الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، مطبعة طربين ، دمشق ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٦٧- ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .

٦٨- ديوان مجنون ليلى (قيس بن الملوح) ، شرحه عدنان زكي درويش ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٦٩- ديوان النابغة الذبياني،حققه وشرحه كرم البستاني، دار صادر،بيروت(د – ت)

٧٠- رسالتان في لغة القرآن: الأولى : مسائل في إعراب القرآن ، لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، والثانية : رسالة في تحقيق التغليب ، لابن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ) ، قدم له وحققه الدكتور صاحب جعفر أبو جناح ، دار الفكر ، عمان، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٧١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لمحمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ) ، صححه محمد حسين العرب ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٧٢- سر صناعة الإعراب ، لابن جني (ت ٣٩٢هـ) ، حققه ودرسه الدكتور حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٧٣- شذا العرف في فن الصرف، لأحمد الحملاوي، المكتبة الثقافية، بيروت (د-ت).

٧٤- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، لبهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت ٧٦١هـ) ، حققه محمد محيي الدين ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٧٥- شرح أشعار الهذليين ، لأبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (ت ٢٥٧هـ) ، حققه عبد الستار أحمد فراج ، راجعه محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة ، مطبعة المدني ، القاهرة (د - ت) .

٧٦- شرح التعريف بضروري التصريف ، لابن إياز (ت ٦٨١هـ) ، حققه وشرحه ودرسه وقدم له الدكتور هادي نهر والدكتور هلال ناجي ، دار الفكر ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٧٧- شرح جمل الزجاجي ،(الشرح الكبير)،لابن عصفور الأشبيلي (ت ٦٦٩هـ) ، حققه الدكتور صاحب جعفر أبو جناح ، دار عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٧٨- شرح ديوان الأعشى الكبير، لميمون بن قيس ، تقديم الدكتور حنا نصر الحتي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٧٩- شرح ديوان جرير ، لمحمد إسماعيل عبد الله الصاوي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت (د - ت).

٨٠- شرح شافية ابن الحاجب ، لرضي الدين الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ) ، حققه وضبطه وشرحه محمود نور الحسن وآخرون،دار الكتب العلمية ، بيروت،(د- ت).

٨١- شرح الفصيح ، لابن هشام اللخمي (ت ٥٧٧هـ) ، درسه وحققه الدكتور مهدي عبيد جاسم ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٨٢- شرح لامية الأفعال ، لبدر الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي (ت ٦٨٦هـ) ، حققه هلال ناجي ، دار عالم الكتب ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٨٣- شرح المعلقات السبع،لأبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني،دار الفكر(د- ت)

٨٤- شرح المفصل ، لابن يعيش الأسدي الحلبي (ت ٦٤٣هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٨٥- شرح المفصل في صنعة الإعراب ، الموسوم بالتخمير ، لصدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي (ت ٦١٧هـ) ، حققه الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٨٦- شعر الأخطل أبي مالك غياث بن غوث التغلبي ، صنعة السكري ، روايته عن أبي جعفر محمد بن حبيب ، حققه الدكتور فخر الدين قباوة ، دار الفكر ، دمشق ، ودار الفكر المعاصر ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٨٧- الشعر والشعراء ، لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٨٨- الصاحبي في فقه اللغة العربية ، لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) ، حققه الدكتور عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٨٩- الصحاح ، للجوهري (ت ٤٠٠هـ) ، حققه وضبطه شهاب الدين أبو عمرو ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٩٠- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٦هـ - ١٩٨٦م .

٩١- صحيح سنن أبي داود ، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

٩٢- صحيح سنن الترمذي ، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٩٣- صحيح سنن النسائي ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة التربية العربي لدول الخليج ، الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٩٤- صحيح مسلم بشرح النووي، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة (د - ت).

٩٥- الصرف الوافي ، للدكتور هادي نهر ، دار الأمل ، الأردن ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٢م.

٩٦- ظاهرة النيابة في العربية، للدكتور عبد الله صالح عمر بابعير ، رسالة دكتوراه، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، العراق ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٩٧- العربية تاريخ وتطور ، للدكتور إبراهيم السمرائي ، مكتبة المعارف ، بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٩٨- علم اللغة العام ، الأصوات ، للدكتور كمال محمد بشر ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٦م.

٩٩- عون المعبود بشرح سنن أبي داود ، لأبي الطيب محمد آبادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

١٠٠- الغاية في القراءات العشر ، لابن مهران الأصبهاني النيسابوري (ت ٣٨١هـ)، حققه محمد غياث الجنباز ، دار العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٠١- غريب القرآن المنسوب لعبد الله بن عباس رضي الله عنه ، حققه وقدم له الدكتور أحمد بولوط ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٠٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للحافظ بن حجر العسقلاني(ت ٨٥٢هـ) ، رقمه محمد فؤاد عبد الباقي ، صححه وحققه عبد العزيز بن باز ، دار الفكر ، بيروت (د - ت).

١٠٣- فتح القدير ، لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٠٤- الفريد في إعراب القرآن المجيد ، للمنتجب حسين بن أبي العز الهمداني (ت ٦٤٣هـ) ، حققه الدكتور فهمي حسن النمر والدكتور فؤاد علي مخيمر ، دار الثقافة ، الدوحة ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٠٥- فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن ، لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، حققه صلاح بن فتحي هلل ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٠٦- في فقه اللغة العربية ، للدكتور ، مسعود بوبو ، جامعة دمشق ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٠٧- في اللهجات العربية ، للدكتور إبراهيم أنيس ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٣م.

١٠٨- القاموس المحيط ، للفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) ، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، ومؤسسة التأريخ العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٠٩- القراءات العشر المتواترة ، لمحمد كريم راجح ، دار المهاجر، المدينة المنورة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١١٠- القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني ، للدكتور محمد الحبش ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١١١- الكامل ، لمحمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) ، حققه وعلق عليه الدكتور محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١١٢- الكتاب ، لسيبويه (ت ١٨٠هـ) ، حققه وشرحه عبد السلام محمد هارون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١١٣- الكشاف ، للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، حققه عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١١٤- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد (د- ت) .

١١٥- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات ، لنور الدين الحسن بن علي بن الحسين الباقولي الملقب بجامع العلوم النحوي (ت ٥٤٣هـ) ، حققه الدكتور عبد القادر عبد الرحمن السعدي ، دار عمار ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١١٦- الكليات ، لأبي البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١١٧- الكوكب الدري فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية ، لجمال الدين الإسنوي (ت ٧٧٢هـ) ، حققه الدكتور محمد حسن عواد ، دار عمار ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١١٨- اللباب في علل البناء والإعراب ، لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) ، حققه الدكتور غازي مختار طليمان ، والدكتور عبد الإله نبهان ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ودار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١١٩- لسان العرب ، لابن منظور (ت ٧١١هـ) ، اعتنى بتصحيحه أمين محمد عبد الوهاب ، ومحمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التأريخ العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٢٠- اللهجات العربية نشأة وتطوراً ، للدكتور عبد الغفار حامد هلال ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، الطبعة الثانية ،١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٢١- لهجات القبائل العربية وأثرها في الدرس النحوي ، لفدوى محمد حسان ، رسالة ماجستير ، جامعة عدن ، كلية التربية ، قسم اللغة العربية ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٢٢- ليس في كلام العرب ، لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) ، حققه أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٢٣- المبسوط في القراءات العشر ، لابن مهران الأصبهاني (ت ٣٨١هـ) ، حققه شبيع حمزة حاكمي، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٢٤- مجمل اللغة ، لابن فارس (ت ٣٩٥هـ) ، حققه شهاب الدين أبو عمرو ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

١٢٥- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، (ت ٧٢٨هـ) ، جمعه ورتبه عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ.

١٢٦- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لابن جني (ت ٣٩٢هـ) ، حققه محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٢٧- المحرر الوجيز ، لابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) ، حققه عبد السلام عبد الشافي محمد،دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٢٨- المحلى ، لابن شقير (ت ٣١٧هـ) ، حققه الدكتور فائز فارس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ودار الأمل ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

١٢٩- المخصص ، لابن سيدة (ت ٤٥٨هـ) ، حققته لجنة إحياء التراث العربي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (د - ت) .

١٣٠- المذكر والمؤنث ، لأبي بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨هـ) ، حققه محمد عبد الخالق عضيمة ، وزارة الأوقاف ، مصر ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٣١- المزهر في علوم اللغة ، للسيوطي (ت ٩١١هـ) ، صححه فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٣٢- المسائل الحلبيات ، لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) ، حققه الدكتور حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ودار المنارة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٣٣- المسند ، للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ، حققه وشرحه أحمد محمد شاكر وحمزة أحمد الزين، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى،١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٣٤- المصباح المنير ، للفيومي (ت . ٧٧هـ) ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٧م.

١٣٥- المصدر في القرآن الكريم ، أبنيته ووظائفه الدلالية ، (سلسلة النحو القرآني الدلالي) ، للدكتور هادي نهر ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٣٦- مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة العربية ، بيروت (د - ت).

١٣٧- معاني الأبنية في العربية ، للدكتور فاضل صالح السامرائي ، جامعة الكويت ، كلية الآداب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٣٨- معاني القرآن ، للأخفش (ت ٢١٥هـ) ، حققه الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٣٩- معاني القرآن ، للفراء (ت ٢٠٧هـ) ، حققه محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٤٠- معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، للدكتور محمد سمير اللبدي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ودار الفرقان ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٤١- معرض الأبريز من الكلام الوجيز عن القرآن العزيز ، للدكتور عبد الكريم محمد عبد الكريم الأسعد ، دار المعراج الدولية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٤٢- المغني في تصريف الأفعال ، للدكتور محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٤٣- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الاتحاد العربي ، مصر (د - ت).

١٤٤- مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني ، للكرماني (ت ٥٦٣هـ) ، حققه الدكتور عبد الكريم مصطفى مدلج ، دار ابن حزم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

١٤٥- المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ، حققه محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت (د - ت).

١٤٦- المفصل في صنعة الإعراب ، للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، قدم له وبوبه الدكتور علي بو ملحم ، دار الهلال ، بيروت ، ٢٠٠٣م.

١٤٧- المفضليات ، للمفضل الضبي (ت ١٦٨هـ) ، حققه الدكتور قصي الحسين ، دار الهلال ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م.

١٤٨- المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية ، للدكتور محمد سالم محيسن ، مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ، ١٩٨٦م .

١٤٩- المقتضب ، للمبرد (ت ٢٨٥هـ) ، حققه محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت (د – ت).

١٥٠- الممتع في التصريف ، لابن عصفور الأشبيلي (ت ٦٦٩هـ) ، حققه الدكتور فخر الدين قباوة ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٥١- المنصف ، لابن جني (ت ٣٩٢هـ) ، حققه إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، مطبعة مصطفى الحلبي ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .

١٥٢- موسوعة الشعر العربي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٥٣- الموضح في وجوه القراءات وعللها ، لأبي عبد الله الشيرازي الفسوي المعروف بابن أبي مريم (ت ٥٦٥هـ) ، حققه الدكتور عمر حمدان الكبيسي ، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٥٤- موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف ، للدكتورة خديجة الحديثي ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، دار الرشيد ، ١٩٨١م.

١٥٥- الميسر في القراءات الأربعة عشرة ، لمحمد فهد خاروف ، دار ابن كثير ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٥٦- نتائج الفكر في النحو ، لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي (ت ٥٨١هـ) ، حققه الدكتور محمد إبراهيم البنا، دار الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٥٧- النوادر في اللغة ، لأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ) ، علق عليه وصححه سعيد الخوري الشرتوني، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

١٥٨- النيابة النحوية من خلال القرآن الكريم ، (سلسلة النحو القرآني الدلالي) ، للدكتور هادي نهر ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.

١٥٩- الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ، لعبد الفتاح عبد الغني القاضي (ت ١٤٠٣هـ) ، مكتبة السوادي ، جدة ، الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٦٠- وفاق المفهوم في اختلاف المقول والمرسوم ، لابن مالك الجياني(ت٦٧٢هـ) ، حققه بدر الزمان محمد شفيع النيبالي ، مكتبة الإيمان ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

تـــم بـعـون الله